المربي

مختصر

السيرة النبوية

تأليف

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٤٤هـ

إعداد

مركز المربِّي

للاستشارات التربوية والتعليمية

المجلد الأول

مُخْتَصَرُ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

المجلَّدُ الأوَّلُ

مختصر
السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠١٦/٤٩٩٩٩م

الترقيم الدولي (ردمك):

I.S.B.N 978-977-744-142-1

المربي

markaz.almurabbi@gmail.com

مختصر السيرة النبوية

تأليف

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٤٤هـ

إعداد

مركز المربِّي

للاستشارات التربوية والتعليمية

المجلد الأول

المربي

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وكان السَّلف الصالح رحمهم الله ورضي عنهم - امتثالًا لهذه الآية الكريمة - يَحُثُّون أبناءهم وأتباعهم على تعلُّم سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزواته، ويُربونهم على حفظها منذ الصغر، لإدراكهم منزلة هذا العلم الجليل وحاجة الناس إليه.

قال زين العابدين علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا نُعلَّم مغازيَ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نُعلَّم السورة من القرآن»(١).

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري: «كان أبي يُعلِّمُنا مَغازيَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعُدُّها عَلينا وسراياه، ويقول: هَذه مَآثِر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»(٢).

ولما كانت السيرة النبوية بهذا المثابة اعتنى العلماء بها عناية بالغةً منذ فجر الإسلام حفظًا وروايةً وتدوينًا، وتتابعوا على التَّأليف فيها في كتب مفردة شاملة لجميع أبواب السيرة أو بعضها، أو ضمن مصنَّفات تحوي موضوع السيرة والمغازي وغيرها.

ومن أجمع ما صُنف في هذا الباب كتابُ الشيخ الجليل ابن الشيخ الجليل عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، الموسوم بـ«مختصر السيرة»، ولا يَغُرَّنَّك

(١) الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب (٢/ ١٩٥).
(٢) المصدر السابق.

-أيها القارئ- ما في التسمية من تواضع، فهو مختصر ليس كالمختصرات، بل هو باسطٌ لتفاصيل السيرة، شامل لأبوابها، في نُقول مهمة موثقة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي والسير، بترتيب حسن جميل، مع الإتيان بدروس مستفادة من الوقائع من كتب الأئمة العلماء؛ فجمع الكتاب بذلك بين دراسة المغازي والسير، وبين أخذ الدروس والعبر.

وقد طُبع الكتاب عدة طبعات، أبرزها طبعة الشيخ أحمد الطويان، فجاءت أكمل من غيرها مستدرَكةً فيها مواضعُ السقط، مع تخريج الأحاديث والأخبار وتوثيقها من مظانها من الكتب.

ولا يخلو عمل بشر من سهو وغلط، فجاء هذا الإخراج مكملًا لما قام به، مصححًا لبعض ما جانب الصواب فيه من زيادة أو نقصان، دون إشارة إلى ذلك لئلا يُثقَل الكتاب بالحواشي.

وصف المخطوط

يحفظ المخطوط في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/ ٢٧٩، وفي مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ٣١٦٢٩٥.

وهو عبارة من ٢٣٣ صفحة في كل صفحة من ٣٠ إلى ٣٢ سطرًا، وفي كل سطر من ٣١ كلمة تقريبًا.

وقد كتب بخط نسخي دقيق واضح إلا بعض المواضع القليلة، وكاتبه: أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيدة، حيث جاء في آخر المخطوط: «وقد أنهاه كاتبه بقلمه راجي عفو ربه ... أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيدة... في سنة ١٣٢٤هـ».

هذا وقد بحثنا جاهدين عن نسخة أو نسخ أخرى تعيننا على إخراج الكتاب أكثر دقة، فلم نظفر بذلك، فاستعنا بطبعة أخرجها الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكونه اعتمد على أصل قيم مغاير لأصلنا[(١)]، مع قراءتنا الفاحصة لطبعة الشيخ أحمد الطويان التي لم تخلُ من أخطاء مطبعية كما سبق ذكره.

والمخطوط كامل، وأخطاؤه قليلة، ولم يكن هناك سقط كبير إلا في موضع واحد استدركناه من مصادره، وهو في (ل ٣) الموافق لـ (١/ ١٩-٢١) من هذه الطبعة.

منهج العمل

كان العمل في الكتاب على النحو الآتي:

١- نسخ المخطوط إلى الجهاز. وحرصنا فيه أن يكون خاليًا من الأخطاء المطبعية.

٢- تنظيم مادة الكتاب، وذلك بتنسيق فقراته وترتيبها ووضع علامات الترقيم المناسبة.

٣- مقابلة المخطوط وتحقيق الكتاب. وراعينا في ذلك الأمور الآتية:

- الحفاظ على نص المخطوط قدر الإمكان.
- ما سقط من المخطوط وأضفناه من مصادر الكتاب أو من المطبوع فإننا جعلناه بين معقوفين، هكذا: [...].
- لم نشر إلى الاختلاف الواقع بين مطبوعات الكتاب وبين المخطوط، إلا عند الحاجة إليه.

---

(١) ينظر تقديمه لكتاب مختصر السيرة (المطبوع مع مختصر السيرة لوالد المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (ص٧).

- إذا نقل المؤلف ممَّن سبقه وصرَّح به فإننا نعزو إليه بذكر اسم المصدر والإحالة إلى الجزء والصفحة قدر الإمكان، أو إلى رقم الحديث إذا كان المصدر مرقمًا فيه الأحاديث، وجعلناه بين معقوفين هكذا [...] لسهولة الرجوع إليه.
- خرجنا الأحاديث المرفوعة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مصادرها باختصار: فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإننا اكتفينا بالعزو إليهما، وإلا خرجناه من غيرهما مراعين في ذلك عدم الإطالة.
- لم نترجم للأعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب إلا لمن يخشى من التباسه بغيره.
- شرحنا الكلمات الغريبة شرحًا موجزًا، وعَرَّفنا الأماكن عند الحاجة إلى ذلك.
- اختل موضع ورقةٍ من المخطوط فتقدمت عن موضعها الصحيح، ثم وضع الترقيم على المصورة فحصل خطأ في تسلسل الأرقام، فرقمت الصفحة ٢١٣ و٢١٤ برقم (٢١٥) و(٢١٦) والصفحتان ٢١٥ و٢١٥ رقمتا بـ(٢١٣) و(٢١٤). فعند الإشارة إلى أرقام المخطوط صححنا هذا الخطأ ووضعنا الأرقام الصحيحة.
- ما حصل من الأخطاء في كتابة الآيات فإنا صححناه دون إشارة، مثل سقوط كلمة ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: ١١] في آخر لوحة (١٢٠) وبداية لوحة (١٢١). ومثل سقوط ﴿ بِهِۦ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران:٦٤] في لوحة (٣٥).
- ما كان في المخطوط من خطأ لغوي واضح فإننا أصلحناه أيضًا ولم نشر إلى ذلك. مثل ما حصل في لوحة (١٢) من تحريف (ذو الكفين) بالرفع إلى (ذا الكفين) بالنصب، وتحريف «قاطنو مكة وساكنوها» إلى «قاطني مكة وساكنيها» في لوحة (١٦).

- أهملنا التنبيه على ما حصل من انتقال نظر الناسخ، كما حصل في بداية لوحة (٣٣) من تقدم كلمة «في الكفارات» عن موضعه، ووقوعها في غير موضعها الصحيح، وقد يكتب الناسخ عبارة قبل موضعها، ثم يعيد كتابتها في المكان الصحيح، كما حصل في لوحة (٧٥) من تقدم عبارة: «قال عروة: قالت عائشة: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة»، فأثبتنا الصواب من مصدر الكتاب دون إشارة إلى حصول الخطأ.
- وقد تتكرر جملة أو كلمة في آخر لوحة وبداية أخرى من المخطوط فنثبت الأولى دون الثانية من غير إشارة، مثل ما حصل في نهاية لوحة (١١)، وبداية لوحة (١٢) من تكرار عبارة: «ولا يحلقون رؤوسهم». وانظر: لوحة (١٥-١٦)، (١٧-١٨)، (٢٥-٢٦)، (٥٦-٥٧)، (٧٨-٧٩)، (٩٣-٩٤)، (١٢٨-١٢٩)، (١٣١-١٣٢)، (١٣٥-١٣٦)، (١٩٦-١٩٧).

❁❁❁

ترجمة موجزة للمؤلف

هو الشيخ الإمام عبد الله ابن الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، من أسرة آل مشرف من بطن حنظلة من بني تميم.

وُلِد الشيخ عبد الله في مدينة الدرعية عام ١١٦٥هـ، ونشأ في بيت والده نشأة دينية صالحة وجو علمي ووسط كريم، فقرأ القرآن وحفظه ثم شرع في قراءة العلم على والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا نعلم له شيخًا غيره، وكفى به معلمًا ومربيًا وموجهًا، فحَصَّل من العلوم الشرعية والعلوم العربية شيئًا فاق به أقرانه، فصار عالمًا في الأصول، مبرزًا في التفسير والحديث وأصولهما، مطلعًا في العقائد ومقالات الفرق الإسلامية، مستوعبًا للفروع في المذاهب الإسلامية وأقوال علماء الصدر الأول مع رجاحة العقل وبعد النظر. ولما توفي والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلفه في أعماله الكبيرة ومهامه الجليلة، وحل محله في زعامته الدينية ومقاماته الإصلاحية، فصار إمام المسلمين ومرجع علمائهم.

ولما نُقل آل الشيخ إلى مصر بعد استيلاء جيوش إبراهيم باشا على الدرعية وعلى نجد عمومًا كان المترجم له في مقدمة المنقولين، وذلك عام ١٢٣٣هـ، فاستقر بالقاهرة.

ومن تلاميذه: أبناؤه الثلاثة الشيخ سليمان والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي، وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وغيرهم كثير.

ومن آثاره العلمية: جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة الزيدية، ومختصر السيرة، وهو هذا الكتاب، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ومنسك في الحج.

توفي عام ١٢٤٤هـ في القاهرة، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته[١].

(١) من كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بسام ١/ ١٦٩-١٧٩ بتصرف.

مختصر السيرة النبوية

تأليف

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٤٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين وعليه اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. **أما بعد:**

فهذا كتاب أذكر فيه نسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد البشر، وشيئًا من أحواله، وآياته، وأخلاقه، من حين ولد إلى أن توفي بالاختصار، وأذكر فيه خلافة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

أما نسبه فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[(١)].

هذا متفق على صحته، وما فوق عدنان مختلف فيه.

ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب. والقول بأنه إسحاق باطل.

ولا خلاف أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد بمكة عام الفيل. وكانت وقعة الفيل تَقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأهل الفيل نصارى أهل كتاب، دينهم خير من دين أهل

(١) انظر صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مكة، لأنهم عباد أوثان، فنصرهم الله نصرًا لا صُنعَ للبشر فيه تقدمة للنبي الذي خرج من مكة وتعظيمًا للبلد الحرام.

وولد عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول، اختاره كثير[١].

من العرب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلم أزل خيارًا مِن خيارٍ مِن خيارٍ، ألا مَنْ أحبَّ العربَ فبِحُبِّي أحبَّهم، ومنْ أبغضهم فبِبُغْضي أبغضهم**»[٢].

وأما عبد الله أبو رسول [الله][٣] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو ابن عبد المطلب المذكور وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وكان أبوه يحبه، والأكثر يقولون: إنه توفي وهو حمل وقيل إنه مات ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهران، وجميع ما خلفه خمسة أحمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن هي حاضنته.

وأمه عَلَيْهِ السَّلَامُ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولد عَلَيْهِ السَّلَامُ لثمان خلون من ربيع الأول، وقيل: لعشر، وقيل: لاثنتي عشرة، يوم الاثنين.

وروى البيهقي[٤] أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد مختونًا مسرورًا، قال العباس: فأعجب جده عبد المطلب وحظي عنده وقال: «ليكونن لابني هذا شأن».

---

(١) كذا في المخطوط، وفي المطبوع: «اختاره الحميدي وشيخه ابن حزم، وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونقل عن ابن عباس ...».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥/ ٩٩) [٧٠٣٦].

(٣) لفظ الجلالة سقط من المخطوط.

(٤) طبقات ابن سعد (١/ ١٠٣).

وذكر البيهقي[١] أيضًا أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شُرَّافةً وخمدت نارُ فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بُحَيْرة ساوه.

وفي سقوط الأربع عشرة شُرَّافة إشارةٌ إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشُرَّافات، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة، وملك الباقون إلى خلافة عثمان[٢].

وروى أحمد[٣] وغيره عن العرباض بن سارية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسوف أنبئكم بتأويل ذلك: دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك أمهات النبيين يرين**».

وعن ميسرة [الفجر][٤] قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ وفي رواية: متى كُتِبْتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»[٥].

وروى ابن سعد[٦] أن أمَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت لما ولدته: خرج مِن فرجي نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشام، وولدته نظيفًا ما به قَذَر.

---

(١) دلائل النبوة البيهقي (١/ ١٢٦-١٢٩). قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٩١-٢٩٢): «أما هذا الحديث فلا أصل له في كتب الإسلام المعهودة، ولم أره بإسنادٍ أصلًا».

(٢) ذكر ذلك القسطلاني في المواهب اللدنية (١/ ٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٨، وابن حِبَّان [٦٤٠٤] بنحوه.

(٤) في المخطوط: (الضبي) والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٥٩).

(٦) الطبقات (١/ ١٠٢).

وإلى هذا المعنى أشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال:

وأنت لما ولدت أشرقت الـ ـأرضُ وضاءتْ بنورِك الأُفُقُ
ونحن في ذلك الضياءِ وفي النـ ـنورِ فسُبْلَ الرشادِ نَخْتَرِقُ[١]

قال في اللطائف[٢]: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الشرك، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] الآية.

وأما إضاءة بُصرى بنوره الذي خرج منه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، فإنها دار ملكه كما ذكر كعب أن في الكتب السالفة: «محمد رسول الله، مولده بمكة ومهاجره يثرب، وملكه بالشام»[٣]، ولهذا أسري به إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الشام، وبها ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي أرض المحشر، والمنشر.

وأرضعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُويبة عتيقة أبي لهب، أعتقها حين بشَّرَتْه بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه خفف عني كل اثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين ماء، وأشار برأس أصبعيه، وإن ذلك بإعتاقي ثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له[٤].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٩) [٥٤١٧].
(٢) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص١٧٣).
(٣) انظر: طبقات ابن سعد (١/ ٣٦٠).
(٤) أخرج نحوه البخاري [٤٨١٣] عن عروة مرسلًا.

قال ابن [الجزري][(١)]: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جُـوزِيَ في النار بفرحته ليلةَ مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما حال الموحد من أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بمولده؟

وثويبةُ مولاة أبي لهب أولُ مَنْ أرضعته / [٣] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أمه بلبن ابنها مسروح، وأرضعت أيضًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلبن ابنها مسروح حمزةَ عمَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ثم أرضعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حليمةُ السعدية.

وفي السنة الرابعة من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الملكين شقَّا بطنه واستخرجا قلبه، وشقَّاه فاستخرجا منه علقةً سوداءَ، ثم غسلا قلبه وبطنَه بالثلج، وقال أحدهما: زِنْه بعشرةٍ مِن أمتِهِ، فوزنه ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف، فقال: والله لو وزنته بأمته لوزنها[(٢)].

وروي أنه وقع شق صدره مرة أخرى عند مجيء جبرئيل بالوحي في غار حراء[(٣)]، ومرة أخرى عند الإسراء[(٤)]. وروي الشق أيضًا وهو ابن عشر[(٥)].

---

(١) في المخطوط والمطبوع: «ابن الجوزي»، والمثبت من المواهب اللدنية (١/ ٢٧).
(٢) نحوه في مسند أحمد (٤/ ١٨٤-١٨٥) مطولًا.
(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٤٤).
(٤) صحيح البخاري [٣٢٠٧]، وصحيح مسلم [١٦٣، ١٦٤].
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٣٩).

وقد روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه، وأنه يُشَمُّ منه مسك، وأنه مثل زر الحجلة، ذكره البخاري[١]. وفي مسلم[٢]: جُمْعٌ عليه خِيلانٌ كأنها الثآليل السود عند نُغضِ كتفه، وروي: عند غضروف كتفه اليسرى، وروي: الأيمن. وفي مسلم[٣] أيضًا: كبيضة الحمامة. وفي الشمائل[٤]: بَضْعة ناشزة. وفي الترمذي ودلائل البيهقي: كالتفاحة[٥].

وقوله: «**مثل زر الحجلة**» بالزاي، والمراد الحجلة بالحاء المهملة والجيم، قال النووي[٦]: هي واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعُرًى، هذا هو الصواب.

وقوله: «**جُمْعٌ**» بضم الجيم وإسكان الميم أي جمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها.

وقوله: «**خيلان**» بكسر الخاء وإسكان التحتية جمع خال، وهو الشامة على الجسد.

والنغض والناغض أعلى الكتف، وفي حديث عتبة بن عبدٍ السلمي عند أحمد والطبراني[٧]: «إن الملكين لما شقَّا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة».

---

(١) صحيح البخاري [١٩٠، ٣٥٤١، ٥٦٧٠] من حديث السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح مسلم [٢٣٤٦] عن عبد الله بن جرجس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والثآليل جمع ثؤلول وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. لسان العرب (١١/ ٨١).

(٣) مسلم [٢٣٤٤] عن جابر بن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) شمائل الترمذي [١٩] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) لم نجد في الترمذي لفظة «مثل التفاحة»، وهي في الدلائل (١/ ٢٦٥)، كما ذكر المؤلف.

(٦) شرح صحيح مسلم (٨/ ٩٧، ٩٨).

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٨٤).

وماتت أمه عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأبواء[١]، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين حين انصرفت مِن زيارةِ أخواله بني النجار، وكانتْ خرجتْ به معها ومعه دايته[٢] أمُّ أيمن، وقدِمَتْ به أمُّ أيمن إلى مكة بعد موتها، فكفله جدُّه عبد المطلب ورقَّ عليه رِقَّةً لم يَرِقَّها على أحدٍ مِن أولاده، فكان لا يُفارِقه، وما كان أحدٌ يجلس على فِراشه إجلالًا له إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقدم مكة قومٌ مِن بني مُدْلِج من القافة، فلما نظروا إليه قالوا لجدِّه: احتفِظْ به فلم نجدْ قَدَمًا أشبهَ بالقَدَمِ الذي في المقام مِن قدمِهِ، فقال لأبي طالب: اسمعْ ما يقول هؤلاءِ واحتفظ به.

وتوفي جدُّه عبد المطلب في السنة الثامنة من مولده، وأوصى به إلى أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب مِن ساداتِ قريش محافظًا على العهود ويتخلَّق بمكارم الأخلاقِ ويحبُّ المساكين ويقوم بالحجيج ويُطْعِم حتى الوحوشَ والطيرَ في رؤوسِ الجبال ويُطْعِم في الأزمات ويقمع الظالمين.

[وفي عبد المطلب يجتمع معه بنو علي، وبنو جعفر، وبنو عقيل، وبنو أبي طالب، وبنو العباس، وبنو الحارث، وبنو اللَّهَب.

وفي عبد مناف يجتمع معه بنو أمية، وسائر بني عبد شمس، وبنو المطلب، وبنو نوفل.

---

(١) وادٍ من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفُرُع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء، وينحدر وادي الأبواء إلى البحر جاعلًا أنقاض ودان على يساره، وثَم طريق إلى هرشى، ويمر ببلدة مستورة ثم يبحر. معجم المعالم الجغرافية ص(١٤).

(٢) **الداية**: الحاضنة. انظر: القاموس المحيط (ص١٥٣٧).

وفي قُصيٍّ يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو عبد العزَّى، وبنو عبد الدار، منهم حجبة الكعبة ومنهم النضر بن الحارث، ومن بني عبد العزَّى الزبير بن العوام، وخديجة، وورقة بن نوفل.

وفي كلاب يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو زهرة بن كلاب، وأمه منهم، ومنهم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

وفي مرة يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بنو تيم بن مرة، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة. فمن بني تيم بن مرة أبو بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله. ومن بني مخزوم خالد بن الوليد، وأبو جهل بن هشام.

وفي كعب يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بنو عدي بن كعب، منهم عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد، وبنو جُمَح ومشاهيرهم أمية بن خلف عدوُّ رسول الله، وأخوه أبي بن خلف مثله في العداوة لرسول الله، [و]بنو سهم ومنهم عمرو بن العاص.

وفي لؤي يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو عامر بن لؤيّ، ومنهم عمرو بن عبد ودٍّ فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب، ومنهم سهيل بن عمرو.

وفي غالب يجتمع بنو تيم الأدْرَم، والأدرم الناقص.

وفي فهر يجتمع معه بنو محارب وبنو الحارث ابني فهر، ومن بني الحارث بنو الخلج، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح، وفهر هذا هو أبو قريش كلها، فكل من كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس قرشيًّا.

وفي كنانة يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة ومَلْكان وملْك وعمرو وعامر أولاد كنانة، فصار من بني عبد مناة بنو بكر، ومن بني بكر بنو الدِّيل رهط أبي الأسود الدؤلي، وبنو مدلج، وبنو ليث، وبنو ضَمْرة. ومن بني الحارث الأحابيش.

وقد قيل: إن النضر بن كنانة هو قريش، والصحيح أنه فهر بن مالك.

وفي خزيمة يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو أسد، والقارة، وهم الهون بن خزيمة، فمن الهون عَضل، وهي قبيلةٌ أبوهم عضل بن الهون، ومنهم الدَّيش أخو عضل، ويقال لهاتين القبيلتين القارة.

وفي مُدْرِكَة يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو هذيل بن مدركة، ومنهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي إلياس يجتمع معه بنو تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس، وبنو ضَبة بن أدٍّ، والرباب، ومزينة، وهم بنو عمرو بن أُدّ، ويقال لهم: مزينة نسبة إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وَبَرَة.

وفي مضر يجتمع معه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنو قيس عَيْلان بن مُضَر، وهو بالعين المهملة، قيل: إن عيلان فرسه، وقيل: كلبه، وقد جعل الله لقيس من الكثرة أمرًا عظيمًا، فمن ولده جميع قبائل غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وجميع قبائل هوازن، وسُلَيم][1] ومازن بن

(١) سقط في المخطوط من قوله: «وفي عبد المطلب...» إلى قوله: «... وجميع قبائل هوازن، وسليم»، وأثبتناه من المطبوع. ونحوه في جوامع السيرة لابن حزم: (ص٢-٤).

منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان، ومن هوازن بنو سعد بن بكر، وبنو كلاب، وبنو كعب، وبنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومن جشم دُرَيد بن الصَّمة بن غَزِية بن جشم، ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، منهم بنو كعب بن ربيعة، وبنو هلال، وبنو نمير، وبنو جَعْدة، وبنو قشير، وبنو عقيل بن كعب بن ربيعة، منهم بنو المُنْتفق بن عامر بن عقيل، ومنهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومن هوازن بنو سلول، وبنو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، ومن قيس عيلان بنو عبس وذبيان، [ومن ذبيان بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض](١)، ومنهم عدوان وباهلة، ومن بني سليم بن منصور رَعْل وذكوان وعصيَّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وزعب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس. وقد قيل: إن ثقيفًا من إياد، وقد قيل: من ثمود. ومن بني ذبيان النابغة الشاعر المشهور.

وفي نِزار يجتمع معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنو ربيعة بن نزار، منهم بنو أسد وضبيعة ابنا ربيعة، ومن بني أسد بكر وتغلب وعنـز أبناء وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ومنهم بنو عبد القيس بن أفصى والنمر بن قاسط، ومنهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومنهم بنو عجل بن لجيم، ومن رجال بكر مرة وابناه همام وجسَّاس قاتل كليب، وطَرَفة بن العبد الشاعر. ومن بني تغلب كليب بن ربيعة ملك بني وائل الذي قتله جساس، فهاجت بسببه تلك الحرب المعروفة بحرب البسوس بين بني بكر وبني تغلب، ومن ربيعة عنـزة بن أسد بن ربيعة، فمنهم بنو عنـزة، وهم أهل خيبر، ومن بني عنـزة القارظان، ومن ربيعة سدوس واللهازم.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط في المخطوط، وأثبتناه من المطبوع.

ويجتمع معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا في نزار بنو إياد بن نزار، وبنو أنمار بن نزار، فمن بني إياد كعب بن مامة الذي يُضْرَب بجوده المثل، وقُسّ بن ساعدة وكان يضرب بفصاحته المثل، والله أعلم.

وفي صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنت من القرن الذي كنت منه**».

وفي صحيح مسلم[٢] عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من بني كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**». رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن.

وفي حديث رواه الطبراني[٤] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار / [٤] بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني**».

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣٥٥٧].
(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل [٢٢٧٦].
(٣) سنن الترمذي [٣٦٠٨].
(٤) الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥٥) [١٣٦٥٠].

وأم عبد المطلب سلمى بنت زيد، من بني النجار. تزوجها أبوه هاشم بن عبد مناف، فخرج إلى الشام وهي عند أهلها، وقد حملت بعبد المطلب. فمات بغزة، فولدت عبد المطلب، فسمته شيبة. فلما ترعرع خرج إليه عمه المطلب ليأتي به مكة، فأبت أمه، فقال: إنه يلي ملك أبيه، فأذنت له، [فقدم][(١)] به مكة. فقال الناس: هذا عبد المطلب. فقال: ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم. فولي عبد المطلب ما كان يلي أبوه، وأقام لقومه ما أقام آباؤه، وشرف فيهم شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبوه وعظم خطره فيهم.

وكان له أولاد عشرة، أكبرهم الحارث توفي في حياة أبيه. وأسلم من أولاد الحارث اللذان أُسِرا يوم بدر: ربيعة وأبو سفيان، وهو عبد الله.

ومنهم الزبير بن عبد المطلب شقيق عبد الله، ولم يدرك الإسلام. وأسلم من أولاده عبد الله، وضباعة.

ومنهم أبو طالب، واسمه عبد مناف، وقيل: إنه شقيق عبد الله. وحضر الإسلام ولم يسلم. وله من الولد: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي. وبين كل واحد عشر سنين أكبرهم طالب، ثم عقيل، ثم جعفر، ثم علي.

ومنهم أبو لهب، مات عقيب بدر. وله من الولد: عتيبة الذي دعا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتله السبع[(٢)]. وله عتبة، ومعتب، أسلما يوم الفتح.

ومنهم حمزة والعباس، أسلما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) في المخطوط: «فقدمت»، والتصويب من المطبوع.

(٢) أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٤٥٤-٤٥٥).

ومن أولاد عبد المطلب عبد الله أبو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يولد لأبيه وأمه غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ذكر.

وله من البنات ست: البيضاء أم حكيم، تزوجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فولدت له عامرًا أبا عبد الله بن عامر الجواد المشهور، وبناتٍ.

منهن أروى، تزوجها عفان بن أبي أمية، فولدت له عثمان بن عفان. ثم خلفه عليها عقبة بن أبي معيط، فولدت له الوليد، وعاشت إلى خلافة ابنها عثمان.

ومنهن برة أم أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

ومنهن عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية، واختلف في إسلامها.

ومنهن صفية أم الزبير، أسلمت وهاجرت.

[ومنهن أميمة][1] أم آل جحش عبد الله وأبي أحمد وعبيد الله وزينب وحمنة.

ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين - وقيل: أكثر -، وله من العمر عشر ومائة سنة. وكفله عمه أبو طالب، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله.

قال الواقدي[2]: أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثًا وأربعين سنة يحوطه ويحميه، ويقوم بأمره، ويذب عنه، ويلطف به.

---

(١) في المخطوط والمطبوع: «وأروى»، وهو خطأ، فإن أم آل حجش أميمة، وأروى تقدم ذكرها قبل أسطر. وانظر: الإصابة (٨/ ٣١-٣١).

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ١١٩).

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب، أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شَمْسٌ دَجْنٌ[١] تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه الغلام وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق[٢]، وانفجر له الوادي، وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأَبْيَض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِلِ

والثمال بكسر المثلثة الملجأ والغياث، وقيل: المُطْعِم في الشدة. وعصمة للأرامل أي يمنعهم من الضياع والحاجة، والأرامل المساكين من رجال ونساء[٣].

قال ابن إسحاق[٤]: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أمه آمنة ومع جده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، وينبته نباتًا حسنًا لما يريد به من الكرامة.

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بُصْرَى، فرآه بحيرا الراهب، واسمه جرجيس، فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا سجد، ولا تسجد إلا لنبي. وإني

---

(١) **الدجن**: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء. القاموس: مادة (دجن).

(٢) قال ابن منظور: «ماء مغدودق: كثير». لسان العرب (١٠/ ٢٨٣).

(٣) انظر: المواهب (١/ ٩٧).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٢).

أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود... الحديث[١].

رواه ابن أبي شيبة[٢]، وفيه: أنه أقبل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعليه غمامة تظله.

ثم خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة أخرى، ومعه ميسرة غلام خديجة، في تجارة لها حتى بلغ سوق بُصْرَى، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة. فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس. فلما رجعوا إلى مكة ساعة الظهيرة - وخديجة في عِلِّيَة لها - رأت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على بعيره وملكان يظلانه، ذكره أبو نعيم[٣].

وتزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة بعد ذلك، وكانت تحت أبي هالة بن [زرارة][٤] التميمي، ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له هندًا. وكان لها حين تَزْوِيجها برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمر أربعون سنة، فولدت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنين وبنات، وكل ولده من خديجة حاشا إبراهيم، فإنه من مارية القبطية.

فالذكور من ولده القاسم، وبه كان يكنى، وهو أكبر ولده، وعاش أيامًا يسيرة، ولد قبل النبوة، وولدان آخران اختلف في اسمهما، / [٥] وعبد الله والطيب والطاهر. وأما إبراهيم فولد بالمدينة، وعاش عامين غير شهرين، ومات قبل موته عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاثة أشهر يوم كسوف.

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٦٢٠] عن أبي موسى الأشعري.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٧).
(٣) الدلائل (١ / ١٧٢).
(٤) في المخطوط: «زبارة»، وما أثبتناه من الاستيعاب (١/ ١٨١٧)، والإصابة (٧/ ٦٠٠).

وبناته عَلَيْهِ السَّلَامُ **أربع:** زينب أكبر بناته، تزوجها أبو العاص بن الربيع، وكانت خديجة خالته، ومات أبو العاص في خلافة عمر، وولدت له عليًّا مات مراهقًا، وأمامة تزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد فاطمة، ولم تلد له ومات عنها، فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فماتت عنده ولم تلد له. وماتت زينب في حياة أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا رقية، تزوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يكن لها زوج غيره، فولدت له ابنًا مات وله أربع سنين، ثم ماتت رقية بعد بدر بنحو ثلاثة أيام.

وكان له عَلَيْهِ السَّلَامُ فاطمة، تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وابنًا مات صغيرًا اسمه المُحْسِن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له علي بن عبد الله، له عقب. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وماتت فاطمة بعد موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر.

وكان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم كلثوم [أيضًا][(١)]، وهي أصغر بناته، وكانت مملكة بعتبة بن أبي لهب، فلم يدخل بها وطلقها، فتزوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فماتت عنده في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تلد له.

وخديجة أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم ينكح عليها غيرها، وأمره جبرئيل أن يقرأ عليها السلام من ربها[(٢)].

ثم حبب الله إليه الخلوة والتعبد لربه، فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه، وبغضت إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء إليه أبغض من ذلك.

---

(١) قوله: «أيضًا» سقط في المخطوط وأثبتناه من المطبوع.

(٢) البخاري [٣٨٢٠]، ومسلم [٢٤٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأنبته الله نباتًا حسنًا حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، حتى سماه قومه (الأمين) لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية.

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وثلاثين سنة قامت قريش في بناء الكعبة.

قال أهل السير: كان أمر البيت وولايته بعد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ولده، ثم غلبهم عليه أخوالهم من جرهم، فلم يزل في أيديهم حتى استحلوا حرمته، وأكلوا ما يهدى إليه، فظلموا من دخل مكة، فرقَّ أمرهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، وغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ولا بغي، ولا يبغي فيها أحد على أحد إلا أخرجه الله منها، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه، فيقال: ما سميت بكة إلا أنها تبك[(١)] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها[(٢)].

ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني، وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خزاعة البيت يتوارثونه كابرًا عن كابر، حتى كان آخرهم [حُلَيل][(٣)] بن حَبَشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو لحي الخزاعي.

---

(١) أي: تدقُّها. النهاية (١/ ١٥٠).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٠-١٦١).

(٣) في المخطوط: «جليل» بالجيم، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ١٦٤).

ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى [حليل] ابنته، فرغب فيه فزوجه، فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا، فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك [حليل]، فرأى قصيٌّ أنه أولى بالكعبة وبأمر البيت من خزاعة وبني بكر، وأن قريشًا صريح آل إسماعيل، فكلم رجالًا من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه[١]. فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم تداعوا إلى الصلح فحكموا عمرو بن عوف[٢] أحد بني بكر، فقضى بينهم بأن قصيًّا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وكل دم أصابه منهم قصي موضوع تحت شدخه، وما أصابت خزاعة وبنو بكر ففيه الدية، وأن يُخلَّى بين قصي وبين الكعبة ومكة.

فوليها قصيٌّ، وجمع قصي قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه، فأقر آل صفوان على الإجازة بالناس. قال ابن إسحاق[٣]: فكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان.

وأقر عدوان، وكانت فيهم الإفاضة من مزدلفة، يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة.

وأقر النسأة[٤] ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهدم ذلك كله.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٤-١٦٥).

(٢) كذا في الأصل: «عمرو بن عوف»، وعند ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ١٧١): «يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة».

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٨).

(٤) قال السهيلي: «وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين: أحدهما ما ذكر ابن إسحق من تأخير شهر =

فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء. وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة.

وقيل: إن قريشًا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه، فسمته قريش (مجمعًا) لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا يزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم / [٦] ولا يعقدون لواء الحرب ولا غيره إلا في داره يعقده لهم بعض ولده. وما تدَّرِع جارية إذا بلغت أن تدرع إلا في داره، يشق عليها فيها مدرعها[(١)] ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها. فكان أمره في حياته وبعد موته في قومه كالدين المتبع.

واتخذ لنفسه (دار الندوة)، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها. قال السهيلي[(٢)]: ولفظها مأخوذ من لفظ الندى والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي يذهبون قريبا منه ثم يرجعون. وهذه الدار تصيرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك في زمن معاوية، فلامه معاوية على ذلك وقال: أبعت مكرمة آبائك وشرفهم؟! فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى،

=إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات، والثاني تأخيرهم الحج عن وقته منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يومًا أو أكثر قليلًا، يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته، ولذلك قال في حجة الوداع: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض. وكانت حجة الوداع في التي عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسول الله من المدينة إلى مكة غير الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة، والله أعلم.

(١) المدرع ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جبة مشقوقة المقدم. لسان العرب (٨/ ٨٢).

(٢) الروض الأُنُف (٢/ ٥٥).

والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وبعتها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأينا المغبون؟ ذكر هذا الخبر الدارقطني في «أسماء رجال الموطأ» له[١] انتهى.

فلما كبر قصي، وكان عبد الدار بكره، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وعبد العزى وعبد، قال قصي لعبد الدار: أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل من مكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعامًا إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا في دارك. فأعطاه الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة.

وكانت الرفادة خرجًا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب، فيصنع به طعامًا للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد. وذلك أن قصيًّا فرضه على قريش، فقال لهم: يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم. وإن الحجاج ضيف الله، وزوار بيته. وهم أحق الضيف بالكرامة. فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا، وكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجًا، فيدفعونه إليه، فيصنع به طعامًا للناس أيام منى. فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج[٢].

وكان قصي لا يُخالَف، ولا يُرَدُّ عليه شيءٌ صنعه، فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم، ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد بني عبد الدار وأنهم أولى بذلك،

---

(١) وذكره أيضًا الطبراني في الكبير (٣/ ٢٤٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٧٨).

فتفرقت قريش بعضهم مع بني عبد مناف وبعضهم مع بني عبد الدار، فعقد كل قوم حلفا مؤكدًا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا ما بلَّ بحر صوفة[١]. فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملؤة طيبًا أخرجتها لهم بعض نسائهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، فسموا المُطَيِّبين.

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالإسلام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة**»[٢].

وأما (**حلف الفضول**) فقال ابن إسحاق[٣]: اجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان[٤]. وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به في العرب وأشرفه، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

وكان سببه أن رجلًا من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه. فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف من بني عبد الدار ومخزومًا وجمحًا وسهمًا [وعديًا، فأبوا][٥] أن يعينوه على العاص بن وائل. فعلا جبل أبي قبيس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بشعرٍ يصف فيه ظُلامته رافعًا صوته.

---

(١) **صوف البحر**: شيء على شكل الصوف الحيواني، واحدته: صوفة. يقال: لا آتيك ما بلَّ البحر صوفة: أي: لا آتيك أبدًا. لسان العرب: (٩/ ٢٠٠).

(٢) صحيح مسلم [٢٥٣٠] من حديث جبير بن مطعم، ومسند أحمد (١/ ٣٢٩) عن ابن عباس.

(٣) في المخطوط: «عبد الله بن إسحاق»، وهو خطأ، انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٨٢).

(٤) انتهى كلام ابن إسحاق، وما بعده للسهيلي في الروض الأنف (٢/ ٧٢).

(٥) في المخطوط: «فأبوا وعديًا»، والتصويب من الروض الأنف (٢/ ٧٢).

فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك. فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعامًا، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قيامًا، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله لَيكونُنَّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدي إليه حقه ما بلَّ بحرٌ صوفة.

فسمت قريش ذلك الحلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حقه. وقال الزبير بن عبد المطلب في أمرهم ذلك:

/[٧] إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه توافقوا وتعاهدوا ... فالجار والمعتُّر فيهم سالم[(١)]

قال ابن إسحاق[(٢)]: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن [عبد الله][(٣)] بن عوف يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت**»[(٤)].

وعبد الله بن جدعان هذا تيمي يكنى أبا زهير ابن عم عائشة. ولذلك قالت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: «**لا، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر خطيئتي يوم الدين**» أخرجه مسلم[(٥)]. وفي غريب الحديث لابن قتيبة[(٦)] أن رسول الله

(١) الروض الأنف (٢/ ٧١-٧٣)، والمعتر الفقير. القاموس المحيط (ص٥٦٣).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٢).
(٣) في المخطوط: «عبيد الله»، والتصويب من التقريب [٣٠٢٣].
(٤) رواه البيهقي في سننه (٦/ ٥٩٦).
(٥) صحيح مسلم [٢١٢]. وانظر: مسند أحمد (٦/ ٩٣).
(٦) الغريب (١/ ٤٥٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان [في]**[١] **صكة عُمَى**» يعني في الهاجرة.

قال ابن إسحاق[٢]: فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان سفَّارًا قلما يقيم بمكة، وكان مقلًّا ذا ولدٍ، وكان هاشم موسرًا، وكان هاشم أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد بمكة. وكان اسمه عَمْرًا، فما سمي هاشمًا إلا لهشم الخبز بمكة لقومه. قال الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتون عجاف[٣]

قال ابن إسحاق[٤]: ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرًا، فولي السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في القوم وفضل، وكانت قريش تسميه الفياض لسماحته.

ثم هلك المطلب، ثم ولي عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه، فأقامهما للناس وأقام لقومه ما أقام آباؤه، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه.

ثم إن عبد المطلب أُتِيَ في المنام، وأُمِرَ بحفر زمزم. وذلك لأن الجرهمي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة، فعمد عمرو إلى نفائس أمواله[٥] فجعلها في زمزم، وبالغ في طمها، وفر إلى اليمن.

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة في المخطوط، والتصويب من غريب الحديث.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٤-١٨٥).

(٣) في قوله: «مسنتون عجاف» أي: مجدبون مهازيل من شدة ما أصابهم من القحط والجدب.

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٦).

(٥) في المطبوع: «الكعبة» مكان: «أمواله».

فأتي عبد المطلب في المنام وأمر بحفرها، ووُصِفَ له موضعها بعلامات وأمارات. ففعل ذلك، فغدا بمعوله ومعه الحارث ابنه، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطي كبَّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا، فأشركنا فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِّصْتُ به دونكم[1]. فخاصموه إلى كاهنة بني سعد.

وقيل: إنه لما حفر وجد فيها غزالين من ذهب وأدراعًا وأسيافًا، فقالت له قريش: يا عبد المطلب، لنا معك في هذا شرك وحق. فقال: لا، فهلم إلى أمر نصف بيني وبينكم: نضرب عليه بالقداح. قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، ولي قدحين، ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شيء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له. فقالوا: أنصفت. فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش. ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب عليها عند هُبل. وقام عبد المطلب يدعو. وضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش. فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب. فكان أول ذهب حليت به الكعبة فيما يزعمون.

ثم إن عبد المطلب ولي سقاية زمزم للناس[2]، فنذر لله لئن آتاه الله عشرة من الولد يمنعونه لَينحرَنَّ أحدَهُمْ عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم يمنعونه، جمعهم وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحا، ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٩٩).

فدخل بهم على هبل، فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره. فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه. وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب ولده إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى[(١)].

فلما أخذ صاحب القداحِ القداحَ ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله. فأخذ عبد المطلب عبد الله بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل على إساف ونائلة ليذبحه. فقامت إليه قريش من أنديتها، فمنعوه. وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله ابن أخت القوم -: والله لا تذبحه حتى تعذر فيه أبدًا، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه.

ثم أتوا عرافة فسألوها، فقالت: كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل. وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، / [٨] وقربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم.

فقام عبد المطلب يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على عبد الله، فلم يزالوا يزيدون عشْرًا عشرًا، والقدح يخرج على عبد الله، إلى أن بلغوا مائة من الإبل. وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم أعادوا الثانية فخرج على الإبل، ثم أعادوا الثالثة فخرج على الإبل. فنحرت وتركت لا يُصَدُّ عنها إنسان، ولا يُمْنَع. فجرت الدية في العرب مائة من الإبل[(٢)]. وأقرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام.

(١) يقال: رمى فأشوى، إذا لم يصب المقتل. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٥١١).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٣-٢٠٧).

وروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أنا ابن الذبيحين**»[(١)]، يعني إسماعيل وأباه عبد الله. وروى الحاكم في المستدرك أن أعرابيًّا جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله فقال: يا ابن الذبيحين، فتبسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينكر عليه... الحديث[(٢)].

وقد كان السيل هدم الكعبة، فسرق منها لما انهدمت غزال من ذهب وحلي وجوهر، فنقضتها قريش، وكان في حيطانها صورٌ كثيرةٌ بأنواع الأصناف عجيبة، منها صورة إبراهيم [عَلَيْهِ السَّلَامُ] وبيده الأزلام، ويقابلها صورة ابنه إسماعيل على فرس يجري، وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيره في نحو ستين صورة، مع كل واحدة من تلك الصور آلة صاحبها، وكيفية عبادته، وما اشتهر من فعله.

ولما بنت قريش الكعبة، ورفعت سمكها، وتأتَّى لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحله التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة ليبني بها هناك كنيسة، وانتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا، وتنازعوا أيهم يضعه، واتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبة. فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره، وهديه، وصدق لهجته، واجتنابه القاذورات والأدناس. فحكَّموه فيما تنازعوا فيه، وانقادوا لقضائه. فبسط ما كان عليه من رداء، وقيل: كساء، وأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر، فوضعه في وسطه، ثم قال لأربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم، وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو حذيفة بن

(١) في كشف الخفاء (١/ ١٩٩): «قال الزيلعي وابن حجر في تخريج الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ».
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥٤) [٤٠٩٠].

المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عدي السهمي: «ليأخذ كل واحد منكم بجنبة من جنبات هذا الرداء»، فشالوه حتى ارتفع من الأرض، وأدنوه من موضعه، فأخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر ووضعه مكانه[١]، وقريش كلها حضور.

فكان ذلك أول ما ظهر من فعله وقضاياه وأحكامه. فقال قائل ممن حضر من قريش تعجبًا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنًّا: واعجبا لقومٍ أهلِ شرفٍ ورياسةٍ وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنًا، وأقلهم مالًا، فجعلوه رأسًا حاكمًا! أما واللات والعزى ليفوتنهم سبقًا، وليقسمن بينهم حظوظًا وجدودًا، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل معهم الحجارة، وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم، ففعل ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلُبِطَ به أي طاح على وجهه، ونودي: استر عورتك! فما رؤيت له عورة بعد ذلك.

فلما بلغ خمسة عشر ذراعًا سقفوه على ستة أعمدة، وكان البيت يكسى القباطي، ثم كسي البرود، ثم كسي الديباج. وأخرجت قريش الحِجْر لقلة نفقتهم، ورفعوا بابها عن الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا. وكان إذا أراد أن يدخلها من لا يريدون تركوه حتى يبلغ الباب ثم يرمونه[٢].

قال ابن إسحاق[٣]: إنها كانت قبل ذلك رضما فوق القامة.

قال السهيلي[٤]: والرَّضْمُ: أن يُنَضَّدَ الحجارة بعضها على بعضها من غير مِلاط.

(١) أخرج نحوه أحمد في المسند (٣/ ٤٢٥).
(٢) انظر: أخبار مكة (١/ ١٥٧-١٧٤) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٤٩- ٢٥٥).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٩).
(٤) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٢٦٤).

وقوله: «فوق القامة» كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها إذ ذاك. وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع.

قال: وكان بناؤها في الدهر خمس مرات:

الأولى: حين بناها شيث بن آدم.

والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى.

والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام.

والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قبيس، فوقعت في أستارها، فاحترقت. وقيل: إن امرأة أرادت أن تجمرها [فطارت شرارة من المِجْمَر][1] في أستارها، فاحترقت. فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره، فهابوا هدمها وقالوا: نرى أن تصلح ما وَهَىَ ولا تهدم. فقال: إن بيت أحدكم إذا احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاحها، ولا يكمل صلاحها إلا بهدمها. فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر، فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارًا وهولًا أفزعهم، فأمروا أن يقروا القواعد، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر.

وفي الخبر: أنه سترها حين /[٩] وصل إلى القواعد، فطاف الناس بتلك الأستار، فلم تخل قطُّ من طائف، حتى لقد ذكر أنَّ يوم قتل ابن الزبير اشتد الحرب واشتغل الناس، فلم يُرَ طائفٌ يطوف بالكعبة إلا جملٌ يطوف بها.

فلما استتمَّ بناؤها ألصق بابها بالأرض، وعمل لها خلفًا أي بابًا آخر من ورائها، وأدخل الحجر فيها. وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله

(١) ما بين المعقوفين من الروض الأنف (٢/ ٢٦٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة**»، ثم قال: «**لولا حدثان قومك بالجاهلية لهدمتها، وجعلت لها خلفا، وألصقت بابها بالأرض، وأدخلت فيها الحِجْر**»[(١)]، أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة.

فلما قام عبد الملك بن مروان قال: لسنا من تخليط أبي خبيب، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن ربيعة المعروف بالقُبَاع، وهو أخو [عمر][(٢)] بن أبي ربيعة الشاعر، ومعه رجل آخر فحدَّثه عن عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديث المتقدم. فندم، وجعل ينكت في الأرض بمخصرة في يده، ويقول: وددت أني تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك، فهذه المرة الخامسة.

فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير، فشاور في ذلك، فقال له مالك بن أنس: أنشدك بالله يا أمير المؤمنين ألاَّ تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يُغيِّرَهُ إلا غَيَّرَه، فتذهب هيبته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه.

وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها، لأنها أنزلت إليه من الجنة، وكان قد حج إلى موضعها من الهند. وقد قيل أيضًا: إن آدم أول من بناها. ذكره ابن إسحاق في غير رواية البكائي[(٣)].

---

(١) البخاري [١٥٨٣]، ومسلم [١٣٣٣].

(٢) في المخطوط: «عمرو»، والتصويب من الروض الأنف (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: الروض الأنف (٢/ ٢٦٨).

وذكر ابن إسحاق أن الماء لم يعلها حين الطوفان.

ويذكر أن يعرب قال لهود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألا تبنيه؟ قال: إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي، يتخذه الرحمن خليلًا.

فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة، وحج إليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك.

فلما بعث الله إبراهيم ونبت إسماعيل بمكة أمر إبراهيم ببناء الكعبة، فدلته عليه السكينة وظللت له على موضع البيت. فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قبيس.

وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنزل الحجر من الجنة أشدَّ بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم**»(١).

وذكر أيضًا عن عبد الله بن عمرو أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب(٢).

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله، ولا بد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم. فاشترى تلك الدور من أهلها، وهدمها وبنى المسجد المحيط بها.

ثم كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشترى دورًا أُخر، وأغلى في ثمنها وزاد في سعة المسجد.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن [٨٧٧].

(٢) أخرجه الترمذي في السنن [٨٧٨]، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٣-٢١٤).

فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه، لا في سعته، وجعل فيه عمدًا من الرخام، وزاد في أبوابه وحسنها.

فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحسنها، وحمل إليه السواري في البحر إلى جدة، واحتملت من جدة على العجل إلى مكة. وأمر الحجاج بن يوسف، فكساها الديباج. وكان ابن الزبير كساها الديباج قبل [الحجاج][(١)]. ذكره الزبير بن بكار.

ثم كان الوليد بن عبد الملك، فزاد في حليها.

فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا أيضًا في إتقان المسجد، وتحسين هيئته. انتهى كلام السهيلي ملخصًا[(٢)].

❁ ❁ ❁

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين سنة بعثه الله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا إلى الأسود والأحمر، ناسخًا بشريعته جميع شرائع الأنبياء قبله. ونذكر قبل ذلك شيئًا من أمور الجاهلية، وما كانوا عليه قبل مبعثه.

واعلم - رحمك الله - أن أهل الجاهلية لا عذر لهم في ترك رسالة الله؛ لأن الرسالة عمت بني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وأصل ذلك ما ذكر الله أنه لما أهبط آدم ومن معه من الجنة قال سبحانه: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة:٣٨] الآية، وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] الآيات.

---

(١) في المخطوط: «قبل الحرير»، والتصويب من الروض الأنف (٢/ ٢٧٦).

(٢) الروض الأنف (٢/ ٢٧٦-٢٧٧).

وهداه الذي وعدنا به هو إرسال الرسل، وإنزال الكتب. / [١٠] وقد وفى بما وعد، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فتوارث بنوا آدم العلم والهدى عن أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أولَ من بُعِثَ نوحٌ[(١)].

وهكذا قال مجاهد وغير واحد من السلف.

وكان أول ما كادهم به الشيطان من تعظيم الصالحين، كما ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]. فروى البخاري[(٢)] في صحيحه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ﴾ الآية أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت. وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

وروى عبد بن حميد عن محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ﴾ الآية قال: كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، فنشأ قوم بعدهم

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٢٣) [٣٧٠٦].
(٢) البخاري [٤٩٢٠].

يأخذون لأخذهم[١] في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم تنظرون إليهم، فصوروها. ثم ماتوا فنشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها، فعبدوها.

وروى ابن جرير عن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فلما ماتوا [و] جاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم[٢].

وقال ابن القيم[٣]: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، فهولاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل. وهما اللتان أشار إليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٤].

وقال الكلبي[٥]: كان هؤلاء قومًا صالحين، فماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فصوروا صورهم، قال: فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه حتى ذهب ذلك القرن، ثم جاء قرن آخر، فعظموهم أشد من تعظيم الأول، ثم جاء القرن الثالث،

---

(١) هكذا في المخطوط، وفي الدر المنثور (٨/ ٢٩٤): «يأخذون كأخذهم»، وهو أوضح.
(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٩)، وما بين المعقوفين سقط من المخطوط.
(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٨٨).
(٤) البخاري [٤٣٤]، [٤٢٧]، [٥٢٨].
(٥) كتاب الأصنام (ص٥١-٥٣).

فقالوا: ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم، فعبدوهم. فلما بعث الله إليهم نوحًا وغرق من غرق أهبط الماء هذه الاصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء بقيت على الشاطئ، فسفت الريح عليها حتى وارتها.

قال[١]: وكان عمرو بن لحي سيد خزاعة كاهنًا، وكان له رِئِيٌّ من الجن، فأتاه فقال: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة، تجد فيها أصناما معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تُجَبْ. فأتى جدة فاستثارها ثم حملها حتى أوردها تهامة، فحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها، فأجابوه. انتهى ما ذكره هشام بن محمد الكلبي[٢].

وقيل[٣]: إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم [مآب][٤] من أرض البلقاء، وبها يؤمئذ العماليق، فرآهم يعبدون الأصنام فاستحسن ذلك وظنه حقًّا، فقال لهم: ألا تعطوني صنمًا منها فأسير به إلى أرض العرب؟ فأعطوه صنمًا يقال له: هُبَلُ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال السهيلي[٥]: وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربًا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حُلَّة، حتى قيل: إنه اللات الذي كان يَلُتُّ السويق للحاج على صخرة

(١) كتاب الأصنام (ص٥٤-٥٥).
(٢) كتاب الأصنام (ص٥١-٥٥).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٢١-١٢٢) بتصرف.
(٤) في المخطوط: «مأرب»، والتصحيح من سيرة ابن هشام.
(٥) الروض الأنف (١/ ٣٥٧-٣٥٨).

معروفة، فسميت صخرة اللات. وقيل: إن الذي يلتُّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم: إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى «اللات». / [١١] وذكر أبو الوليد الأزرقي في «تاريخ أخبار مكة»[(١)] أن عمرو بن لحي فقأ عين عشرين بعيرًا، وكانوا يفقأون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفًا، فإذا بلغت ألفين فقؤوا عينه الأخرى. قال الراجز:

وكان شكر القوم عند المنن ... كي الصحيحات وفقء الأعين

وكانت التلبية من عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لبيك اللهمّ لبيك، لا شريك لك لبيك)، حتى كان عمرو بن لحي. فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال: (لبيك لا شريك لك)، فقال الشيخ: (إلا شريكًا هو لك)، فأنكر ذلك عمرو فقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: قل: (تملكه وما ملك)، فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو فدانت بها العرب.

فقال ابن إسحاق[(٢)]: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: حُدِّثْتُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، فسألته عمن بيني وبينه من الناس فقال: هلكوا**».

قال محمد بن إسحاق[(٣)]: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: «**يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر**

---

(١) أخبار مكة (١/ ١٠٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٢٠-١٢١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٢١).

قُصْبَه في النار، فما رأيت رجلًا أشبه برجل منك به ولا [بك منه][(١)]». فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه، يا نبي الله؟ قال: «**لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه أول من غير دين إبراهيم، فنصب الأوثان، فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي**».

وفي الصحيحين[(٢)] عن ابن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس. والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم، لا يحمل عليها شيء. قال أبو هريرة: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَه في النار كان أول من سيب السوائب**». والوصيلة: الناقة البكر، تُبَكِّر في أول نِتَاج الإبل، ثم تُثَنِّي بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يُحْمَل عليه شيء، وسموه الحام.

قال ابن إسحاق[(٣)]: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم، فالتمسوا الفسح في البلاد، فكان لا يظعن منهم ظاعن إلا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة وأعجبهم، حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات. وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم، يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وإهداء البدن

(١) في المخطوط: «ولا به منك»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ١٢١).
(٢) البخاري [٤٦٢٣]، ومسلم (٤/ ٢١٩٢) [٢١٢٧].
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ١٢٢).

والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم ما ليس فيه. فكانت قريش وكنانة إذا أهلُّوا قالوا: (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك). فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده. انتهى كلام ابن إسحاق.

وروى الطبراني[(١)] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت تلبية أهل الشرك «لبيك اللهم لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»، فأنزل الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ [الروم:٢٨] الآية.

قال المفسرون: والمعنى أيرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكا له في ماله، فهو وهو فيه على السواء؟! قال أبو مجلز[(٢)]: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذاك. كذلك الله لا شريك له. والمعنى: إن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه؟! وهذا كقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل:٦٢]، أي: من البنات. لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله، وقد كان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم.

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي[(٣)]: وكان من أقدم أصنامهم مناة، وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلل[(٤)] بقديد، بين مكة والمدينة. وكانت العرب

---

(١) في المعجم الكبير (١٢/ ٢٠)، وفي الأوسط (٨/ ٤٥). قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٢٣): «وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف».

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩).

(٣) كتاب الأصنام (ص١٣).

(٤) ثنية تأتي أسفل قديد من الشمال، إذا كنت في بلدة صعبر بين رابغ والقضيمة كانت المشلل مطلع شمس مع ميل إلى الجنوب. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٩٨).

جميعًا تعظمه. وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قاربه من المواضع يعظمونه، ويذبحون له ويهدون له. ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج.

قال هشام[(١)]: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: كانت الأوس ومن جاورهم من عرب يثرب وغيرها يحجون، فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤسهم. / [١٢] فإذا نفروا أتوه، فحلقوا رؤوسهم عنده، لا يرون لحجهم تمامًا إلا بذلك. وكانت مناة لهذيل وخزاعة، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة، وكانت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها، وكانت قريش وجميع العرب تعظّمها. وبها كانت العرب تسمي زيد اللات، وتيم اللات. وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، فلم تزل كذلك حتى بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المغيرة بن شعبة، فهدمها وأحرقها بالنار. انتهى.

وروى ابن جرير[(٢)] بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩] قال: كان يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس[(٣)]: كان يلت السويق للحاج. رواه البخاري[(٤)] بنحوه.

ثم اتخذوا العُزَّى، وهي أحدث من اللاَّت. اتخذها ظالم بن أسعد [بوادي نخلة][(٥)] فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتًا، فكانوا يسمعون منها الصوت.

(١) كتاب الأصنام (ص١٤-١٥).
(٢) تفسير الطبري: (٢٧/ ٥٨).
(٣) تفسير الطبري: (٢٧/ ٥٩).
(٤) البخاري [٤٨٥٩].
(٥) ما بين المعقوفين من المطبوع، وفي المخطوط مكانه: «بواد من نخلة».

قال هشام[١]: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمراتٍ ببطن نخلة. فلما افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة بعث خالد بن الوليد فقال: «**ائت بطن نخلة، فإنك ستجد ثلاث سمراتٍ، فاعضد الأولى**». فأتاها فعضدها. فلما جاء إليه قال: «**هل رأيت شيئًا؟**». قال: لا. قال: «**فاعضد الثانية**». فأتاها فعضدها. ثم أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هل رأيت شيئًا؟**». قال: لا. قال: «**فاعضد الثالثة**». فأتاها، فإذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقيها تضرب بأنيابها وخلفها سادنها، فقال خالد:

يا عزّ كفرانكِ لا سبحانكِ ... إني رأيت الله قد أهانكِ

ثم ضربها، ففلق رأسها، فإذا هي حممة، ثم عضد الشجرة، وقتل السادن. ثم أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره فقال: «**تلك العزى، ولا عُزَّى بعدها للعرب**». انتهى.

وقال بعض العلماء: وكانت الطواغيت الكبار التي تشدُّ إليها الرحال ثلاثة: اللات والعزى ومناة. كما ذكر الله في كتابه حيث يقول: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩-٢٠]. وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب، والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة: مكة والمدينة والطائف. فكانت اللات لأهل الطائف. ذكروا أنه كان في الأصل رجلًا صالحًا يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره مدة، ثم اتخذوا تمثاله، ثم بنوا عليه بنية. وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبًا من عرفات. وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون. فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها. وقسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالها، وخرجت منها شيطانة، فيئست العزى أن تعبد. وأما مناة

(١) كتاب الأصنام (ص٢٥-٢٦).

فكانت لأهل المدينة، يهلون لها شركا بالله. وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله، وأنواعه حتى يتبين له تاويل القرآن، ويعرف ما كرهه الله ورسوله، فلينظر سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في (أخبار مكة) وغيره من العلماء.

ولما كان للمشركين سدرة يعلقون بها أسلحتهم ويسمونها (ذات أنواط)، فقال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: «**الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]. **إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم**»[١]. فأنكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك وأعظم من مشابهتهم المشركين، وهو الشرك بعينه؟! انتهى.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وذلك أنه إذا لم يعرف ما كان عليه أهل الجاهلية وقع فيه وهو لا يشعر.

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي[٢]: وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم هبل. وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان. وكانوا إذا اختصموا في أمر، أو أرادوا سفرا، أتوه فاستقسموا عنده بالقداح.

(١) سنن الترمذي [٢١٨٠].
(٢) كتاب الأصنام للكلبي (ص٢٧-٢٨).

وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد: اعل هبل. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قولوا: الله أعلى وأجل**». وكان لهم إساف ونائلة.

قيل: إن أصلهما أن إساف رجل من جرهم، ونائلة بنت زيد بن جرهم. وكان يتعشقها في أرض اليمن، فأقبلوا حجاجًا، فدخلا البيت، فوجدا غفلة من الناس ففجر بها في البيت، /[١٣] فمسخا حجرين. فأخرجوهما فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ بهما الناس. فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عُبِدا معها، فكانوا يذبحون عندهما. والله أعلم.

قال ابن إسحاق[١] والكلبي[٢]: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم في بجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب. وكان مروة بيضاء منقوشًا عليها كهيئة التاج. وكان له بيت. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجرير: «**ألا تكفيني ذا الخلصة؟**». فسار إليه بأحمس، فقاتلته خثعم وباهلة، فظفر بهم وهدم بيت ذي الخلصة وأضرم فيه النار.

وذو الخلصة اليوم عند عتبة باب مسجد تبالة. وذكر السهيلي[٣] أن موضعه اليوم [مسجد جامع][٤] لبلدة يقال لها: العبلات من أرض خثعم. ذكره المبرد عن أبي عبيدة.

قال السهيلي[٥]: وكان بعث جرير له قبل وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهرين. قال جرير: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تريحني من ذي الخلصة؟**». وكان بيتا في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٣٠).
(٢) كتاب الأصنام (ص٣٤-٣٦).
(٣) الروض الأنف (١/ ٢٢٢).
(٤) بياض في الأصل، والتصحيح من الروض.
(٥) الروض الأنف (١/ ٢٢٣).

خثعم يسمى الكعبة اليمانية. فانطلقت في خمسين ومائة من أحمس إلى ذي الخلصة، وكانوا أصحاب خيل. فقلت: يا رسول الله، إني لا أثبت على الخيل. فضرب بيده في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، وقال: «**اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًا**». فانطلق إليها، فكسرها وحرقها، فأرسل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبشره، فقال رسول جرير: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبيًّا ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب. فبَارَكَ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات. رواه البخاري ومسلم[(١)].

وثبت عن الصادق المصدوق أنه سيعبد في آخر الزمان، وثبت في الحديث أنه لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس وخثعم حول ذي الخلصة[(٢)].

وكان لدوس صنم يقال له: ذو الكفين. فلما أسلموا بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه.

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له: ذو الشرى.

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام، يقال له: الأقيصر.

وكان لمزينة صنم يقال له: بهم، وبه كانت تسمي عبد بهم.

وكان لعنزة صنم يقال له: سعير.

وكان لطيٍّ صنم يقال له: الفلس بين سلمى وأجا.

وكان لأهل كل دار بمكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به. وإذا قدم من السفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به.

---

(١) البخاري [٣٠٢٠]، ومسلم [٢٤٧٦].

(٢) البخاري [٧١١٦]، ومسلم [٢٩٠٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن إسحاق[١]: وكان لخولان صنم يقال له: عم أنس بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم. فما دخل في حق عم أنس من حق الله سموه له وتركوه، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه. وفيهم أنزل الله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام:١٣٦] الآية.

قال ابن إسحاق[٢]: وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة صنم يقال له: سعد؛ صخرة بفلاة من الأرض طويلة. فأقبل رجل منهم بإبل له مؤبلة ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم. فلما رأته الإبل - وكانت تهراق عليه الدماء - نفرت منه، فذهبت في كل وجه. فغضب ربها، فأخذ حجرًا فرماه به، ثم قال: لا بارك الله فيك، نفرت علي إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شَمْلَنا ... ففرقنا سعدٌ فلا نحن من سَعْدِ

وهل سَعْدٌ إلَّا صخْرةٌ بتَنُوفَةٍ[٣] ... من الأرْض لا تدْعو لغيٍ ولا رُشْدِ

وقال أبو رجاء العطاردي[٤]: كنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه. فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثم طفنا به.

وروى الدارمي[٥] عن مجاهد قال: حدثني مولاي[٦] أن أهله بعثوا معه بقدح

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٢٥).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٢٦).
(٣) **التنوفة**: القفر من الأرض. المحكم لابن سيدة (٩/ ٥٠٠).
(٤) أخرج نحوه الدارمي في السنن [٤].
(٥) المصدر السابق، [٣].
(٦) هو السائب بن أبي السائب، كان شريك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، ثم أسلم. تقريب [٢١٩٧].

فيه زبد ولبن إلى آلهتهم، قال: فمنعني أن آكل الزبد وأشرب من اللبن لمخافتها. قال: فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن، ثم بال على الصنم، وهو إساف ونائلة.

قال هارون: كان الرجل في الجاهلية إذا سافر يحمل معه أربعة أحجار: ثلاثة لقدره والرابع يعبده، ويربي كلبه ويقتل ولده.

وروى أيضًا: أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، إنَّا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي. فلما أحانت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، إذ دعوتها يومًا فاتبعتني، فمررت حتى أتيت بئرًا من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها تقول: يا أبتاه يا أبتاه. فبكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل: أحزنت رسول الله! فقال له: «**كف، فإنه يسأل عما أهمه**». ثم قال: «**أعد علي حديثك**». /[١٤] فأعاده فبكى حتى وَكَفَ الدمع من عينه على لحيته، ثم قال له: «**إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك**»[(١)].

ولما فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا، فجعل يطعن [بسِيَة][(٢)] قوسه في وجوهها وعيونها وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، وهي تتساقط على رؤوسها. ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت. خرجاه في الصحيحين[(٣)]

(١) سنن الدارمي [٢].
(٢) **سِيَة القوس**: ما عطف من طرفيها، ولها سيتان، والجمع سِيات. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٣٥).
(٣) البخاري [٤٢٨٧]، ومسلم [١٧٨١].

من حديث ابن مسعود بنحوه، ولم يذكر: «وهي تتساقط... الخ»، وعندهما: «فجعل يطعنها بعود كان في يده... الخ».

قال أبو الحسن[١] المسعودي في كتابه «مروج الذهب»[٢]: كانت العرب في جاهليتها فِرَقًا:

منهم [الموحد][٣] المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور، موقنًا بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي، كقس بن ساعدة المشهور بالفصاحة، ورياب الشني، وبحيرا الراهب، وكان من عبد القيس.

ومنهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة، وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام. وهم الذين حكى الله تعالى قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام، وقصدوها، ونحروا لها البدن، ونسكوا لها النسائك، وحرموا لها، وأحلوا لها.

ومنهم من أقر بالخالق والبدء، وكذب بالرسل والبعث، ومال إلى قول أهل الدهر. وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية.

وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة، ويزعمون أنها بنات الله. فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله. وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ

(١) في المخطوط: «أبو الحسين»، والتصويب من مصادر ترجمته، منها: السير (١٥/ ٥٦٩).
(٢) مروج الذهب (٢/ ١٢٦).
(٣) في المخطوط: «المصدق»، وضرب عليه والمثبت من مروج الذهب.

سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النحل:٥٧] الآية، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] الآيات. انتهى كلامه.

وقال غيره: ومنهم من كان يعبد الجن.

وكانت علومهم علم الأنساب، والأنواء، والتواريخ، وتعبير الرؤيا. وكانت لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيها يد طولى.

وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاء الإسلام بها. وكانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات. وكان أقبح ما يأتونه الجمع بين الأختين. وكان الرجل منهم يتزوج امرأة أبيه. وكانوا يغتسلون من الجنابة. وكانوا يداومون على المضمضة، والاستنشاق، وفرق الرأس، والسواك، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان. وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى، وكانوا يحجون ويعتمرون.

وقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: بائدة، وعاربة، ومستعربة.

أما البائدة فهم الأولى الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم. وهم عاد، وثمود، وجرهم الأولى - وكانت على عهد عاد - فبادوا ودرست أخبارهم. وأما جرهم الثانية: فهم من ولد قحطان، وبهم اتصل إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل.

وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن، من ولد قحطان.

وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل. انتهى.

فصل

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

وتلاعُبُ الشيطانِ بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة. تلاعَبَ بكل قوم على قدر عقولهم. فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، كما تقدم عن قوم نوح. ولهذا لعن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتخذين على القبور المساجد والسرج[٢]، ونهى عن الصلاة إلى القبور[٣]، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا[٤]، وقال: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٥]، وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل.

فأبى المشركون إلا خلاف ذلك كله، إما جهلًا وإما عنادًا لأهل التوحيد. ولم يضرهم ذلك شيئًا. وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين. وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنةً وحجابًا وحَجًّا وقربانًا. ولم يزل في هذه الدنيا قديمًا وحديثًا. فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان، كان به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس، وجعله بيت نار. ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء، بناه بعض المشركين على اسم الزهرة، فخربه عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة، فخربه المعتصم.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٠) بتصرف.

(٢) أبو داود [٣٢٣٦]، والترمذي [٣٢٠].

(٣) مسلم [٩٧٢].

(٤) أبو داود [٢٠٤٢].

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦).

وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند. وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين ناظرهم، فطلبوا تحريقه. وهو مذهب قديم في العالم، وأهله طوائف / [١٥] شتى.

فمنهم عباد الشمس، زعموا أنها ملك من الملائكة، السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك، فتستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتهم أنهم اتخذوا لها صنمًا، بيده جوهر على لون النار. وله بيت خاص قد بنوه باسمه، وجعلوا له وقوفًا كثيرة من القرى والضياع، وله سدنة، وقوام، وحجبة. وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك. ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له. ولهذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة في هذه الأوقات الثلاثة[١] قطعًا لمشابهة الكفار ظاهرًا، وسدًّا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام.

وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنمًا، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي. ومن شريعة عبادته عندهم: اتخذوا لهم صنمًا على شكل عجل، ويجره أربعة، وبيد الصنم جوهرة. ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أيامًا معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه.

ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيها بزعمهم، وبنوا لها هياكل ومتعبدات، لكل كوكب منها هيكل يخصه، وصنم يخصه، وعبادة تخصه. فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه

(١) الحديث في ذلك أخرجه البخاري [٥٨٥]، ومسلم [٨٥٨].

ويعكفون عليه. ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورها. فوضْعُ الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه. وإلا فمن المعلوم أن العاقل لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده. ومن أسباب عبادتها أيضًا أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم وتخبرهم ببعض المغيبات، وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم، فبجهلهم وسقطهم وسفههم يظنون أن المتكلم هو الصنم نفسه المخاطب، وعقلاؤهم يقولون: إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول: إنها الملائكة.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم.

وعبادتها في الأرض من قبل نوح كما تقدم، وهياكلها وسدنتها ومحابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الأرض. قال إمام الحنفاء: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جُعِل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه. وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله، وبعث رسله وأنزل كتبه بإبطاله وإنكاره والرد على أهله. قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:١٦٥] الآية، وقال عن أهل النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، وقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤]. فنهاهم أن يضربوا له مثلًا من خلقه، لم ينههم أن يضربوه هو

مثلًا لخلقه. فإن هذا لم يقله أحد، ولم يكونوا يفعلونه. فإن الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر في فِطَرِ الناس كلهم. ولكِنِ المشبهون يَغْلُون فيمن يعظمونه، فيشبهونه بالخالق. والله أعلم.

ذكر أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

في الصحيحين[١] عن ابن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس. والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم، لا يحمل عليها. والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى. وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إنْ وصلت إحداهما بالأخرى وليس بينهما ذكر. والحامي فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوهُ للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلا يحمل عليه شيءٌ، وسموه الحامي. انتهى.

وقال ابن إسحاق[٢]: البحيرة بنت السائبة، والسائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خُلِّيَ سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها. فهي البحيرة بنت السائبة.

والوصيلة / [١٦] الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: وقد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٣٣).

والحامي إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر، حمي ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره، وخلي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

قال ابن إسحاق[(١)]: فلما بعث الله رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنزل الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة:١٠٣] الآية. وأنزل: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ [الأنعام:١٣٩] الآية. وقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ [يونس:٥٩] الآية.

أمر الحُمْس[(٢)]

قال ابن إسحاق[(٣)]: وقد كانت قريش - لا أدري قبل الفيل أو بعده - ابتدعت للحمس رأيًا رأوه وأرادوه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرم، وولاة البيت، وقاطنو مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئًا من الحل مثل ما تعظمون الحرم، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها [وأن يفيضوا][(٤)] منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة، ولا نعظم غيرها كما تعظم، نحن الحمس والحمس أهل الحرم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٣٤).

(٢) **الحمس**: جمع أحمس. والأحمَسُ: المشتد الصلب في الدين. وسميت قريش حمسًا لزعمهم بأنهم اشتدوا في الدين، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهد والتأله، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَّعْرَ ولا الوبر. ينظر: الروض الأنف (٢/ ١٨٨-١٨٩).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٥٦-٢٦١) بتصرف.

(٤) في المخطوط: «ويفيضون»، والمثبت من السيرة (١/ ٢٧٧).

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

ثم ابتدعوا في ذلك أمورًا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحمس أن يَقِطُوا الأقط، ولا يسلوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتًا من شعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرما. ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: ما ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم إذا جاؤوا حجاجًا أو عمارًا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا شيئا طافوا بالبيت عراة. فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب أحمس، وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه، ولم ينتفع بها هو ولا أحد غيره. فكانت العرب تسمي تلك الثياب اللَّقي. فحملوا على ذلك العرب، فدانت به. أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع المرأة ثيابها كلها إلا درعًا مفرجًا، ثم تطوف فيه. فقالت امرأة من العرب:

اليوم يبدو بعضه أو كُلُّه ... وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩]، يعني قريشًا والعرب. وأنزل فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف:٣١] إلى قوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٣٢] الآية.

ذكر أهل الفترة بين عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

قال المسعودي[١]: وكان بين المسيح ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الفترة جماعة من أهل التوحيد، وممن يقر بالبعث. قد اختلف الناس فيهم، فمن الناس من رأى أن منهم أنبياء، ومنهم من رأى غير ذلك.

فممن ذكر رئاب الشني، وكان من عبد القيس، ثم من شن. وكان على دين المسيح قبل مبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمعوا مناديًا ينادي من قِبَل السماء قَبْل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خير أهل الأرض رئاب الشني، وبحيرا الراهب، ورجل آخر لم يأت بعد)، يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وكان لا يموت أحد من ولد رئاب إلا رأوا طشًا على قبره.

ومنهم أسعد أبو كريب الحميري، وكان مؤمنًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه بسبعمائة سنة، وقال:

شهدت على أحمدٍ أنه ... رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرًا له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود. ولذلك يقول بعض حمير:

وكسونا البيت الذي قد حرّم الله ... .[٢]

ومنهم قُسّ بن ساعدة من إياد بن معد، وكان حكيم العرب. وكان مقرًا بالبعث، وهو الذي يقول: «من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت». وقد ضربت العرب بحكمته الأمثال، قال الأعشى:

---

(١) مروج الذهب للمسعودي (١/ ٦٥).

(٢) تمام البيت: مُلاءً معصّبًا وبرودا.

وأحكم من قس وأجرى من الذي بذي الغيل من غسان أصبح حادرا[(١)]

وقدم وفد من إياد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألهم عنه، فقالوا: هلك. فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ، كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول: / [١٧] «أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. أما بعد، فإن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، بحر يفور، ونجوم تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع. أقسم قس بالله قسمًا: إن له دينًا أرضى من دينٍ أنتم عليه. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟! سبيل مؤتلف، وعمل مختلف»، وقال أبياتًا لا أحفظها. فقام أبو بكر فقال: أنا أحفظها يا رسول الله، فقال:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رحم الله قسًا، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده»[(٢)].

وممن كان في الفترة زيد بن عمرو، أبو سعيد بن زيد أحد العشرة. وهو ابن عم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد كان زيد يرغب عن عبادة الأوثان وعابها، فأولع به عمه الخطاب سفهاء مكة، فسلطهم عليه فآذوه.

---

(١) ذكره أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال (١/ ١١١) بلفظ:

وأبلغ من قُسٍّ وأَجْرَى مِن الذي ... بذِي الغيل مِن خفَّانَ أصبَحَ خَادِرَا

والذي في المطبوع من ديوان الأعشى لا شاهد فيه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣/ ٨٨).

قال ابن إسحاق[١]: واجتمعت قريش يومًا في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه، وينحرون له، ويعكفون عنده، ويديرون به. وكان ذلك عيدًا لهم كل سنة يومًا. فخلص منهم أربعة نفر نجيًا. ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض. قالوا: أجل. وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وعبيد الله بن جحش - وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب -، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى. فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم، التمسوا لأنفسكم دينًا، فإنكم والله ما أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم.

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علمًا من أهل الكتاب.

وأما عبيد الله جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما [قدمها][٢] تنصر وفارق الإسلام، حتى هلك هناك نصرانيًّا[٣]، وخلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على زوجته أم حبيبة بعده، فأرسل إلى النجاشي عمرو بن أمية، فزوجها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار.

وأما عثمان بن [الحويرث][٤] فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٤-٢٨٧).
(٢) في المخطوط: «فلما أسلم»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٥).
(٣) لم نجد هذا بسند يعول عليه.
(٤) في المخطوط: «الحارث»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٦).

وأما زيد بن عمرو فوقف، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموؤودة وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه.

وقال ابن إسحاق[١]: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخًا كبيرًا مسندًا ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك، ولكن لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

قال ابن إسحاق[٢]: وحُدِّثْتُ أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب - وهو ابن عمه - قالا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده»[٣].

قال البخاري[٤]: وقال الليث: كتب إليَّ هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يُحيي الموؤدة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، فأنا أكفيك مؤنتها. فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢).
(٤) أخرجه البخاري [٣٨٢٨] معلَّقًا.

وروى البخاري[(١)] أيضًا عن عبد الله بن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[(٢)] قبل أن ينزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحي، فقُدِّمَت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: لست آكل مما تذبحون على أصنامكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها النبات من الأرض، ثم تذبحونها على / [١٨] غير اسم الله؟!، إنكارًا لذلك وإعظامًا له.

قال موسى[(٣)]: حدثني سالم بن عبد الله - ولا أعلمه يَحُدِّثُ إلا عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويبتغيه، فلقي عالمًا من اليهود، فسأله عن دينهم فقال: لعلي أن أدين بدينكم، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنا أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفًا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم. لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى، فذكر مثله، وقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضب الله شيئًا أبدًا وأنا أستطيع. فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفًا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا

---

(١) برقم [٣٨٢٦].

(٢) هو مكان في طريق التنعيم، بفتح الموحدة ومهملة وبينهما لام ساكنة وآخره مهملة، ويقال: هو وادٍ. انظر: فتح الباري (٣/ ١٧٧).

(٣) هو ابن عقبة، علقه البخاري [٣٨٢٧].

يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه وقال: اللَّهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم. انتهى.

قال ابن إسحاق[1]: وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أربًا واحدًا أم ألفَ ربٍّ ... أَدِيْنُ إذَا تُقُسِّمت الأُمورُ
فلا عُزَّى أدينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بني عمرو أَزُورُ
ولا غنمًا أدينُ وكان ربًا ... لنا في الدَّهر إذْ حِلْمِي يَسِيرُ
ولَكِنْ أعْبُدُ الرحمنَ ربِّي ... لِيَغْفِرَ ذنْبيَ الرَّبُّ الغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمُ احْفَظُوها ... مَتى ما تَحْفَظُوها لا تَبُوروا
تَرَى الأَبْرارَ دَارُهُمُ جِنَانٌ ... وللكفَّار حَامِيَةً سَعِيرُ

وقال أيضًا:

إلى الله أُهدي مِدْحتي وثَنائِيا ... وقَوْلًا رَضِيًا لا يَنِي الدَّهرَ باقِيا
إلى المَلِكِ الأعلى الذي ليس فوقه ... إلهٌ ولا رب يكونُ مُدَانِيا
ألا أيها الإنْسانُ إيَّاكَ والرَّدَى ... فإنَّكَ لا تُخْفِي عن الله خَافِيا
وإيَّاك لا تجعلْ مع الله غيرَه ... فإنَّ سَبِيْلَ الرُّشْدِ أصبح بادِيا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهي ربُّنا ورجائِيا
رَضِيْتُ بك اللَّهمَّ ربًا فلن أُرَى ... أدينُ إلهًا غيرك اللهُ ثانيا
وأنت الذي من فضل مَنٍّ ورحمةٍ ... بعثتَ إلى موسى رسولًا مُناديا
وقلت له: اذهب وهارون فادعوَا ... إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٧-٢٨٨)، ولم يورد المؤلف جميع الأبيات التي ذكرها.

وقــولا لــه: أأنــت سَــوَّيــتَ هـذه ... بلا وَتَـد حتى اطمأنَّت كما هيا
وقــولا لــه: أأنــت رفَّـعـت هـذه ... بـلا عـمـد أَرْفِــق إذًا بـك بـانِـيا
وقــولا لــه: أأنــت سـيرت وسطها ... مـنـيرًا إذا مـا جَـنـهُ الـلـيـل هـاديا
وقولا له: من يرسل الشمس غدوة ... فيصبح ما مسَّت من الأرض ضاحيا
وقولا لهُ: من يُنْبِتُ الحبَّ في الثرى ... فَيُصْبِحَ منه البَقلُ يَهْتَزُّ رابيا
ويُخْــرج مـنـه حـبَّـه في رؤوسـه ... وفي ذاك آيـاتٌ لمن كـان وَاعـيـا
وأنـتَ بفَضْل منك نَجَّيْتَ يُونُسًا ... وقد بات في أضعاف حوتٍ لَيالِيا
وإنــي وإن سبحت بـاسمك ربنا ... لأُكْـثِـر إلَّا مـا غـفـرتَ خطائيا
فـربَّ العباد ألْقِ سَيْبًا[1] ورحْمَةً ... عـلـيَّ وبــارك في بَــنـيَّ ومـالِـيـا

وقال ابن هشام[2]: هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له.

وقال زيد أيضًا:

وأسـلـمـتُ وَجْـهـي لمن أسلمتْ ... لـه الأرضُ تحمِلُ صخرًا ثقالا
دَحـاهـا فـلـمَّـا رآهـا اسـتـقـرت ... على الماء أرْسى عليها الجبالا
وأسـلـمـتُ وَجْـهـي لمن أسلمتْ ... لـه المُــزْن تَحْـمـل عـذبًـا زُلالا
إذا هــي سِـيـقـت إلى بـلـدة ... أطـاعَـتْ فصَبَّتْ عليها سِجالا

وكان الخطاب قد آذى زيدًا، حتى أخرجه إلى أعلى مكة. فنزل حِرَاء[3] مقابل مكة. ووكَّل به الخطاب شبابًا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا

(١) السيب: العطاء.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٨-٢٨٩).
(٣) حراء بكسر الحاء المهملة والمد، جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال، على يسار الذاهب إلى منى.

تتركوه يدخل مكة. وكان لا يدخلها إلا سرًّا، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب، فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم.

ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الأحبار والرهبان، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجاء إلى الشام كلها، حتى انتهى إلى راهب ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دينًا ما تجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظَلَّك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه.

وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية / [١٩] فلم يرض منها شيئًا، فخرج سريعًا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم عَدَوْا عليه فقتلوه، فقال ورقة بن نوفل يبكيه:

رشدتَ وأنعمت ابنَ عمرو وإنما ... تجنَّبْتَ تَنُّورًا من النار حامِيَا
بدينكَ ربًّا ليس ربٌّ كمِثله ... وتركَكَ أوثانَ الطَّواغي كما هيا
وإدراكك الدينَ الذي قد طلبتَه ... ولم تَكُ عن توحيد ربِّك ساهيا
فأصبحتَ في دارٍ كريم مُقامُها ... تُعَلَّل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن ... من الناس جَبَّارا إلى النار هاويا
وقد تُدرِك الإنسانَ رحمةُ ربِّه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[(١)]

وممن كان في الفترة أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان عاقلًا، وكان يتجر إلى الشام فيلقى أهل الكتاب من اليهود، ويقرأ الكتب. وقد كان يعلم أن نبيًا سيبعث

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

في العرب فطمع أن يكون هو. فلما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصُرِفت عنه النبوة حسد وكفر، فكان يقول أشعارًا على آراء أهل الديانة، يصف فيها السماوات والأرض والشمس والقمر والملائكة والأنبياء، ويذكر البعث والنشور، ويذكر الجنة والنار، ويعظم الله وحده.

فمن ذلك قوله:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يكن هكذا فقد ظلما[1]

ووصف أهل الجنة في بعض كلماته فقال:

فلا لغو ولا تأثيم فيها ... وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغتاظ لذلك وتأسف، وأتى المدينة ليسلم فرده الحسد، فرجع إلى الطائف. فبينما هو ذات يوم مع فتية يشرب إذ وقع غراب فنعب[2] ثلاثة أصوات وطار. فقال أمية: أتدرون ما قال؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت. فقال القوم: لتكذبن قوله. قال: احشوا كأسكم، فحشوها، فلما انتهت الكأس الثالثة إلى أمية أغمي عليه، فسكت طويلًا ثم أفاق وهو يقول:

لبيكما لبيكما ... ها أنا ذا لديكما

أنا من خفت عليه النعمة. ولم يحمد الشكر،

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك ما ألما

---

(١) من لم يقلها فنفسَه ظلما، ونُسب إلى النابغة الجعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قصيدة له.

(٢) يقال: نَعَبَ الغراب وغيره يَنْعَبُ وينْعِبُ إذا صاح وصوَّت. انظر: لسان العرب (١/ ٧٦٤).

ثم أنشأ يقول:

إن يوم الحساب يوم عظيم ... شاب منه الصغير شيبًا طويلا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

كل عيش وإن تطاول دهرًا ... صائر مرة إلى أن يزولا

ثم شهق شهقة كانت فيها نفسه[(١)].

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] أنه أمية بن أبي الصلت[(٢)].

وهو أول من كتب (باسمك اللهم)، ومنه تعلمت قريش، ولتعلمه هذه الكلمة سببٌ عجيبٌ، ذكره المسعودي[(٣)].

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية[(٤)] هذا، فخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره[(٥)] أنها جاءت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فحدثته أنها رأت وهي في اليقظة نسرين نزلا على سقف بيتها، وفيه أخوها أمية نائمًا. فشقا السقف، فنزل أحدهما على أمية فشق صدره وحشاه بشيء، ثم أصلحه فخرج. فقال له النسر الآخر: أوعى؟ قال: نعم. قال: هل زكا؟ قال: لا.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٩): «روى ابن مردويه بإسناد قوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وروي من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي وهو المشهور». وانظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٠٥).

(٣) مروج الذهب (١ / ٧١-٧٣).

(٤) ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٠٨) أنها الفرعة وليست عاتكة.

(٥) تفسير الصنعاني (١/ ٢٤٣) بنحوه.

فلذلك كان ينطق بالحكمة في أشعاره، ويذكر التوحيد، ويعظم الرب، ويذكر الجنة والنار. فلما قتل ببدر من قتل من أشراف قريش بكاهم ورثاهم[١]، وحقد على الإسلام، وحرم التوفيق.

ومما ذكر من شعره قوله:

إن آياتِ ربِّنا باقياتٌ ... لا يماري فيهن إلا الكفورُ
خَلقَ الليلَ والنَّهار فكلٌّ ... مُسْتَبينٌ حسابه مقْدورُ
ثم يجلو النهارَ ربٌّ كريمٌ ... بمهاةٍ شُعَاعها مَنْشُورُ
حبس الفيلَ بالمغمَّس[٢] حتى ... ظل يَحبو كأنه مَعْقورُ
لازِمًا حَلقة الجِرانِ كما قُطْ ... طِرَ من صخر كَبْكبٍ[٣] مَحْدُورُ
حَوْلَهُ من مُلُوكِ كِندة أبطا ... لٌ مَلاويثُ في الحروب صُقورُ
خَلَّفُوه ثم ابذعرُّوا جميعا ... كلهم عظم ساقه مكسور
[كُلُّ دينٍ يوم القيامة عند الـ ... ـله إلا دين الحنيفة بُورُ][٤]

---

(١) انظر شعره في أهل بدر في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٢-٤٥).

(٢) **المغمس**: مكان ما زال معروفًا شرقي الحرم، يشرف عليه من الشرق جبل كبكب، والطريق من مكة إلى الطائف المارة بنخلة اليمانية تمر بطرف المغمس من الشمال، وعرفة في نهاية المغمس من الجنوب. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣٠٠).

(٣) جبل لهذيل بين نعمان والمغمس وحنين، أسمر عال، من حيث اتجهت من مكة إلى الطائف تمر بجواره، ماؤه مقسوم بين نَعمان وعُرنة، وإذا وقفت في عرفة ليس بينك وبينه غير جبل سعد. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٦١).

(٤) في المخطوط:

«كل دين عند الله يوم الـ ... ـقيامة إلا ما كان من الحنيفة بور»

وليس بمستقيم، والتصويب من السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٠٢).

ومن ذلك قوله أيضًا:

إلـــه محـمـد حـقًّـا إلهـي ... وديـــني دينـه غـير انـتـحـال
إلـه الـعـالمـين وكـل أرض ... ورب الـراسـيـات مـن الجـبـال
بـنـاهـا وابـتـنـى سبعًـا شـدادًا ... بـلا عـمـد يـريـن ولا حـبـال
وسـواهـا وزيـنـهـا بـنـور ... مـن الـشـمـس المضيئـة والهـلال
ومـن شـهـب تـلألأ في دجـاهـا ... مـراميـهـا أشـد مـن الـنـصـال
وأنـشـا المـزن تـدلج بـالـروايـا ... خـلال الـرعـد مرسلـة العزالي[1]
ليسقى الحـرث والأنـعـام منها ... سـجـال المـاء حـالًا بـعـد حـال
وشـق الأرض فـانـبـجـست عيونا ... وأنـهـارًا مـن الـعـذب الـزلال
/ [٢٠] وبـارك في نواحيها وزكى ... بـهـا مـا كـان مـن حـرث ومـال
وأجـرى الـفـلـك في تـيـار مـوج ... تـفـيـض عـلـى المـداليـج الـثـقـال
وكـل مـعـمـر لا بـد يـومًـا ... وذي دنـيـا يـصـير إلى زوال
ويـفـنـى بـعـد جـدتـه ويـبـلـى ... سوى الباقي المقدس ذي الجلال
كـأنـا لم نـعـش إلا قـلـيـلا ... إذا كـنـا مـن الهـوم[2] الـبـوالـي
وصـرنـا في مـضـاجـعـنـا رمـيـمـا ... إلى يـوم القيامة ذي الأهـوال[3]
ونـادى مـسـمـع المـوتـى فـجـئـنـا ... مـن الأجـداث كالسفن[4] العجال
فـلا أنـسـاب بـين الـنـاس تـرجـى ... ولا رحـم يـدنـي[5] إلى وصـال

(١) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجود قد حلت عزاليها، وأرسلت عزاليها. تهذيب اللغة (٢/ ٨١).
(٢) في المنتظم لابن الجوزي (٣/ ١٥٤): الهام.
(٣) في المنتظم: الوبال، وبه يستقيم البيت.
(٤) في المنتظم: كالشنن، ولعله بضمتين جمع شَنُون للمهزول من الدوابّ.
(٥) في المنتظم: تمتُّ، وبه يستقيم البيت.

سوى التقوى ولا مولى يرجَّى ... سوى الرب الرحيم من الموالي
وسيق المجرمون وهم عصاة ... إلى ذات المقامع والنكال
إلى نار تُحَشُّ بصُمٍّ صخر ... وبالأوصال من أهل الضلال
إذا نضجت جلودهمُ أعيدت ... كما كانت وعادوا في سفال
ونادوا مالكا ودعوا ثبورا ... وعجُّوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا ... وكلهُمُ بحرِّ النار صالِ
وحل المتقون بدار صدق ... وعيش ناعم تحت الظلال
ظلال بين أعناب ونخل ... وبنيان من الفردوس عال
لهم ما يشتهون وما تمنوا ... من اللذات فيها والجمال
ومن إستبرق يكسون فيها ... عطايا جمة من ذي المعالي
وأشربة من العسل المصفى ... ومن لبن ومن ماء الشمال
وكأس لذة لا غول فيها ... من الخمر المُشَعْشَعَة الحلال
على سرر مقابلة عوال ... معارِجُها أذلُّ من النعال

وله أشعار كثيرة غير ذلك.

وفي الصحيح[(١)] عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم».

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: استنشدني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشدته حتى أنشدته مائة قافية. رواه البخاري في الأدب المفرد[(٢)].

(١) البخاري [٣٨٤١]، ومسلم [٢٢٥٦].
(٢) الأدب المفرد [٧٩٩، ٨٦٩]، وأخرجه أيضًا مسلم [٢٢٥٥].

وممن كان في الفترة أبو قيس صرمة بن أبي أنس، من الأنصار من بني النجار. وكان قد ترهب، ولبس المسوح، وهجر الأوثان، ودخل بيتًا واتخذه مسجدًا لا تدخله طامث ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم. ولما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أسلم وحسن إسلامه.

وفيه نزلت آية السحور: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة:١٨٧] الآية.

وهو القائل في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى حبيبا مواتيا

وهو الذي يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
أوصيِّكمو بالله والبر والتقى ... وأعراضكم، والبر بالله أول
وإنْ قومكم سادوا فلا تحسُدُنَّهم ... وإن كنتموا أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن أنتمُ أمعرتُمُ فتعففوا ... وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا
وإنْ ناب غرم فادح فارفعوهُمُ ... وما حملوكم في الملمات فاحملوا

ومن ذلك قوله أيضًا:

سبِّحوا الله شرق كل صباح ... طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ... ليس ما قال ربنا بضلال
يا بَنيَّ الأرحام لا تقطعوها ... وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ... ربما يستحل غير الحلال

واعلموا أن لليتيم وليًّا ... عالمًا يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه ... إن مال اليتيم يرعاه والِ
واجمعوا أمركم على البر والتقـ ... ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال

ومنهم أبو عامر الأوسي، واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، من بني عمرو بن عوف، وابنه حنظلة بن أبي عامر وهو غسيل الملائكة. وكان سيدًا في الجاهلية قد ترهب فيها ولبس المسوح. وكان يسمى في الجاهلية الراهب.

فلما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة جاهره بالعدواة، فخرج فارًا إلى قريش يماليهم على حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء معهم يوم أحد، وحفر حفائر بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتقدم في أول المبارزة فاستمالهم إلى نصره. فلما عرفوه قالوا: لا أنعم الله بك عينًا، يا فاسق، يا عدو الله، ونالوا منه. فرجع وهو يقول: لقد أصاب قومي بعدي شر.

ودعا عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يموت طريدًا بعيدًا، فنالته الدعوة. وذلك أنه لما رأى أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / [٢١] في ارتفاع ذهب إلى هرقل يستنصره على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده. وكتب إلى جماعة من أهل النفاق من قومه يعدهم أنه سيقدم عليهم بجيش، فيخرج محمدًا وأصحابه، وأمرهم أن يبنوا مسجدًا ويستعدوا بما استطاعوا من قوة وسلاح. فبنوا مسجد الضرار، فلما فرغوا أتوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: إنا قد فرغنا من مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله القرآن فيه: ﴿ والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرا ﴾[(١)] الآيات. وأمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن رجع من تبوك فحرِّق[(٢)].

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٤٠٢، ٤٠٣) ذكر فيه القصة مفصلة، وكذلك البداية والنهاية (٣/ ١١٩).

ذكر قصة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن إسحاق[(١)]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن العباس قال: حدثني سلمان الفارسي مِنْ فِيه قال: كنت رجلًا فارسيًا، من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها: جي. وكان أبي دهقان قريته. وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني كما تحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة. قال: فشغل في بنيان له يومًا، فقال لي: يا بني، إني قد اشتغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطلعها. وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم علي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي أمرني بها وبعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون. وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي. فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون. فلما رأيتهم أعجبتني صنعتهم في صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي، فلم آتها. ثم قلت لهم: من [أين أصل هذا الدين؟][(٢)] قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله. فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟! ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟! قال: قلت: يا أبت، مررت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٣-٢٨٢).

(٢) في المخطوط: «من أين أصل إلى هذا الدين»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٤).

بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال: قلت له: كلا، والله إنه خير من ديننا. قال: فخافني أن أهرب، فجعل في رجلي قيدًا ثم احتبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم.

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام.

فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجئت فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: ادخل. فدخلت معه.

قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق.

قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع. ثم مات، واجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إنَّ هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا. فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: إنِّي أدلكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه.

قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا. فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا. قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل فجعلوه في مكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلًا [لا][(١)] يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه. قال: فأحببته حبًّا شديدًا لم أحبه شيئًا قبله.

قال: فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني قد كنت معك فأحببتك حبًا لم أحبه شيئًا من قبلك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغُيِّبَ / [٢٢] لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه. فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني أن ألحق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي، وإلى من تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا رجلًا بنَصِيبِين[(٢)]، وهو فلان.

(١) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٦).

(٢) تقع في أقصى شمال الجزيرة الفراتية على الحدود بين تركية وسورية والحدود تحوزها اليوم إلى تركية، تجاوز مدينة القامشلي السورية ليس بينهما غير الحد، نصيبين شماله والقامشلي جنوبه، ويمر فيهما أحد فروع نهر الخابور. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣١٩).

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي، فقال: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه. فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصاني فلان إليك، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه، إلا رجلًا بعَمُّورِية[1] من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي. فأقمت عنده، خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى صار لي بقرات وغنيمة. قال: فنزل به أمر الله، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ فقال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أصبح أحدٌ على مثل ما كانوا عليه هؤلاء من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبيٍّ هو مبعوث بدين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرضٍ بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغُيِّبَ.

---

(١) كانت عمورية مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركية، فتحها الخليفة المعتصم سنة ٢٢٣هـ وفتح أنقرة، وكان فتحها من أعظم الفتوح الإسلامية، وكان سببه أن امرأة علوية أسرها الروم فأذلوها فنادت: «وامعتصماه». فجاء من أخبر المعتصم بذلك، فقال: أنت سمعتها؟ قال: نعم. فأمر بالجيش فجهز فكان النصر، وكان المنجمون يقولون: إن عمورية لم يحن وقت فتحها، فلما فتحها المسلمون قال أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتبِ ... في حده الحدُّ بين الجد واللعبِ

ولم يبق اليوم من عمورية سوى آثار، وذكرٌ خالدٌ في التاريخ. معجم المعالم الجغرافية (ص٢١٧).

قال: ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفرٌ من كلبٍ تجارٌ، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه. قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني إلى رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي.

فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فحملني إلى المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت عنده بها. وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن مجتمعون بقباء على رجلٍ قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي. قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء - وهي الحمَّى النافض، قال ابن هشام: العُرَواء هي الرعدة من البرد والانتفاض- حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك. قال: فقلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

قال: وكان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بقباء. فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة. فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة. ثم جئت به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر أصحابه فأكلوا معه منها. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليَّ شملتان لي[١]، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي / [٢٣] وصف لي صاحبي. فلما رآني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته. فأكببت عليه أقبِّل وأبكي. فقال لي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تحول، فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك، يا ابن عباس. فعجب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدر وأُحُد. قال سلمان: ثم قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كاتب، يا سلمان. فكاتبت صاحبي على [ثلاث مائة][٢] نخلة أحييها له بالفَقير، - وهي شبه الآبار الصغار[٣] للنخل - وأربعين أوقية. [زاد البلاذري:][٤] وشيء من ذهب.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: أعينوا أخاكم. فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة[٥]، والرَّجلُ بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعينني الرجل

(١) هكذا في المخطوط وفي سيرة ابن هشام، أما طبقات ابن سعد (١/ ٧٥) ففيه: «وعليه شملتان»، وهو أقرب.

(٢) في المخطوط: «مائة»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٢٨١).

(٣) أقحمت في المخطوط بعد لفظة «الصغار» كلمة لا معنى لها، وليس لها ذكر في المصادر.

(٤) تصحف في المخطوط إلى: «زاد البلاد»، وهو خطأ، انظر أنساب الأشراف للبلاذري (ص٤٨٧).

(٥) الودية واحدة الودي، وهو فراخ النخل الصغار. انظر: المخصص لابن سيدة (٣/ ٢١٠).

على كتابتي بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية. فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذهب يا سلمان، ففَقِّرْ لها، فإذا فرغتَ فأْتِني حتى أكون أنا أضعها بيدي.

قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته. فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودية ويضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده حتى فرغنا. فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة.

فأديت النخل وبقي علي المال. فأتي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدِّها مما عليك، يا سلمان. قال: فقلت له: وأين تقع هذه يا رسول الله من الذي علي؟! فقال: خذها، فإن الله سيؤدي عنك. قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده -أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها. وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخندق [حُرًّا][(١)]، ثم لم يفتني مشهد[(٢)]. انتهى.

وفي صحيح البخاري[(٣)] عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب.

وفيه عن أبي عثمان قال: سمعت سلمان يقول: أنا مِنْ رامهرمز.

وفيه عن أبي عثمان عن سلمان قال: فترة بين عيسى ومحمد [صلى الله عليهما وسلم] ستمائة سنة[(٤)].

وفي صحيح مسلم[(٥)] من حديث عياض بن حمار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب».

---

(١) في المخطوط: «وحنين»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٧٥).

(٣) البخاري [٣٩٤٦].

(٤) المصدر السابق [٣٩٤٨]، وما بين المعقوفين منه.

(٥) مسلم [٢٨٦٥]، وهو جزء من حديث طويل.

ذكر صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتب المتقدمة

روى البخاري[(١)] عن عبد الله بن عمرو قال: وجدت في التوراة في صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الله سبحانه: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، ويفتح بها عيونًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا بأن يقولوا: لا إله إلا الله).

وذكر الواقدي من حديث النعمان قال: كان حبر من أحبار يهود باليمن، فلما سمع بذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم عليه فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبي كان يختم على سفر يقول: لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه.

قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك هذه الساعة، وإذا فيه ما يحل وما يحرم، وإذا فيه أنك خير الأنبياء، وأمتك خير الأمم، واسمك أحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمتك الحمادون، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، لا يحضرون قتالًا إلا وجبريل معهم، يتحنن الله إليهم كتحنن النسر إلى فراخه. ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وآمن به وصدق به.

فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أن يسمع أصحابه حديثه. فأتاه يومًا فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا نعمان حدثنا. فابتدأ النعمان الحديث من أوله، فرأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبسم، ثم قال: أشهد أني رسول الله. وهو الذي قتله الأسود العنسي،

(١) البخاري [٢١٢٥، ٤٨٣٨].

وقَطَّعه عضوًا عضوًا وهو يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله وأنك كذَّاب مفترٍ على الله، ثم حرقه بالنار.

وقال أبو العباس[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الرد على النصارى: وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنفات. وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واليهود مقرُّون باللفظ لكن يدَّعون أن المبشر به ليس هو المسيح ابن مريم وإنما آخر ينتظر، وهم - في الحقيقة - لا ينتظرون إلا المسيح الدجال، وينتظرون أيضًا [مجيء][(٢)] المسيح عيسى ابن مريم إذا نزل من السماء ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون: إنها لا تدل على نبي منتظر، كما قالوا في قوله: (سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك يا موسى، أنزل عليه [مثل][(٣)] توراة موسى، أجعل كلامي على فيه).

قال بعضهم: ليس هذا إخبارًا بل هذا استفهام إنكار. وقَدَّروا ألف استفهام - أي: أسأقيم -، وليس في النص شيء من ذلك. واليهود يحرفون الدلالات المبشرة بعيسى / [٢٤] المسيح، وذلك عند النصارى لا يقدح في البشارة بالمسيح، بل يبين دلالة المنصوص عليه وبطلان تحريف اليهود.

وكذلك البشارات في الكتب المتقدمة بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقدح فيها تحريف أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبطلان تحريف أهل الكتاب[(٤)].

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨ هـ)، في كتابه الجواب الصحيح.

(٢) في المخطوط: «لمجيء» باللام، والتصويب من الجواب الصحيح (٥/ ١٨٧).

(٣) سقط من المخطوط، والمثبت من الجواب الصحيح.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٨٧، ١٨٨).

وشهادة الكتب المتقدمة لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله. وهو حجة على أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين، كما ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء:١٩٧]، ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام:١١٤] الآية، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٤٣]، ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:١٣٣].

وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: جاء الله من طُور سَيْنَاء. وبعضهم يقول: تجلَّى الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران. قال كثير من العلماء - واللفظ لأبي محمد[1] -: ليس بهذا خفاء على من يذكره ولا غموض، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة من طور سيناء على موسى، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها سمي من اتبعه نصارى. وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران [إنزاله القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ][2]، وهي جبال مكة. وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا عنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم.

---

(١) أبو محمد هو ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدِّينَوَري.

(٢) سقط من المخطوط، والتصويب من الجواب الصحيح.

قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟!

وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح، أوليس استعلن وعلا وهما بمعنى واحد وهو ظهر وانكشف[١]. فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟!

قال ابن ظفر[٢]: ساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح.

قلت: وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى إلى اليوم ساعير، ولها جبال تسمى ساعير.

وفي التوراة أن نسل العيص[٣] كانوا سكانًا بساعير، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم.

وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقًا: جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه، وفيه كان نزول أول الوحي على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل. وذلك المكان يسمى برية فاران إلى هذا اليوم. والبرية التي بين مكة وطور سيناء برية فاران، ولا يمكن أحدًا أن يقول: إنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث فيها نبي. فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه. ولهذا قال في الأول: (جاء وظهر)،

---

(١) في المخطوط: (وهما ظهر...)، والتصويب من الجواب الصحيح.

(٢) محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصَّقَلِّي. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٣) **العيص**: هو ابن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأمه: رفقا بنت بتويل، وأخوه التوأم يعقوب، والعيص أكبرهما. انظر: الكامل (١/ ٤٦، ٧١).

وفي الثاني: (أشرق)، وفي الثالث: (استعلن). فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران. فإن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر به نور الله وهداه في شرق الأرض ومغربها أظهر مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها. ولهذا سماه الله سراجًا منيرًا وسمى الشمس سراجًا وهاجًا. والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن السراج الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت. وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ليلًا ونهارًا سرًّا وعلانية.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[(١)]. وهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣]. فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة التي نبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل، وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن، وهو البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين، وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه[(٢)].

فقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ..﴾ الآية إقسام منه تعالى بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة، التي ظهر فيها نوره وهداه، وأنزل فيها الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن. كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من

(١) مسلم [٢٨٨٩]، وهو جزء من حديث طويل.
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ١٩٩-٢٠٤).

ساعير، واستعلن من جبال فاران». ولما كان ما في التوراة خبرًا عنها أخبر بها على ترتيبها الزماني، فقدم الأسبق. وأما القرآن / [٢٥] فإنه أقسم بها تعظيمًا لشأنها، وذلك لقدرته وآياته وكتبه ورسله. فأقسم بها على وجه التدريج كما في قوله درجة بعد درجة، فختمها بأعلى الدرجات، فأقسم أولا بالتين والزيتون ثم بطور سَيْنَاء ثم بمكة شرفها الله. لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل، ثم كذلك الأنبياء. فأقسم بها على وجه التدريج كما في قوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات:١-٤]، فأقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة، فأقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحاب الحاملات للمطر، فإنها فوق الرياح، ثم بالجاريات يسرا، وقد قيل: إنها السفن، ولكن الأنسب أن تكون الكواكب المذكورة في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥-١٦]، والكواكب فوق السحاب. ثم قال: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾، وهي الملائكة التي هي أعلى درجة من هذا كله.

وما ذكره ابن قتيبة وغيره من تربية إسماعيل [في][(١)] برية فاران هكذا هو في التوراة[(٢)].

وقال داود في الزبور في قوله: «سبحوا الله تسبيحًا جديدًا، وليفرح بالخلق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر وسداد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحون الله على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه».

وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية، قال

(١) في المخطوط: (وبرية)، وهو خطأ.
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٢٠٧-٢٠٩).

جابر بن عبد الله: «كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا. فوضعت الصلاة على ذلك»، رواه أبو داود وغيره[١]. وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم: عيد الفطر، وعيد النحر في الصلاة والخطبة، وفي أذانهم إلى الصلاة، وفي أيام منى الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون عقيب الصلاة، ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم[٢]. والنصارى يسمون عيد المسلمين (عيد الله الأكبر) لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم غير المسلمين. وإنما كان موسى يجمع بني اسرائيل بالبوق، والنصارى لهم ناقوس.

وكذلك قوله: (بأيديهم سيوف ذات شفرتين)، وهي السيوف العربية التي فتح بها الصحابة وأتباعهم البلاد.

وقوله: (يسبحون على مضاجعهم) بيان لنعت المسلمين، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويصلي أحدهم قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، ويصلون في البيوت على المضاجع، بخلاف أهل الكتاب، والصلاة أعظم التسبيح[٣].

فصل

وقال داود في مزاميره، وهي الزبور: «من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد، فتقلد أيها الجبار بالسيف، [لأن البهاء][٤] لوجهك والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق [وسيمه][٥] التأله، فإن ناموسك وشريعتك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك».

(١) السنن [٢٥٩٩].
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠).
(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٢٣٢-٢٣٤).
(٤) في المخطوط: (لا الها)، والمثبت من الجواب الصحيح (٥/ ٢٣٧).
(٥) في المخطوط غير واضح، والمثبت من الجواب الصحيح.

قال: فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي خرَّت له الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[(١)]. وقد أخبر داود أن له ناموسًا وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرحمة ونبي الملحمة، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، بخلاف من كان ذليلًا للطائفتين من النصارى المقهورين مع الكفار، وكان عزيزًا على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبرًا كلما جاء رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون.

قالوا: وقال داود في مزمورة له: «إن ربنا عظم محمودًا جدًّا».

وفي ترجمته: «إلهنا قدوس ومحمد قد عَمَّ الأرض كلها فرحًا». قالوا: فقد نص داود على اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله، فأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها.

وقد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو: أخبرنا ببعض صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة، وذكر صفة موجودة بنبوءة أشعيا، وليست موجودة في نفس كتاب موسى.

ولفظ (التوراة) يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب، وكذلك ما يوجد كثيرًا في قول كعب الأحبار وغيره: (قرأت في التوراة) إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب، لا يخصون بذلك كتاب موسى.

وأهل الكتاب يجدونه مكتوبا في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما في كتاب موسى خاصة.

---

(١) البخاري [٣٣٥]، ومسلم [٥٢١] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب، فلا يستريب عاقل في كثرة نعته وذكره ونعت أمته في تلك الكتب. ومعلوم أن الله تعالى أراد الاستشهاد به في تلك الكتب وإقامة الحجة بذكره فيها. فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أشهر وأظهر وأكثر كان / [٢٦] الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى[(١)].

قالوا: وقال داود في مزموره: «[ويجوز][(٢)] من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض. وتخر أهل الجزائر بين يديه، وتلحس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتَدِين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويُخَلِّصُ البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويُصَلَّى عليه ويُبَارك في كل حين».

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته لا على المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته[(٣)].

فصل

قالوا: وقال أشعيا النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ معلنا باسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني جعلت أمرك يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد»[(٤)].

ونص على خاتم النبوة: «ولد لنا غلام يكون عجبًا وبشرًا، والشامة على كتفيه، أركون السلام إله جبار[(٥)]، وسلطانه سلطان السلم، يجلس على كرسي داود».

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٣٧-٢٤٠).
(٢) في المخطوط: «وتجوز»، والتصويب من الجواب الصحيح (٥/ ٢٤٦).
(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٢٤٦، ٢٤٨).
(٤) المصدر السابق (٥/ ٢٥٧).
(٥) في المخطوط: «أركون الإسلام إله خيار»، والمثبت من الجواب الصحيح (٥/ ٢٦٠).

قالوا: فهل يبقى بعد ذلك لطاعن أو لزائغ مجال؟ قالوا: الأركون هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة المعظمون. فقد شهد أشعيا بصحة نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصفه بأخص علامته وأوضحها، وهي شامته. فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا المسيح، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود، يعني أنه سيرث بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ورياستهم[(١)].

وقال أشعيا في نبوته: «قيل لي: قم نظارًا فانظر ماذا ترى؟ فقلت: أرى راكبين، مقبل أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصحابها للبحر»[(٢)].

قالوا: فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سقطت أصنام بابل[(٣)].

فصل

قالوا: وقال حزقيل وهو يصف لهم أمة محمد: «وإن أمته أظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيًّا، وينزل عليهم كتابًا، ويملكهم رقابكم، فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيذار في جماعات الشعوب، ومعهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، محيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار، نعوذ بالله من النار».

وذلك أن رجال بني قيذار هم ربيعة ومضر ابنا عدنان، وهما جميعًا من ولد إسماعيل باتفاق الناس، وأما قحطان فقيل: هم من ولد إسماعيل، وقيل: هم من ولد

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٦٠، ٢٦١).
(٢) في الجواب الصحيح: «للمنحر».
(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٢٤٩).

هود. ومضر ولده إلياس بن مضر والنائيس بن مضر، وقريش هم من ولد إلياس بن مضر، وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم من ولد النائيس بن مضر.

وهؤلاء انتشروا في الأرض، فاستولوا على أرض الشام والجزيرة وغيرها، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر في حران وما قرب منها فسميت ديار مضر، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة[(١)].

وقوله: (معهم ملائكة على خيل بيض) فهذا مما تواترت به الأخبار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض.

فصل

وقال دانيال عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكر محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه قال: «ستنزع في قسيك إغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء».

فهذا تصريح بغير تعريض، وتصحيح ليس فيه تمريض، فإن نازع في ذلك منازع فليوجدنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع، وأمر مطاع لا يدفع[(٢)].

وقال دانيال النبي أيضًا: «سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يثوب إليهم أمرهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم أنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم». قال دانيال: «فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول: إن بني إسرائيل عصَوْني وتمردوا عليَّ وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ومن بعد الصدق إلى الكذب،

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٧٢-٢٧٤) البداية والنهاية (٢/ ٢٨١).
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٢٧٢، ٢٧٦).

فلأسلطنَّ عليهم بختنصر، فيقتل رجالهم ويسبي ذراريهم ويهدم بيت مقدسهم ويحرق كتبهم، وكذلك يفعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثراتهم، فلا يزالون مغلوبين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيًا من بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي فبشروها، فأوحي إلى ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدِّق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليَّ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة حافظًا لما استودع، صادقًا بما آمره، يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، رؤوف بمن والاه رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومًا إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه».

قال الناقل لهذه البشارة: ثم سرد دانيال قصة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرفًا حرفًا مما أملاه عليه الملك حتى وصل / [٢٧] آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا. ونبوته كثيرة، وهي الآن في أيدي النصارى واليهود يقرون بها. وفيها ما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها واتصال ملكهم بالقيامة.

قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح والبشارة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها من وصف محمد ووصف أمته بالتفضيل ما يطول وصفه. وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق، كما ذكر ذلك العلماء، منهم أبو العالية: ذكر أنهم لما فتحوا تستر وجدوا دانيال ميتًا ووجدوا عنده مصحفًا. قال أبو العالية: أنا قرأت ذلك المصحف، وفيه صفتكم ولحون كلامكم، وكان أهل تلك الناحية إذا أجدبوا كشفوا عن قبره

فيسقون. فكتب أبو موسى في ذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبرًا فادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به[(١)].

وعن جبير بن مطعم قال: (لما بعث الله نبيه فظهر أمره بمكة خرجتُ إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى، فقالوا لي: أمن الحرم أنت؟ قلت: نعم. قالوا: أفتعرف هذا الذي تنبَّأَ فيكم؟ قلت: نعم. قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرًا لهم فيه تماثيل، قالوا لي: انظر، هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم، فنظرت فلم أر صورته، قلت: لا أرى صورته.

فأدخلوني ديرًا أكبر من ذلك الدير، فيه صور أكثر مما في ذلك الدير. فقالوا لي: انظر، هل ترى صورته؟ فنظرت، فإذا أنا بصفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ قلت: نعم. قالوا: هو هذا؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو.

قالوا: أتعرف هذا الذي آخذ بعقبه؟ قلت: نعم. قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده).

رواه البخاري في تاريخه[(٢)].

قال الذي أراه الصور: لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي.

ورواه أبو نُعيم في دلائل النبوة[(٣)].

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٧٨-٢٨٢)، والأثر في دلائل البيهقي (١/ ٣٨١-٣٨٢)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٧).

(٢) البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ١٧٩) مختصرًا.

(٣) لم نقف عليه في دلائل أبي نعيم، وهو في دلائل البيهقي (١/ ٣٨٤-٣٨٥).

وروى موسى بن عقبة أن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله [ورجلًا آخر قد سماه بعثوا][(١)] إلى ملك الروم زمن أبي بكر، قال: فدخلت على جبلة بن الأيهم وهو بالغوطة... فذكر الحديث، وأنه انطلق بهم إلى الملك، وأنهم وجدوا عنده شبه الرقعة العظيمة مذهبة، وإذا فيها أبواب صغار، ففتح فيها بابًا فاستخرج منها خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء وذكر صفة آدم، ثم فتح بابًا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح، ثم إبراهيم، ثم أراهم حريرة فيها صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال: هذا آخر الأبواب، لكني عجلته لأنظر ما عندكم. ثم فتح أبوابًا أخر، فأراهم صور بقية الأنبياء: موسى وهارون وداود وسليمان وعيسى بن مريم وصفة لوط وصفة إسحاق، وذكر أن هذا كان عندهم قديمًا من عهد آدم، وأن دانيال صورها بأعيانها[(٢)].

وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والإسكندرية أخرج له صور الأنبياء، فأخرج له صورة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرفها[(٣)].

ذكر حدوث الرَّمي، وإنذار الكهان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن إسحاق[(٤)]: وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدَّثوا بأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه بما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

---

(١) في المخطوط: «أن رجلًا آخر قد سماه بعثوه»، والتصويب من الجواب الصحيح (٥/ ١٨٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل مطولًا (١/ ٣٨٥-٣٩٠)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٩). وإلى هنا انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من الجواب الصحيح (٥/ ١٨١-١٨٥).

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٨٦).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢).

وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم. وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما [ذكر][(١)] بعض أموره، ولا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها.

فلما تقارب زمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الشياطين والجن أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وذلك لئلاً يلتبس بالوحي، وليكون ذلك أظهر للحجة، وأقطع للشبهة.

قال السهيلي[(٣)]: وما قاله صحيح، ولكن القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية.

وذكر عبد الرزاق في تفسيره[(٤)] عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد.

وفي قوله: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن:٨] فلم يقل: (حرست) دليل على أنه قد كان منه شيء. فلما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا / [٢٨] وذلك لتحسيم[(٥)] أمر الشياطين وتخليطهم ولتكون الآية أظهر والحجة أقطع.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٣) بتصرف.

(٣) الروض الأنف (٢/ ٣٠٢).

(٤) تفسير الصنعاني (٣/ ٣٢٢).

(٥) كذا في المخطوط، ولعلَّ قصده: لِحَسْم أمر الشياطين.

وإن وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك ما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة، ثم بقيت منه - أعني استراق السمع - بقايا يسيرة، بدليل وجودهم على الندور في بعض الأزمنة والأمكنة. وقد سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكُهَّان فقال: «ليسوا على شيء»، فقيل: إنهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا؟ فقال: «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قرَّ الدجاجة، فيخلط معها أكثر من مائة كذبة»[(١)]. ويروى: خز[(٢)] الدجاجة.

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال: (إذا رمى النشاب الجني لم يخطئه، ويحرق ما أصاب ولا يقتله). وعن الحسن قال: (يقتله في أسرع من طرفة عين).

وروى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب يقال له: لهيب، قال: حضرت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرت عنده الكهانة، فقال: بأبي وأمي، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم. وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، وكان شيخًا كبيرًا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة، وكان من أعلم كهاننا. فقلت: يا الخطر، هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها؟ فإنا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتنا. فقال: ائتوني بِسَحَر، أخبركم الخبر، بخير أم ضرر، أو لأمر أو حذر.

قال: فانصرفنا عنه يومنا. فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه، فناديناه: يا خطر؟ فأومأ إلينا أن أمسكوا،

(١) البخاري [٦٢١٣]، ومسلم [٢٢٢٨].
(٢) كذا في المخطوط، ولم نقف عليه في طرق الحديث.

فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعًا صوته: أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حاله؟ [بلبله][١] بلباله، عاوده خياله، تقطعت حباله، وغيرت أحواله. ثم أمسك طويلًا، وهو يقول:

يا مَعْشَرَ بني[٢] قَحْطَانِ ... أُخْبِرْكُمُ بالحق والبيانِ
أقسمت بالكعبة والأرْكَانِ ... والبلد المؤتمن السدان
[قد][٣] منع السمع عُتَاةُ الجان ... بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوثٍ عظيمِ الشأنِ ... يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصِلِ الفرقان ... [تَبطل][٤] به عبادة الأوثان

قال: فقلت: ويحك يا خطر، إنك لتذكر عظيمًا، فما ترى لقومي؟ قال:

أرى لقومك[٥] ما أرى لنفسي ... أن يَتْبَعوا خير نبي الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس ... يبعث في مكة دار الحمس
يحكم بالتنزيل غير اللَّبس

فقلنا: يا خطر، ومن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل أيش. فقلنا له: بيِّن من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحائم، إنه لمن نجل هاشم، ومن معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم. ثم قال: هذا

(١) في المخطوط غير واضح، والمثبت من مصادر التخريج.
(٢) هكذا في سائر المصادر.
(٣) في المخطوط: (لقد)، والمثبت من الاستيعاب (٣/ ١٣٤٢)، وبذلك يسلم البيت من الانكسار.
(٤) هكذا في سائر المصادر.
(٥) هكذا في سائر المصادر.

هو البيان، أخبرني به رئيس الجان. ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر. ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده»[(١)].

قال الحافظ[(٢)] أبو القاسم في هذا الأثر أصابه إصابة هكذا قيده بكسر الهمزة من إصابة علي بن أبي بكر بن طاهر، ووجهه أن تكون الهمزة بدلًا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح، والمعنى: أصابه وِصابه جمع وَصَب مثل جَمَل وَجِمال. [وقوله][(٣)]: (من آل قحطان وآل أيش)، يعني [بآل قحطان الأنصار][(٤)] لأنهم من قحطان، وأما آل أيش [فيحتمل][(٥)] أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين منسوبون إلى أيش، فإن يكن هذا، وإلا فله معنى في المدح غريب، تقول: فلان أيش هو، ومن أيش هو، ومعناه أي شيء عظيم. فكأنه قال: من آل قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا، كما يقال: هم وما هم؟! وزيد وما زيد؟! وأي شيء زيد؟! و(أيش) في معنى (أي شيء)، كما يقال: (ويلمه) في معنى (ويل أمه) على الحذف لكثرة الاستعمال.

ذكر خبر سواد بن قارب

عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات يوم جالسًا إذ مر به رجل، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتعرف هذا المار؟ قال: ومن هذا؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الذي أتاه رِئِيُّهُ بظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: فأرسل إليه عمر

(١) الاستيعاب (٣/ ١٣٤١)، والروض الأنف (٢/ ٢٠٧).
(٢) في المخطوط: (أبو الحافظ)، هو سبق قلم. والحافظ أبو القاسم هو السهيلي صاحب الروض الأنف.
(٣) في المخطوط: (وفيه)، والمثبت من الروض الأنف (٢/ ٣١٦).
(٤) في المخطوط: (آل قحطان يعني الأنصار)، والمثبت من الروض الأنف.
(٥) ما بين المعقوفين من الروض الأنف، وقد سقط من المخطوط.

/ [٢٩] فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم. قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك.

قال: فغضب وقال: ما استقبلني أحد بهذا منذ أن أسلمت، يا أمير المؤمنين، فقال عمر: سبحان الله، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك. قال: فأخبرني بإتيان رئيك بظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم، واليقظان إذ أتاني رئيي فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب، فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته. ثم أنشأ يقول:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وتَطْلَابِهَا ... وشَدِّهَا الْعِيسَ بأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَى ... مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى هو فيها كلها بين النائم واليقظان، وقال له: قم يا سواد بن قارب، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسولٌ مِن لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته. وأنشده في كل ليلة ثلاثة أبيات بمعنى المتقدمات على قواف أخر، وذكر تمام الخبر.

وفي آخر شعره: أن سوادًا لَمَّا قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنشده ما كان [من][(١)] أمر الجني، وذلك قوله:

أَتَانِي نجيِّي بَعْدَ هدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بكَاذِب
ثَلاَثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ

(١) سقط من المخطوط، والتصويب من الروض الأنف (٢/ ٣٢١).

فَرَفَّعْتُ عن ذيْلي الإِزَارَ وأَرْقَلَتْ ... بيَ العرمس الوَجْنَا هجُول السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ الله لا ربَّ غَيْرُهُ ... وأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلى كُلِّ غَائِبِ
وأَنَّكَ أدْنَى المُرْسَلِينَ وَسِيْلَةً ... إِلَى الله يا ابْن الأَكْرَمِينَ الأَطَايِبِ
فَمُرْنِي بِمَا يأتِيك من وَحْي رَبِّنَا ... وَإِنْ كَانَ فِيْمَا قُلْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وكُنْ لِي شَفِيْعًا يَومَ لا ذو شَفَاعَةٍ ... بِمُغْنٍ فتيلًا عن سَوَاد بن قارب[1]

ولسواد هذا مقام جيد في دوس حين بلغتهم وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام حينئذ سواد فقال: يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتَّعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألا يتَّعظوا إلا بأنفسهم، وإنَّ مَنْ لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل، وإنما تسلمون [اليوم بـ][2] ـما أسلمتم به أمس. وقد علمتم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تناول قومًا أبعد منكم فظفر بهم، وأوعد قومًا أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد، وكل بلاء منسي إلا ما بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء، داخلين فيما فيه أهل العافية، حتى قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيبكم ونقيبكم، فعبر الخطيب عن الشاهد، ونقب النقيب عن الغائب. ولست أدري لعله يكون للناس جولة، فإن يكن فالسلامة منها الأناءة، والله يحبها فأحبوها. فأجابه القوم وسمعوا قوله، فقال في ذلك سواد بن قارب:

جلت مصيبتك الغداة سواد ... وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد ... صلى الإله عليه ما يعتاد

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٩٢-٩٧).
(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من الروض الأنف.

حزنًا لعمرك في الفؤاد مخامرًا ... أوَهل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعًا ... جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا ... وتصدعت وجدًا به الأكباد
كان العيان هو الطريف وحزنه ... باق لعمرك في النفوس تلاد
إن النبي وفاته كحياته ... الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمدًا ... بذلت له الأموال والأولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها ... هذا له الأغياب والأشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينا ... لو كان يفديه فداه سواد
إني أحاذر والحوادث جمة ... أمرا لعاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما نخاف فأنتم ... [للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب ... زدتم وليس لمنية مزداد][1]

ذكر إنذار اليهود برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن إسحاق[2]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: [إنَّ مما][3] دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا. وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي الآن يبعث نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله نبيه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / [٣٠] أجبناه حين دعانا إلى الله

(١) ما بين المعقوفين من الروض الأنف (٢/ ٣٢٤)، وفي المخطوط تقديم وتأخير.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٠).
(٣) في المخطوط: (إنما)، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٠).

وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به وكذبوه. ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:٨٩].

قال ابن إسحاق[١]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدري عما كان سبب إسلام ثعلبة بن [سعية][٢] وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد [إخوة][٣] بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قال: قلت: لا.

قال: فإن رجلًا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الإسلام بسنتين، فحل بين أظهرنا. لا والله ما رأينا رجلًا قط [لا][٤] يصلي الخمس أفضل منه. فأقام عندنا. فكنا إذا قحط المطر علينا قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا. فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة. فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تمر أو مدين من شعير. قال: فنخرجها. ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتِنا، فيستسقي الله لنا. فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونُسْقَى. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث.

قال: ثم حضرته الوفاة عندنا. فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود، أترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: فقلنا: أنت أعلم.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢).
(٢) في المخطوط: «شعية» في مواضع وروده، والمثبت من الاستيعاب (١/ ٢١١)، والإصابة (١/ ٤٠٣).
(٣) في المخطوط: (أخوا)، والمثبت من سيرة ابن هشام.
(٤) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام.

قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه. قد أظلَّكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابًا أحداثًا: يا بني قريظة، والله إنه النبي الذي عهد إليكم ابن الهيبان. قالوا: ليس هو به. قالوا: إنه لهو بصفته، فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأهاليهم[(١)].

كتاب البعث

قال ابن إسحاق[(٢)]: ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين. وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه. يقول الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران:٨١].

وفي الصحيحين[(٣)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢-٢٧٣)، وانظر دلائل البيهقي (٤/ ٣١-٣٢).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٦).
(٣) البخاري [٣، ٦٩٨٢]، ومسلم [١٦].

فجاءه الملك فقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني [فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ]، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

فرجع بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة ما لي؟ فأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد، وهو ابن عمها. وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخًا كبيرًا قد عمي. فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي أنزل على موسى. يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحي[(١)] فترة، حتى حزن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنًا - فيما بلغنا - شديدًا، غدا منه مرارًا كي يتردى / [٣١] من رؤوس

(١) إلى هنا في البخاري [٣].

الجبال، فكان كلما أوفى بذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبرائيل، فقال: يا محمد، إنَّك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع. فإذا طال عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أوفى ذروة الجبل تبدى له جبرائيل فقال مثل ذلك»[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وحدثني وهب بن كيسان مولى الزبير قال: سمعت عبد الله ابن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان أول ما ابتُدئ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النبوة حين جاء جبرائيل؟ قال: فقال عبيد - وأنا حاضر - يحدث عبد الله بن الزبير [و][(٣)]من عنده من الناس: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجاور في غار حراء من كل سنة شهرًا، وكان ذلك مما تحنَّثُ به قريش في الجاهلية، والتحنث التبرر، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين. فإذا قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته. فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراده من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر رمضان، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حراء كما كان يخرج لجواره، ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبرائيل بأمر الله...، فذكر الحديث نحو ما تقدم.

وفيه[(٤)]: فلما قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواره وانصرف راجعًا صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن

(١) البخاري [٦٩٨٢].
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٨-٣٠٠).
(٣) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٨)، وسقط من المخطوط.
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٢).

أخي أخبرني عمّا رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنهْ ولتُؤْذُيَنَّهْ ولتخرجنهْ ولتقاتَلَنَّهْ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يأفوخه، ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزله. انتهى.

ومما ذكر من شعر ورقة فيما أخبرته به خديجة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يا للرجالِ لصَرْفِ الدَّهْرِ والقَدَرِ ... وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ مِنْ غِيرِ
حتَّى خَدِيْجَةُ تَدْعُونِي لأُخْبِرَها ... أمرًا أراه سيأتي الناسَ من أُخَرِ
فخبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سمعتُ به ... فيما مضى من قَدِيمِ الدَّهْرِ والعُصر
بأنَّ أحمدَ يأتيه فيخبرُه ... جبريلُ أنَّكَ مَبْعوثٌ إلى البَشَرِ
فَقلتُ علَّ [الَّذِي][1] ترجين يُنْجِزُهُ ... لكِ الإلهُ فرجِّي الخيرَ وانتظري
وأرسلته إلينا كي نُسَائِلَهُ ... عن أمْرِهِ ما يرى في النوم والسَهَرِ
فقال حين أتانا مَنْطِقًا عجبًا ... يَقِفُّ منه أعالي الجلدِ والشعرِ
إني رأيتُ أمينَ اللهِ واجَهَني ... في صُورَةٍ كملت في أَهْيَبِ الصُوَرِ
ثُمَّ استمر فكان الخوفُ يَذْعرنِي ... مما يسلِّم ما حولي مِنَ الشَّجَرِ
فَقُلتُ ظَنِّي وما أَدْري أَيَصْدُقني ... أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ يتلو مُنْزَل السُّورِ
وسوف أبليك إن أعلنتَ دَعْوتَه ... من الجهاد بلا مَنٍّ ولا كَدَرِ[2]

قال ابن إسحاق[3]: وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه. فقال ورقة:

(١) في المخطوط: «الذين»، وليس بمستقيم، والمثبت من الروض الأنف (٢/ ٢٥٠).
(٢) الروض الأنف (٢/ ٢٥٠)، والبداية والنهاية (٣/ ١١).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٧-٢٤٨).

لئن كان هذا حقًا يا خديجة، إن محمدًا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه، أو كما قال.

قال: فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لجَجْتُ وكنت في الذّكرى لجوجا ... لهمٍّ طالما بعث النشيجا
ووصفٍ مِنْ خديجة بعد وصفٍ ... وقد طالَ انتظاري يا خديجا
ببطنِ المكَّتَيْن على رجائي ... حديثَكِ أن أرى منه خَروجا
بما خبرتِنا من قول قسٍ ... من الرهبانِ أَكرهُ أنْ يَعُوجا
بأنَّ محمدًا سيسودُ قومًا ... ويخصم من يكونُ له حَجِيجا
ويظهرُ في البلاد ضياء نورٍ ... يقيم به البريةَ أن تَمُوجا
فيلقى من يحاربُه خَسارًا ... ويلقى مَنْ يُسَالِمُه فلوجا
فياليتي إذا ما كانَ ذاكُم ... شَهِدتُ وكنتُ أوّلَهُمْ وُلُوجا
وُلُوجًا في الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عَجَّتْ بمكَّتِها عَجِيْجا
أرجِّي بالَّذي كَرِهوا جَمِيعًا ... إلى ذي العَرْشِ إن سَفلوا عروجا
وهل أمرُ السفاهةِ غير كفر ... بمن يختارُ من سمك البُروجا
فإنْ يَبْقوا وأَبقَ تَكُنْ أمورٌ ... يَضِجُّ الكافرون لها ضجيجًا
وإنْ أهلك فكلُّ فتىً سَيَلْقَى ... مِنَ الأقْدَارِ متْلفةً خروجا[1]

ومن قول ورقة أيضًا من رواية يونس عن ابن إسحاق[2]:

/ [٣٢] أتبكرُ أم أنتَ العشِّيةَ رائحُ ... وفي القلب من إِضْمَارِكَ الحزنُ قَادحُ

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٧٥).
(٢) الروض الأنف (٢/ ٢٥٨-٢٥٩).

لفُرقةِ قومٍ لا أُحِبُّ فِرَاقَهم ... كَأَنَّكَ عَنْهم بعدَ يومين نازحُ
وأخبار صدقٍ خَبَّرَت عن محمد ... يخبِّرها عنه إذا غاب ناصحُ
أتاك الذي وجهتِ ترجينَ خيره ... بغورٍ وبالنجدَيْن حيثُ الضَحاضح
إلى سوقِ بُصْرى في الركابِ التي غدتْ ... وهن مِنَ الأحْمَالِ قُعْصٌ دوالح
فخبرنا عن كل خير بِعِلْمِهِ ... وللحقِ أبْوابٌ لهنَّ مَفَاتِحُ
بأنَّ ابن عبد الله أحمد مُرْسَل ... إِلَى كُلِّ مَنْ ضمَّتْ عليه الأباطح
وظنِّي به أن سوف يبعث صادِقًا ... كَما أرسل العَبْدان هودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له ... بهاءٌ ومنشورٌ من الذِّكر وَاضِح
ويَتْبَعُهُ حيا لؤي بن غالبٍ ... شَبَابُهمُ والأَشْيَبُونَ الجحاجح
فإنْ أَبَقَ حتى يدركَ النَّاسُ عَصْرَه ... فإنِّي به مُسْتَبْشِرُ الودِّ فَارِح
وإلاَّ فإنِّي يا خَدِيجةُ فَاعْلَمِي ... عَنَ ارْضِكِ في الأرض العَرِيْضَةِ نازح

وفي الصحيح[(١)]: قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي: قال في حديثه: بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه. فرجعت إلى أهلي، فقلت: دثروني دثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]، فحمي الوحي وتتابع.

(١) البخاري [٤]، ومسلم [١٦١].

فصل

في ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

قال بعض العلماء: وكان نزول جبريل فيما ذكر يوم الاثنين لسبع من رمضان، وقيل: لسبع عشرة مضت، رواه البراء بن عازب. وروي عن أبي هريرة أنه كان في السابع والعشرين من رجب. وقال ابن عمر: لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل.

وقال ابن القيم[(١)]: واحتج القائلون بأنه كان في شهر رمضان بقول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قالوا: أول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم نزل نجومًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، كما روي ذلك عن ابن عباس. انتهى.

قال بعض العلماء: والحكمة في الغط ثلاث مرات شغله عن الالتفاف لشيء آخر، وإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهًا على ثقل القول الذي سيلقى إليه[(٢)].

وقول ورقة: «يا ليتني فيها جذع» الضمير للنبوة، أي: ليتني كنت شابًا حين ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها. وقوله: «فغطني» أي خنقني. و«الناموس» صاحب سر الملك، وقال بعضهم: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر. و«مؤزرًا» من الأزر، وهو القوة والعون. و«اليأفوخ» مهموز، ولا يقال لرأس الصبي: يأفوخ حتى يشتد، وإنما يقال له: الغاذية.

---

(١) زاد المعاد (١/ ٧٨) بتصرف.

(٢) الفتح (٨/ ٥٨٩) والمواهب اللدنية (١/ ١٠٥).

قال السهيلي[١]: وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، فكان يأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل، فجاءه بالقرآن والوحي في أحوال مختلفة.

فمنها النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢]، فقال له ابنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [الصافّات:١٠٢]، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في النوم كما يأتيهم في اليقظة. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، وتلا الآية.

ومنها أن ينفث الكلام في روعه نفثًا، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته». رواه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم[٢].

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه[٣].

وقيل: إن ذلك لِيستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وأتقن لما يلقى، حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض. وجاءه مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترضها.

ومنها أن يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة، ويروى أن دحية إذا قدم المدينة لم يبق مُعْصِرٌ[٤] إلا خرجت تنظر إليه وإلى جماله. وقال

---

(١) الروض الأنف (١/ ٣٩٣-٣٩٥).

(٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٦١، طبعة العطا).

(٣) البخاري [٢].

(٤) **المعصر**: التي بلغت شبابها وأدركت ... القاموس المحيط ص(٥٦٦).

ابن سلام في قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ [الجمعة:١١] قال: اللهو كان نظرهم إلى وجه دحية لجماله.

ومنها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه. وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم.

ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب، إما في اليقظة / [٣٣] كما في ليلة الإسراء، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال: «أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي. [وتجلى لي علم كل شيء وقال لي: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الكفارات][(١)] فقال: وما هن؟ فقلت: الوضوء عند الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فمن فعل ذلك عاش حميدًا ومات حميدًا، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه...»، وذكر الحديث[(٢)].

فهذه ست أحوال[(٣)]. قال ابن القيم[(٤)]: وزاد بعضهم مرتبة سابعة، وهي تكليم الله بغير حجاب.

قلت: وزاد بعضهم مرتبة أخرى[(٥)]، وهي العلم الذي يلقيه الله في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا اجتهد أصاب قطعًا، وكان

(١) ما بين المعقوفتين سقطت من المخطوط، والمثبت من الروض الأنف (٢/ ٣٩٥).
(٢) الترمذي (٥/ ٣٦٨-٣٦٩).
(٣) الروض الأنف (٢/ ٣٩٢-٣٩٥).
(٤) زاد المعاد (١/ ٧٨).
(٥) المواهب اللدنية (١/ ١١١).

معصومًا من الخطأ. وهذا خرق للعادة في حقه دون الأمة، وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد، والنفث بدونه.

وقد ذكر بعضهم أن الحال كان يختلف بالوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد وبشارة نزل الملك في صورة الآدمي وخاطبه من غير كد، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس. انتهى.

قال السهيلي[(١)]: وفي قوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ من الفقه أنك لا تقرأه بحولك، ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ باسم ربك مفتتحًا مستعينًا به، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك وكما خلقه في كل إنسان. فالآيتان المقدمتان لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والآخرتان لأمته.

وكما في قوله[(٢)]: ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق:٤-٥]؛ لأنها كانت أمة أمية لا تكتب، فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم، فتعلموا القرآن بالقلم، وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل، نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين. وفيه من الفقه وجوب افتتاح القراءة ببسم الله، غير أنه اسم مبهم لم يبين له بأي اسم من أسمائه يفتتح، حتى جاء البيان بعد في قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾ [هود:٤١]، ثم قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:٣٠]. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة.

وقول ورقة: (لتكذبنه ولتوذينه) لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت.

وقوله: (أو مخرجي هم) لا بد من تشديد الياء في (مخرجي) لأنها جمع، والأصل (مخرجوني) فأدغمت الواو في الياء، وهو خبر ابتداء مقدم، ولو كان المبتدأ اسما ظاهرًا

---

(١) الروض الأنف (١/ ٣٩٧).

(٢) في الروض الأنف: «وهما قوله» بدل: «وكما في قوله»، ولعله أولى.

لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلًا لا مبتدأ مقدم، كما تقول: (أضارب قومك؟)، (أخارج إخوتك؟) فتفرد، لأنك رفعت به فاعلًا، وهو حسن في مذهب سيبويه والأخفش.

وذكر في الحديث أنه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لتكذبنه)، فلم يقل شيئًا، ثم قال: (ولتؤذينه) فلم يقل شيئًا، ثم قال: (ولتخرجنه) فقال: (أومخرجي هم؟) ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس. وأيضًا فإنه حرم الله وجوار بيته وبلد أبيه إسماعيل، فلهذا تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: (أومخرجي هم). والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم، ويشعر المخاطب بأن الاستفهام على وجه الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه. انتهى كلام السهيلي[(١)].

وقال شيخنا محمد بن عبد الوهاب[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أول ما نزل من القرآن فيه مسائل:

الأولى: الأمر بالقراءة.

الثانية: الجمع بين التوكل والسبب خلافًا لغلاة المتفقهة ولغلاة المتصوفة.

الثالثة: السر الذي في الإضافة في قوله: (بسم ربك) المقتضي للتوكل.

الرابعة: وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته.

الخامسة: ذكر خلقه للإنسان خاصة.

السادسة: كونه من علق.

---

(١) الروض (٢/ ٤٠٧).

(٢) هو والد المؤلف رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وانظر: مجموعة مؤلفاته (٥/ ٣٦٩-٣٧٠).

السابعة: تكرير الأمر بالقراءة.

الثامنة: الوصف بأنه الأكرم.

التاسعة: ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة.

العاشرة: تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم.

الحادية عشرة: أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده.

الثانية عشرة: الحث على التواضع لقوله: (من علق).

الثالثة عشرة: فيه معنى ([اعرف نفسك تعرف ربك])[(١)].

الرابعة عشرة: فيه معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة.

الخامسة عشرة: رجاء فضله لأجل ما تقدم من فضله.

السادسة عشرة: الثناء لصفاته / [٣٤] لكونه الأكرم.

السابعة عشرة: الجمع بين الخلق والتعليم.

الثامنة عشرة: الدلالة على التوحيد.

التاسعة عشرة: الدلالة على النبوة.

العشرون: الرد على الجهمية.

الحادية والعشرون: أن الاستحالة تَطهِّر.

الثانية والعشرون: الرد على القدرية.

الثالثة والعشرون: الرد على الجبرية.

الرابعة والعشرون: أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.

---

(١) في المخطوط: (اعرف ربك تعرف نفسك)، والمثبت من مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٧٠ قسم التفسير).

الخامسة والعشرون: ذكر شرف العلم.

وأما قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ففيه مسائل[(١)]:

الأولى: الدعوة إلى الله لا تقتصر على نفسه.

الثانية: خطابه بالمدثر.

الثالثة: أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

الرابعة: تعظيم الله علمًا وعملًا.

الخامسة: هجران الرجز.

السادسة: قوله ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾.

السابعة: قوله ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾. فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم، وهو الصبر خالصًا. ففيها آداب الداعي، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها. فمنها: الحرص على الدنيا، فنهى عنه بقوله: ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾. ومنها: عدم الجد، فنبَّه عليه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾. ومنها: رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع. ومنها: التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله. ومنها: عدم الصبر على مشاق الدعوة. ومنها: عدم الإخلاص. ومنها: عدم هجران الرجز، أو التقصير في ذلك، وهو من أضرها على الناس، وهو من تطهير الثياب لكن أفرده بالذكر كنظائره.

فأول (اقرأ) فيه الأمر بطلب العلم، وأول المدثر فيه الأمر بالعمل به.

الثانية: أول (اقرأ) فيه معرفة الله، وأول المدثر فيه الأدب معه.

الثالثة: أول (اقرأ) فيه إنعامه عليك، وأول المدثر فيه حقه عليك.

الرابعة: أول (اقرأ) فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه الصبر.

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٣٦٥-٣٦٧).

الخامسة: أول (اقرأ) فيه إخلاص الاستعانة، وأول المدثر فيه إخلاص الصبر.

السادسة: أول (اقرأ) فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه العبادة.

السابعة: أول (اقرأ) فيه أدب المتعلم، وأول المدثر فيه أدب العالم.

الثامنة: أول (اقرأ) فيه معرفة الله ومعرفة النفس، وأول المدثر فيه الأمر والنهي.

التاسعة: أول (اقرأ) فيه معرفتك بنفسك وبربك، وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى.

العاشرة: أول (اقرأ) فيه أصل الأسماء والصفات، وهما العلم والقدرة، وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

الحادية عشرة: في أول (اقرأ) ذكر القلم الذي لا يستقيم العلم إلا به، وفي أول المدثر ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

الثانية عشرة: في أول (اقرأ) ذكر التوكل وأنه يفتح المغلق، وأول المدثر فيه ذكر الصبر الذي يفتحه.

الثالثة عشرة: في أول (اقرأ) العمل المختص، وأول المدثر فيه العمل المتعدي.

الرابعة عشرة: في أول (اقرأ) ست مسائل من الخبر، وفي أول المدثر ست مسائل من الإنشاء.

الخامسة عشرة: في أول (اقرأ) ذكر بدء الخلق، وأول المدثر ذكر الحكمة فيه.

السادسة عشرة: في أول (اقرأ) ذكر أصل الإنسان، وأول المدثر فيه كماله.

السابعة عشرة: في أول (اقرأ) الربوبية العامة، وأول المدثر فيه الربوبية الخاصة.

الثامنة عشرة: في أول (اقرأ) شاهد لقوله: (اعقلها واتكل)، وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

التاسعة عشرة: في أول (اقرأ) ابتداء النبوة، وأول المدثر ابتداء الرسالة.

العشرون: في السورتين شاهد لقوله: (العلم قبل العمل). انتهى كلام شيخنا.

فصل

في الصحيحين[١] عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش. فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم. ثم دعاهم ودعا ترجمانه، ثم قال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم به نسبًا. قال: أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره.

ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذِّبوه. قال: فوالله لولا الحياء من أن يأثر علي كذبًا لكذبت عليه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ فقلت: لا. قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة / [٣٥] لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة ما ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: بماذا يأمركم؟ قال:

---

(١) البخاري [٧]، ومسلم [١٧٧٣].

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها. وسألتك: هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان في آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشات القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا. فكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك: بماذا يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم بأن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقًّا، فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، فلم أكن أظن أنه فيكم. فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت للقائه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه. فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله

ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر.، فما زلت موقنًا أنه سيظهر، حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيليا وهرقل أسقفا على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يومًا خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء[1] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ فقالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على هذا الأمر أتي هرقل برجل يخبرهم أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن. وسأله عن العرب فقال: أهم يختتنون؟ قال: نعم. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

---

(١) يقال للذي ينظر في النجوم: «حزاء»؛ لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره، فربما أصاب. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٧٥).

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من حمص يوافق رأيه رأي هرقل على خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع عليهم فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي؟! فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأَيِسَ من الإيمان منهم قال: ردوهم عليَّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدَّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل.

فصل

ولما دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله تعالى استجاب له عباد الله من كل قبيلة. فكان أول من آمن بالله وبرسوله خديجة / [٣٦] صديقة النساء، وقامت بأعباء الصديقية.

قال ابن إسحاق[(١)]: وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاء من عند الله، ووازرته على أمره. فخفَّف الله بذلك عن رسوله، فكان لا يسمع شيئًا يكرهه مِن ردٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس، حتى ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. انتهى.

قال ابن القيم[(٢)]: ولما قال لها: (لقد خشيت على نفسي) قالت له: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، ثم استدلت بما فيه من الصفات والأخلاق والشيم على أن من كان

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٥).
(٢) زاد المعاد (٢/ ١٩).

كذلك لا يخزى أبدًا. فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، لا تناسب الخزي والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها من كرامة الله له وتمام نعمته عليه. ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يناسبه ما يليق به.

وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. والقصب هو اللؤلؤ المجوف. وهي أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم يتزوج عليها، وكل أولاده منها.

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، يجتمع هو ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مُرَّة. وقيل: اسمه عتيق، وقيل: عتيق لقب لحسن وجهه[1]. واسم أبي قحافة عثمان.

وهو أول من أسلم من الرجال، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا معه إلى الله. وكان أبو بكر مألفًا لقومه، محببًا سهلًا. وكان أنسب قريش لقريش، وبما كان فيها من خير وشر، وكان تاجرًا ذا خلق ومعروف. وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لتجارته وحسن مجالسته وغير ذلك. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه.

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وسعد بن أبي وقاص، واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، والزبير بن العوام بن

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧).

خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد بن زهرة، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[(١)].

وأسلم غير هؤلاء علي بن أبي طالب، وهو صبي، وكان في كفالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذه من عمه في سنة محلٍ إعانةً له.

وبادر إلى الإسلام زيد بن حارثة حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان غلامًا لخديجة فوهبته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تزوجها. وقدم أبوه وعمه في فدائه، فسألا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم: يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عبدك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه. قال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهلا غير ذلك؟ قالا: ما هو؟ قال: أدعوه فأخيِّره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من يختارني أحدًا. قالوا: قد زدتنا على النصف. فدعاه فقال: تعرف هؤلاء؟ قال: نعم. قال: من هذا؟ قال: هذا أبي، وهذا عمي. قال: أنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترْني أو اخترْهما. قال: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني بمكان الأب والعم. قالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك؟! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا! فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: أشهدكم أن زيدًا ابني أرثه ويرثني. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودعي زيد بن محمد،

(١) المصدر السابق (١/ ٣١٧).

حتى جاء الله بالإسلام، فنزلت ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥] فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة[١].

قال معمر في جامعه [عن الزهري][٢]: ما علمنا أحدًا أسلم قبل زيد بن حارثة[٣]. وهو الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه أنعم عليه وأنعم عليه رسوله وسماه باسمه. وقيل: إن عليًا أول من أسلم بعد خديجة.

قال أبو [عمر][٤]: وممن ذهب إلى هذا: سلمان وأبو ذر والمقداد وجابر وأبو سعيد الخدري وزيد بن أرقم وابن شهاب وقتادة وغيرهم.

وقيل: أول رجل أسلم ورقة بن نوفل. وفي جامع الترمذي[٥] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رآه في المنام في هيئة حسنة. وفي حديث آخر أنه رأى عليه ثيابًا بيضا.

قال ابن الصلاح[٦]: والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال / [٣٧] الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان الأحداث علي، ومن النساء [خديجة][٧]، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال. انتهى.

وعن ابن عباس[٨] أنه كان يقول: أول الناس إسلامًا أبو بكر، واستشهد بقول حسان:

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٤-٣١٥).
(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٢٥).
(٣) الجامع لمعمر (١١/ ٢٢٧)، ومصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٢٥).
(٤) في المخطوط: «أبو عمرو»، وأبو عمر هو ابن عبد البر، انظر الاستعياب (٣/ ١٩٧).
(٥) جامع الترمذي (٤/ ٥٤٠) [٢٢٨٨].
(٦) مقدمة ابن الصلاح (ص١٥٠).
(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من مقدمة ابن الصلاح (ص١٥٠).
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٤).

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالي الثاني المحمود مشهده ... وأول الناس طرًا صدق الرسلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

وذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعه فلم ينكر.

وأسلم غير هؤلاء عمرو بن عبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية.

وكان بلال وخالد وسعد وعمر من أولهم إسلامًا.

وبعد هؤلاء أبو عبيدة، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن منبه بن ضبة بن الحارث بن فهر، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن هصيص بن كعب بن لؤي، وأخواه قدامة، وعبد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عمرو بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وكان أبوه زيدٌ قد رفض الأوثان في الجاهلية، ووحد الله، وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يبعث أمة وحده. وقال ابن سعد[١]: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوجة العباس.

وأسلم عُبَيْدَة بن الحارث بن عبد المطلب، وعُمَيْر بن أبي وقاص أخو سعد، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة، وكان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط، وكان سبب إسلامه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلب من غنمه شاة حائلًا فدرت، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد، وسَلِيْط بن عمرو بن ود بن [نصر بن][٢]

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٧٧).

(٢) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠).

مالك بن عامر بن لؤي، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وامرأته أسماء بنت مخرمة التميمية، وخُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص، وهو زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعامر بن أبي ربيعة العنْزي بإسكان النون من عنزة بن وائل من ربيعة حليف آل الخطاب، وعبد الله بن جحش بن رياب بن معمر بن ضمرة بن مرة بن كثير بن عمر بن درد بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية، وأخوه أبو أحمد بن جحش - وكان أعمى -، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وامرأته فاطمة بنت المجلَّل بن عبد الله، وأخوه حطَّاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن مرة بن سهم، والنحام واسمه نُعَيْم بن عبد الله بن أسد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وعامر بن فهيرة الأزدي، أمه فهيرة مولاة أبي بكر الصديق، و[أمينة][1] بنت خلف الخزاعية امرأة خالد بن سعيد بن العاص، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عزيز بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني عدي، وخباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة الخزاعي ولاءً الزهري حلفًا، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرة من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة

(١) في المخطوط: «أمية»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣)، والروض الأنف (٣/ ٢٦).

حلفاء بني عدي، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس، وهو زيد بن مالك بن أدد، ومالك جماع مذحج حليف بني مخزوم.

وأسلم ياسر والد عمار، وأسلم صهيب بن سنان بن مالك ويقال له: الرومي، وكان مولى لعبد الله بن جدعان. ذكره أبو عمر في السابقين، وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به قريش.

ثم إن الله سبحانه أمره أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره ويدعو إليه. فكان مدة إخفاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَه إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره الدين ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه.

ثم قال الله تعالى له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]. ثم قال: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

فلما نادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم / [٣٨] وعابها. فلما فعل ذلك أعظموه ونابذوه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلاَّ من عصم الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون.

---

(١) انظر الاستيعاب (٢/ ٧٢٦) فما بعدها ترجمة صهيب، و(٣/ ١٠٣٠) ترجمة عتبة بن مسعود.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٥).

وحدب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه[١]، لأنه كان شريفًا معظمًا في قريش مطاعًا في مكة، لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى.

قال ابن القيم[٢]: وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها. وأما أصحابه فمن كانت له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب. منهم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته فإنهم عذبوا في الله، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مر بهم وهم يعذَّبون قال: صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

ولقي أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العذاب أمرًا عظيمًا لما ادخر الله لهم من الكرامة في الآخرة. فطعن الفاسق أبو جهل سمية أم عمار بحربة في قبلها فقتلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وكان سادات بلال من بني جمح يأخذونه ويبطحونه على الرمضاء في حر مكة، ثم يلقون على بطنه الصخرة العظيمة، ثم يأخذونه ويلبسونه في ذلك الحر الشديد درعًا حديدًا، ويضعون في عنقه حبلًا، ويسلمونه إلى الصبيان يطوفون به، وهو في كل ذلك صابر محتسب لا يبالي بما لقي في ذات الله، وكان كلما اشتد به العذاب يقول: أحد، أحد.

وأسلم سلمة والوليد ابنا الوليد بن المغيرة، وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة وغيرهم.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٢٧).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٢).

وأعتق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلالًا وأمه حمامة مولاته. وأعتق عامر بن فهيرة، وأعتق أم عبس، وزنيرة، والنهدية، [و][(١)] ابنتها، وجارية لبني عدي كان عمر بن الخطاب يعذِّبها على الإسلام، وذلك قبل أن يسلم.

وقيل: إن أبا قحافة قال له: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أعتقت قومًا جُلْدًا يمنعوك. فقال له أبو بكر: يا أبت، إني أريد ما أريد. ففيه نزلت: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ [الليل:١٧] إلى آخر السورة.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فيما بلغني: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر ما تردد فيه».

ذكر ابتداء فرض الصلاة

قال ابن إسحاق[(٣)]: حدثني صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: افترضت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعًا، وأقرت في السفر على فرضها ركعتين[(٤)].

قال ابن إسحاق[(٥)]: وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبرئيل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضأ جبرئيل ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر ليريه كيف الطهور.

(١) زيادة من سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٤).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٨).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٩-٣١٠).
(٤) البخاري [٣٥٠]، ومسلم [٦٨٥].
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٠-٣١١).

ثم توضأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رأى جبرئيل، فصلى به جبرئيل وصلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاته، ثم انصرف جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة فتوضأ ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبرئيل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم صلى بها رسول الله كما صلى به جبرئيل فصلت. كما ذكره ابن إسحاق.

وقد وصله الحارث بن أبي أسامة[١] فقال: حدثني الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد حدثني زيد بن حارثة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول ما أوحي إليه أتاه جبرئيل فعلَّمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه.

وقد روى ابن ماجه[٢] عن ابن لهيعة عن عقيل عن الزهري بسنده بمعناه.

وروي نحوه عن البراء بن عازب عن ابن عباس.

وفي حديث ابن عباس: فكان ذلك من أول الفريضة.

فالوضوء على هذا مكي بالفرض، مدني بالتلاوة، لأن آية الوضوء مدنية. وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم، ولم تقل: آية الوضوء - وهي هي - لأن الوضوء قد كان مفروضًا، غير أنه لم يكن قرآنًا يتلى حتى نزلت آية المائدة.

وقال مقاتل بن سليمان: فرض الله في أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥]. وقال في فتح الباري[٣]: كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الإسراء يصلي قطعًا، وكذلك

(١) بغية الباحث (١/ ٢١٠).

(٢) سنن ابن ماجه [٤٦٢]، وهو صحيح بشواهده كما قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة [٨٤١].

(٣) الفتح (١/ ٥٥٤).

أصحابه، ولكن اختلفوا هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا؟ فقيل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. انتهى.

وقال النووي: أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة.

قال السهيلي[(١)]: يحتمل أن يكون قول عائشة: (فزيد في صلاة الحضر) أي زيد فيها حتى أكملت خمسًا، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: (فرضت الصلاة ركعتين) قبل الإسراء. وقد قال به طائفة منهم ابن عباس. ويجوز أن يكون معنى قولها: / [٣٩] (فرضت الصلاة) أي ليلة الإسراء حين فرضت الخمس ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك. وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة. وممن رواه هكذا الحسن والشعبي أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه. ذكره أبو عمر[(٢)].

وذكر البخاري[(٣)] من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ففرضت أربعًا. وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله

(١) الروض الأنف (٣/ ١٢).
(٢) الاستذكار لابن عبد البر (١/ ١٧٧).
(٣) البخاري [٣٩٣٥].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين أنبيائه ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، - أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعثني الله به رسولًا للعباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» أو كما قال. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت. وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت، آمنت برسول الله وصدقت بما جاء به وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال: أَمَا إنه لم يَدْعُكَ إلا إلى خير فالزمه[(١)].

وكان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى تقاتلوا، وضرب سعد يومئذ رجلًا من المشركين بلحي جمل فشجه، وكان أول دم أهريق في الإسلام. انتهى[(٢)].

فصل

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفا فصعد عليه، ثم نادى: يا صباحاه. فاجتمع الناس إليه -بين رجل يأتي إليه وبين رجل يبعث رسوله-. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٣-٣١٤).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٦).

الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]. أخرجاه في الصحيحين[(١)].

وروى مسلم[(٢)] عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعمَّ وخصَّ فقال: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها».

فصل

قال ابن إسحاق[(٣)]: ومضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر الله مظهرًا لأمره لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب: عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، قال ابن هشام: وأبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، قال ابن إسحاق: والأسود [بن المطلب بن أسد][(٤)] بن عبد العزى بن قصي،

(١) البخاري [٤٧٧٠، ٤٩٧١، ٤٩٧٢]، ومسلم [٢٠٨].
(٢) مسلم [٢٠٤].
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٨).
(٤) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٨).

وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، والعاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم، أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد عاب ديننا وسب آلهتنا وسفَّه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردَّ عليهم ردًا جميلًا، فانصرفوا عنه.

وقال السدي: إن أناسًا من قريش اجتمعوا - فيهم أبو جهل ابن هشام والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش - فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا به العرب يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه. فبعثوا رجلًا منهم يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي / [٤٠] طالب فقال: هؤلاء مشيخة قريش وسراتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلهم. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكفَّ عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه. قال: فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك. قال: يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟ قال: وإلى ما تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم. فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها؟ قال: يقولون: (لا إله إلا الله). فنفروا وقالوا: سلنا غيرها. قال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها. فقاموا من عنده غضابًا وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك

بهذا. ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦]. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير[(١)]، وزاد: فلما خرجوا دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه إلى قول (لا إله إلا الله)، فأبى وقال: على دين الأشياخ، ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦].

وقال مقاتل: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي سوءًا فقال أبو طالب: حين تروح الإبل فإن حَنَّتْ ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، فقال:

والله لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ بجَمْعِهِم ... حَتَّى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفِينا
فَاصْدَعْ بأَمْرِكَ ما عليك غَضَاضَةٌ ... وابْشِرْ وقَرَّ بذاكَ مِنْكَ عُيونا
ودَعَوْتَني وزَعَمْتَ أَنكَ نَاصِحِي ... ولَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أمينا
وعَرَضْتَ دِينًا لا مَحَالَةَ أنَّه ... مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البَرِيَّةِ دِينا
لولا المَلامة أو حذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتني سَمْحًا بذاكَ مُبِينا[(٢)]

فصل

ولما اشتد أذى المشركين على من آمن وفتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم: اللات إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون: وهذا إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم.

وروى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار حين عذَّبه المشركون حتى يكفر بمحمد، فوافقهم على ذلك مكرهًا، وجاء معتذرًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٧)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٧-١٢٨).
(٢) البداية والنهاية (٣/ ٤١).

وأنزل الله هذه الآية: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ [النحل:١٠٦] الآية[(١)].

ورواه البيهقي[(٢)] أيضًا وفيه أنه سب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر آلهتهم بخير، وأنه قال: يا رسول الله ما تُرِكْتُ حتى سببتك. قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنًا. قال: إن عادوا فعد.

فلما اشتدَّ البلاء عليهم أذن لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، وقال: «إن بها ملكًا لا يظلم الناس»[(٣)].

وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله، وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل، وأبو سلمة وامرأته أم سلمة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي [حَثْمَة][(٤)]، وأبو سَبرْة بن أبي رهم، وحاطب بن عمرو، وسهيل بن وهب، وعبد الله بن مسعود. خرجوا متسللين سرًا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من المبعث، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر فلم يدركوا منهم أحدًا، ثم رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم أن قريشًا صافوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفوا عنه.

---

(١) انظر زاد المسير (٤/ ٤٩٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٥)، والإصابة (٤/ ٤٧٤).
(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٦٢).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٧).
(٤) في المخطوط: «خيثمة»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩). وانظر الإصابة (٨/ ١٠٢).

وسبب ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ سورة النجم، فلما بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩-٢٠] ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وقد علمنا أن الله هو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا تشفع عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه المسلمون والمشركون، إلا شيخًا من قريش رفع إلى جبهته حصى فسجد عليه وقال: يكفيني هذا. فحزن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنًا شديدًا وخاف من الله خوفًا عظيمًا. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] الآيات[(١)].

ولما استمرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سب آلهتهم عادوا إلى شر ما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم. فلما قرب مهاجرة الحبشة من مكة وبلغهم أمرهم توقفوا عن الدخول، ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش. ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب من قريش وسطت بهم عشائرهم، وصعب عليهم ما بلغهم عن /[٤١] النجاشي من حسن جواره، فأذن لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية. فكان خروجهم الثاني أشق عليهم وأصعب، فكان عدة من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانون رجلًا إن كان فيهم عمار بن ياسر فإنه يشك فيه. قاله ابن إسحاق[(٢)]. ومن النساء تسع عشرة امرأة.

---

(١) في ثبوت هذه القصة نظر، فقد رواها ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٠٥-٢٠٦) من طريق الواقدي، وهو متروك، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٨٧ فما بعدها) من طرق كلها ضعيفة لإرسالها، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٢٧). وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ (٣/ ٢٣٠): «قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق... ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح».

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨).

وهم جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس فولدت له هناك محمدًا وعبد الله وعونًا.

ومن بني أمية بن عبد شمس: عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكناني، وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ولدت له هناك سعيدًا و[أمة][1]، وهي أم خالد وهي التي تزوجها الزبير بعد ذلك فولدت له خالدًا وعمرًا.

ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش، وأخوه عبيد الله معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك ومات مرتدًا، وقيس بن عبد الله رجل منهم معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب، ومعيقيب بن أبي فاطمة عديد لبني العاص بن أمية وهو من دوس.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من قيس عَيْلان حليف بني نوفل، وهو الذي بنى البصرة وأسَّسها أيام عمر.

ومن بني أسد بن عبد العزى: الزبير بن العوام، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد.

ومن بني عبد بن قصي: طليب بن عمرو بن وهب بن أبي كثير بن عبد، وقد انقرض جميع بني عبد بن قصي.

ومن بني عبد الدار بن قصي: سويبط بن [سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وجَهْم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن

(١) في المخطوط: «آمنة»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠)، والإصابة (٧/ ٥٠٦).

عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش][(١)] بن عامر بن بياضة، من خزاعة، وابناه عمرو وخزيمة [بن][(٢)] جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار[(٣)].

ومن بني زهرة: عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عون بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب.

ومن حلفائهم من هذيل: عبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن عمرو بن ثعلبة، وكان يقال له: المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة، وذلك أنه تبناه في الجاهلية وحالفه.

ومن بني تيم بن مرة: الحارث بن خالد بن صخر ومعه امرأته ريطة بنت الحارث من بني تيم، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة وزينب وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن عمرو من بني تيم.

ومن بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة، فولدت له بأرض الحبشة زينب، وشماس بن عثمان واسمه عثمان، وهبار بن سفيان، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، ومن حلفائهم مُعَتِّب بن عوف من خزاعة.

---

(١) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢).

(٢) في المخطوط: «بنت»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢).

ومن بني جُمَح: عثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخوه قدامة، وأخوه عبد الله، وحاطب بن الحارث معه امرأته فاطمة بنت المجلل، وابناه محمد والحارث، وأخوه حطَّاب بن الحارث معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار، وسفيان بن معمر معه ابناه جابر وجُنَادة، وامرأته حسنة وهي أمهما، وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة.

قال ابن هشام[(١)]: شرحبيل بن عبد الله أخو الغوث بن مر أخي تميم بن مر.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وعثمان بن ربيعة.

ومن بني سهم: خنيس بن حذافة بن قيس، وأخوه قيس وعبد الله، وهشام بن العاص أخو عمرو بن العاص، وعمير بن رِئَاب، وأبو قيس بن الحارث، وأخوه الحارث بن الحارث، وعمير بن الحارث، وسعيد بن الحارث، وبشر بن الحارث، ومحمية بن جزء الزبيدي، ومعمر بن الحارث، وأخ له من أمه من بني تميم يقال له: سعيد بن عمرو، والسائب بن الحارث.

ومن بني عدي بن كعب: معمر بن عبد الله، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة، وابنه النعمان، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل ومعه امرأته.

ومن بني عامر بن لؤي: أبو سبرة بن أبي رُهْم معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وعبد الله بن مخرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن [عمرو][(٣)]، وأخوه السكران بن عمرو ومعه امرأته سودة بنت زمعة، ومالك بن زمعة معه امرأته عمرة بنت السعدي، وأبو حاطب بن عمرو، وسعد بن خولة حليف لهم.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٠٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٠٥).

(٣) في المخطوط: «عمر»، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٧).

/[٤٢] ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة بن الجراح، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب ولكن أمه غلبت على نسبه، وهي دعد بنت جحدم وكانت تدعى بيضاء، وعمرو بن أبي سَرْح، وعياض بن زهير، وعمرو بن الحارث بن زهير، وعثمان بن غنم، وسعد بن عبد قيس، والحارث بن عبد قيس[(١)].

قال ابن القيم[(٢)]: وقد ذكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدرًا، فإما أن يكون هذا وهمًا، وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر، فيكون لهم ثلاث قدمات: قدمة قبل الهجرة، وقدمة قبل بدر، وقدمة عام خيبر. ولذلك قال ابن سعد وغيره: إنهم لما سمعوا مهاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة أرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلًا ومن النساء ثمان، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس سبعة، وشهد بدرًا أربعة وعشرون رجلًا.

وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال وبلغ ذلك قريشًا.

فصل

فلما كان بعد بدر اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا: إنَّ لنا في الذين عند النجاشي ثأرًا، فاجمعوا مالًا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم مَنْ عنده، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم. فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدية.

فركبا البحر، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا: قومنا لك ناصحون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٦-٤٠٧).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٦).

كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه إلا السفهاء، فضيَّقنا عليهم وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد فقتلهم الجوع والعطش، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم. وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي تُحَيَّا بها، رغبة عن دينك.

فلما دعاهم النجاشي وحضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب: يستأذن عليك حزب الله. فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه. ففعل، فقال: نعم، فليدخلوا بأمان الله وذمته. فدخلوا ولم يسجدوا له. فقال: ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك وملكك. وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبيًّا صادقًا، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة. فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟ قال جعفر: أنا. قال: فتكلم. قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما فتسمع كلامنا. فقال عمرو بن العاص لجعفر: تكلم. فقال جعفر للنجاشي: سله أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا قد أَبَقْنا من موالينا فارددنا إليهم. فقال عمرو: بل أحرار كرام. فقال: هل أَرَقْنا دمًا بغير حق فيقتص منا؟ قال: لا، ولا قطرة. قال: فهل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟ قال عمرو: لا، ولا قيراط. قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال: كنا وإيَّاهم على دين واحد: على دين آبائنا، فتركوا ذلك واتبعوا غيره. فقال النجاشي لجعفر: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ واصدقني.

فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة. وأما الذي تحوَّلنا إليه فدين الإسلام، جاءنا به من الله رسول، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقًا له. فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم، فعلى رسلك.

ثم أمر بضرب الناقوس، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فقال: أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيًا مرسلًا؟ قالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي: ما يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه؟ قال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم، ويأمرنا أن / [٤٣] نعبد الله وحده لا شريك له. فقال: اقرأ ما يقرأ عليكم. فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع. فقال: زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف.

فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال: إنهم يسبون عيسى وأمه. فقرأ عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين فقال: والله ما زاد عيسى على ما يقول هؤلاء نقيرًا.

قال ابن إسحاق[(١)]: فلما قال ذلك تناخرت بطارقته حوله. فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم[(٢)] بأرضي - والسيوم الآمنون - من سَبَّكُم غرم، فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم، ما أحب أن لي دَبَرًا من ذهب وأني آذيت رجلًا منكم. والدبر بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ، فأطيعهم فيه.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٧).

(٢) في كلا الموضعين عند ابن هشام في السيرة (١/ ٤١٧): «شيوم» بالشين المعجمة.

فخرجا مقبوحين مردودًا عليهما ما جاآ به، وفيهم نزلت: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة:٨٣] الآيات. قاله قتادة وغير واحد[(١)].

وقيل: بعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين: الأولى عند هجرتهم، والثانية عقب وقعة بدر. وكان عمرو بن العاص رسولًا في المرتين ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد، وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان[(٢)].

فصل

فلما كان في ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري.

فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال: لو قدرت أن آتيه لأتيته. وكتب إليه أن يزوِّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر هناك ومات، فزوَّجه إياها، وأصدقها عنه أربعمائة دينار. وكان الذي تولَّى تزويجها خالد بن سعيد بن العاص، وكتب إليه أن يبعث إليه من بقي من أصحابه ويحملهم ففعل، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية، وقدموا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين افتتح خيبر.

وفي الصحيحين[(٣)] عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلى فكبر أربع تكبيرات وقال: «استغفروا لأخيكم».

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٥)، وابن كثير (٢/ ٨٦).

(٢) الروض الأنف (٣/ ٢٥٣).

(٣) البخاري [١٣١٩]، ومسلم [٩٥٢].

قال السهيلي[(١)]: وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع، ولما صلى عليه رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه بالمدينة. وتكلَّم المنافقون وقالوا: يصلي على عِلْج مات بأرض الحبشة.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال على قبره نور.

وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة إلى النجاشي فقالوا: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنًا وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة. وصفوا له فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: وكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى لم يزد على هذا شيئًا، وإنما يعني ما كتب. فرضوا وانصرفوا. فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.

---

(١) الروض الأنف (٣/ ٢٦٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠).

قال السهيلي[(١)]: والنجاشي اسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لملك الفرس، وخاقان اسم ملك الترك، وبطليموس اسم لملك اليونان، واسم هذا النجاشي أصحمة بن أبجر وتفسيره / [٤٤] عطية.

وفيه من الفقه: الخروج من الوطن، وإن كان الوطن مكة على فضلها إذا كان الخروج فرارًا بالدين، وإن لم يكن إلى أرض إسلام، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ويقولون: هو ابن الله، وسموا بهذه الهجرة مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [التوبة:١٠٠]. وجاء في التفسير أنهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين. فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بلد الله الحرام إلى بلاد كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطًا على دينهم وأن يخلي بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه آمنيين مطمئنين.

وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر على بلد، وأوذي على الحق مؤمن، ورأى الباطل قاهرًا للحق، ورجا أن يكون في بلد آخر أيِّ بلد كان يبيِّن فيه دينه ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن. وهذه الهجرة على هذا الوجه حتم لا تنقطع إلى يوم القيامة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]. انتهى كلام السهيلي[(٢)].

وفي الصحيح[(٣)] عن عائشة قالت: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفي النهار، بُكْرةً وعَشِيَّةً. فلما ابتلي المسلمون

(١) الروض الأنف (٣/ ٢٢٢).
(٢) الروض الأنف (٣/ ٢٥٥-٢٥٦).
(٣) البخاري [٢٢٩٧].

خرج أبو بكر مهاجرًا إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغِمَاد لقيه ابن الدَّغِنَّة وهو سيد القَارَةِ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أَسِيحَ في الأرض فأعبد ربِّي. فقال ابن الدَّغِنَّة: يا أبا بكر، مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك لتكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك. فارتحل معه ابن الدَّغِنَّة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويَقْري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدَّغِنَّة، وقالوا لابن الدَّغِنَّة: مُرْ أبا بكر، فليعبد ربه في داره، فليُصَلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن، فإنَّا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدَّغِنَّة لأبي بكر، فلبث بذلك أبو بكر يعبد ربه في داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيَتَقَصَّفُ عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بَكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَّة فقدم عليهم فقالوا: إِنَّا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، وقد جاوز ذلك وابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فأْتِهِ، فإنْ أَحَبَّ أن يَقْتَصِرَ على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك في ذمتك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغِنَّة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عَقَدْتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني خُفِرتُ في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله.

فصل

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب.

قال ابن إسحاق[1]: حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل مر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، / [٤٥] فلم يكلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومولاة لعبد الله بن جدعان تسمع ذلك في مسكن لها، ثم انصرف عنه عامدًا إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل راجعًا من قنص له متوشحًا قوسه، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشدَّه شكيمة.

فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته قالت: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفًا من أبي الحكم بن هشام، وجده ههنا جالسًا فآذاه وشتمه وسَبَّه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمدٌ. فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠).

فلما دخل إلى المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع قوسه فضربه بها، فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟! فأنا على دينه أقول ما يقول، فَرُدَّ عليَّ إن استطعت! فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا.

وتَمَّ حمزة على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرفت قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

وزاد غير ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما حملني الغضب وقلت: أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبتُّ من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم. ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله أن يشرح لي صدري ويذهب عني الريب، فما استتممت كلامي ودعائي حتى زال عني الباطل وامتلأ قلبي يقينًا. أو كما قال. فأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله[(١)].

وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حمدتُ الله حين هَدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربٍّ عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تُلِيَت رسائله علينا ... تَحَدَّرَ دمعُ ذي اللُّب الحصيف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نُسْلِمُه لقومٍ ... ولَمَّا نَقْضِ فيهم بالسيوف
ونترك منهم قَتْلى بقاع ... [عليها] الطير كالوِرْد العُكوف[(٢)]

(١) البيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣، ٢١٤)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢).
(٢) الروض الأنف (٣/ ١٥٠-١٥١)، وما بين المعقوفين تصحف في المخطوط إلى: «لورد».

وأخرج الترمذي[(١)] وصححه عن ابن عمر، والطبراني[(٢)] عن ابن مسعود وأنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام».

وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر[(٣)] عن ابن عباس قال: قلت لعمر: لأي شيء سميت «الفاروق»؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، فخرجت فإذا فلان المخزومي، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ فقال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقًّا مني. قلت: من ذلك؟ قال: أختك وختنك. فانطلقت فوجدت همهمة، فدخلت فقلت: ما هذا؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربته وأدميته، فقامت إليَّ فأخذت برأسي فقالت: وقد كان ذلك على رغم أنفك. فاستحييت حين رأيت الدماء، فجلست فقلت: أروني هذا الكتاب فقالت أختي: إنه لا يمسه إلا المطهرون. فقمت فاغتسلت، فأخرجوا لي صحيفة، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم فقلت: أسماء طيبة طاهرة، ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ [طه:١-٤] إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:٨].

فتعظمت في صدري، فقلت: [من هذا فرت قريش!][(٤)] فأسلمْتُ فقلت: أين رسول الله؟ قالت: فإنه في دار الأرقم. فأتيته فضربت الباب فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. قال: وعمر، افتحوا له الباب، فإنه إن أقبل

(١) جامع الترمذي [٣٦٨١].
(٢) حديث ابن مسعود في المعجم الكبير (١٠/ ١٥٩)، وحديث أنس في المعجم الأوسط (٢/ ٢٤٠).
(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٢٤١)، وتاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩-٣١).
(٤) في المخطوط: «ما هذا... أين قريش»، ومكان النقط بياض، والمثبت من تاريخ ابن عساكر (٤٤/ ٣٠).

قبلناه، وإن أدبر قتلناه. فسمع ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج فتشهَّد عمر، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قلت: ففيم الاختفاء؟ فخرجنا في صفين: أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة. فسماني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الفاروق» يومئذ.

وفي رواية أنس عند أبي يعلي والحاكم والبيهقي[(١)] قال: خرج عمر متقلدًا بالسيف، فقال له رجل من بني زهرة: أين تعمد يا عمر؟ فقال له: أريد أن أقتل محمدًا. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا؟ قال: ما أراك إلا صبوت. قال: أفلا أدلك على العجب؟ إن أختك وختنك قد صَبَوا وتركا دينك. فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب. فلما سمع عمر توارى في البيت، فدخل فقال: ما هذه الهينمة[(٢)]؟ وكانوا يقرأون طه. قالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما صبوتما؟ فقال ختنه: أن كان الحق في غير دينك؟! فوثب عليه عمر فوطئه وطئًا شديدًا، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها بيده فدمي وجهها، فقالت وهي غضبى: أن كان الحق في غير دينك؟! إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، / [٤٦] فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم واغتسل وتوضأ. فقام واغتسل وتوضأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه:١٤]. فقال عمر: دلوني على محمد.

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ٦٥)، ودلائل البيهقي (٢/ ٢١٩-٢٢٠)، ولم نجده عند أبي يعلى.
(٢) الهينمة هي الكلام الخفي لا يفهم، والياء زائدة. النهاية (٥/ ٢٨٩).

فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال: أبشر، يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوةَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الخميس «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام».

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدار التي في أصل الصفاء، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس. فقال حمزة: هذا عمر، إن يرد الله به خيرًا يسلم، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينًا. قال: والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل يوحى إليه. فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: ما أنت بمنتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبد الله ورسوله[١].

وفي الصحيح[٢] عن سعيد بن زيد: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر.

قال ابن إسحاق[٣]: وكان عمر ذا شكيمة لا يُرام، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبحمزة، فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر.

وفي البخاري[٤] عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

قال الذهبي[٥]: أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان من أشراف قريش، فكانوا إذا أرادوا حربًا بعثوه رسولًا، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافرًا ومفاخرًا.

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٦) بنحوه.
(٢) البخاري [٣٨٦٢، ٣٨٦٧].
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢).
(٤) البخاري [٣٦٨٤، ٣٨٦٣].
(٥) سيرة الخلفاء الراشدين للذهبي (ص٧١).

وفي الصحيح[١] عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر اجتمع إليه الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي. فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: صبأ عمر، فما ذاك؟ فأنا له جار. قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا العاص بن وائل.

وفي رواية في الصحيح[٢] عنه قال: بينما هو في الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت. قال: أمنت، لا سبيل لهم إليك.

فصل

قال ابن إسحاق[٣]: فلما رأت قريش أن أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتزايد ويقوى، مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. أو كما قالوا.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، فبعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوه له - فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. قال: فظن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري [٣٨٦٥].
(٢) البخاري [٣٨٦٤].
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٩).

أنه قد بدا لعمه فيه بدء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه».

قال: ثم استعبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبكى، ثم قام. فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي. قال: فأقبل عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: أقبل يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا[١].

قال ابن إسحاق[٢]: ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسلامه [وإجماعه لفراقهم][٣] في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد، فقالوا له فيما بلغني: يا أبا طلب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل كرجل.

قال: والله لبئس ما تسومونني، تعطونني ابنكم أغذيه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا. قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلُّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا. فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك. أو كما قال.

---

(١) رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠-٣٣٣).

(٣) في المخطوط: «إجماعهم في ذلك»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠).

فحقب الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضًا. فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألاَ قُلْ لعَمْرو والوليد ومُطْعمٍ ... ألا ليت حظِّي من حِياطتكم بَكْر[١]

من الخُور[٢] حَبْحاب[٣] كثيرٌ رُغَاؤه ... يُرَشُ على السَّاقِينِ مِنْ بَولِه قَطْر

تَخَلَّفَ خَلْفَ الوَرْدِ ليس بلاحِق ... إذا ما عَلا الفَيْفَاءَ قِيل له وَبْر[٤]

أرَى أَخَوينا من أبينا وأُمِّنا ... إذا سُئِلا قالا إلى غيْرنا الأمْر

بلى لَهُما أمْرٌ ولَكِنْ تَجَرْجَما[٥] ... كما جرجمتْ من رأس ذي عَلَق[٦] صخر

أَخُصّ خصوصًا عبد شمس ونوفلا ... هُمَا نَبَذانا مِثْلَ ما يُنْبَذ الجمر

/ [٤٧] هُمَا أَغْمَزَا[٧] للقوم في أخويهما ... فقد أَصْبَحا منهم أكفُّهما صِفْر

هما أشْرَكا في المجد من لا أبَا لَهُ ... مِن النَّاس إلا أن يُرَس[٨] له ذكر

وتيم ومخزوم وزهرة منهمُ ... وكانوا لنا مولى إذا بغي النصر

فوالله لا تنفك منَّا عداوةٌ ... ولا منهم ما كان من نسْلِنا شَفْر

---

(١) أي: أن بكرًا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلا من حياطتكم. الروض الأنف (٣/ ٥٦).

(٢) **الخُور**: الضعاف.

(٣) **الحبحاب**: القصير. ويروى: جبجاب بالجيم وهو الكثير الهدر. كما يروى خبخاب بالخاء وهو الضعيف. ينظر: الروض الأنف (٣/ ٥٦).

(٤) **الوبر**: دويبة على شكل هرة. يشبه بها لصغره. العين (٨/ ٢٨٦)، ويحتمل أن يكون أراد أنه يصغر في العين لعلو المكان وبعده.

(٥) **تجرجم**: سقط وانحدر. تهذيب اللغة (٦/ ٢٨١).

(٦) **ذوعلق**: جبل في ديار بني أسد.

(٧) **أغمز فلان في فلان**: إذا استضعفه وعابه وصغر شأنه. تهذيب اللغة (٨/ ٧٥).

(٨) **يرس**: يذكر. يقال: رسست الحديث، إذا حدثت به في خفاء. ذكر كل ذلك السهيلي في الروض الأنف (٣/ ٥٦-٦٠).

الشفر: هو حرف جفن العين.

قال ابن إسحاق[١]: ثم إن قريشًا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم. ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلا ما كان من أبي لهب وولده، فإنهم ظاهروا قريشًا على قومهم. انتهى.

وقال موسى بن عقبة [عن ابن شهاب][٢]: إنهم أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علانية، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فمنهم من فعل ذلك حمية، ومنهم من فعل ذلك إيمانًا ويقينًا.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابًا على بني هاشم وبني المطلب ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا صلحًا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقتل. وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة[٣]. وقيل: بغيض بن عامر[٤]. فدعا عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٣).

(٢) في المخطوط: «موسى بن عقبة وابن شهاب». والمثبت من طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٨)، ودلائل البيهقي (٢/ ٣١١).

(٣) انظر دلائل أبي نعيم (١/ ٢٧٨)، وفتح الباري (٧/ ٢٣٢).

(٤) رجحه ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٠).

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب فدخلوا معه شعبه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا. وقال ابن سعد[١]: سنتين. حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا، وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع. واشتدوا على من أسلم ممن لم يدخل الشعب، وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالًا شديدًا.

قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة[٢] قال:

ولَّما رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فِيْهِمُ ... وقَدْ قَطّعَوا كُلَّ العُرَى والوَسَائِلِ
و قَدْ صَارَحُونَا بِالعَدَاوةِ والأَذَى ... وقد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُو المُزَايِلِ
وقد حالفوا قوما علينا أضنة ... يَعَضُّونَ غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرتُ عند البيت رَهْطِي وإِخْوَتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل[٣]
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملحّ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

(١) في الطبقات (١/ ٢١٠).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٨-٣٤٧).
(٣) **الوصائل**: ثياب حمر فيها خطوط كان يكسى بها البيت.

وثَـوْرٍ ومـن أَرْسَـى ثَـبِـيْرًا مَـكَـانَـهُ ... وراقٍ لِـيَرْقَـى في حِـراء ونـازِلِ
وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبـــالله إن الله لـيـس بـغـافـل
وبـالحـجـر المـسـوَدّ إِذْ يَمْسَحُـونـه ... إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائل
ومَوْطِئِ إبراهيم في الصَّخر رَطْبة ... علـى قَـدَمـيـه حـافـيًـا غـير نـاعـل
وأشـواطِ بين المَرْوتـين إلى الصَّفا ... ومـا فـيـهـمـا مـن صـورة وتَمـاثـلِ
ومَنْ حجَّ بيتَ اللهِ مِنْ كلِّ راكبٍ ... ومن كل ذي نَذْر ومن كلِّ راجل
وبـالمَشْـعـر الأقـصَـى إذا عـمـدوا لـه ... إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابل
وتَـوْقـافِـهـم فـوق الجـبـالِ عَشِـيَّـةً ... يُقِيْمُون بالأيدي صُدورَ الرَّواحل
فـهـل بـعـدَ هـذا مـن مـعـاذٍ لـعـائـذٍ ... وهـل مـن مُـعـيـذ يـتَّـقـي الله عـاذلِ
كَـذَبـتُـم وبـيـتِ اللهِ نـترك مـكَّـة ... ونَظْعَن إلاَّ أَمْرُكُم في بَلابِل[1]
كذبتم وبيت الله نُبزي محمدًا ... ولَمَّـا نُـطـاعـن دونَـه ونُـنَـاضِـلِ[2]
ونُـسْـلـمـه حـتـى نـصـرَّع حـولَـه ... ونـذهـل عـن أبْـنـائِـنـا والحَـلائـل
ويَـنْـهـض قـومٌ في الحـديـد إلـيـكُمُ ... نهوضَ الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل[3]
وإنَّـا لـعـمـرُ اللهِ إنْ جـدّ مـا أرى ... لَـتَـلْـتَـبِـسَـنْ أسْـيـافـنـا بـالأمـاثـل
بكفَّي فَتًى مثل الشّهاب سَمَيْدع ... أخِي ثقةٍ حامي الحقيقة باسل[4]
ومـا تـرك قـوم لا أبـا لـك سـيِّـدا ... /[٤٨] يحوط الذمار غير ذرْب مُواكِل[5]

---

(١) **البلابل**: وساوس الهموم.

(٢) **نبزي محمدا أي**: نسلمه ونغلب عليه. **نناضل**: نرامي بالسهام.

(٣) **الروايا**: الإبل التي تحمل الماء والأسقية، واحدتها راوية. **والصلاصل**: المزادات لها صلصلة الماء.

(٤) **السميدع**: السيد المطاع.

(٥) **الذمار**: ما يلزمك حمايته. **والذرب**: الفاحش المنطق. **المواكل**: الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

وأبيض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمال اليتامى عِصْمة للأرامل[١]

يلوذ به الهُلاَّكُ من آلِ هاشمٍ ... فَهُم عنده في رحمة وفواضل

وسائِلْ أبا الوليد ماذا حَبَوْتَنا ... بِسَعْيكَ فِينا مُعْرِضًا كالمُخَاتِل

أضاقَ عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة ... من الأرض بين أخْشُب وجنادل

فَعُتْبة لا تَسْمَع بنا قولَ كاشِحٍ ... حَسود كَذوب مُبْغض ذي دَغاوِل[٢]

وكُنْتَ امرأً مِمَّن يُعَاش برَأيه ... ورَحْمته فينا ولستَ بجاهل

ومَرَّ أبو سفيان عنِّي مُعْرِضًا ... كما مَرَّ قَيْلٌ من عظام المَقاول

يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِيَاهِه ... ويزعمُ أني لستُ عنكم بغافل

ويُخبرنا فعلَ المُناصح أنَّهُ ... شَفِيقٌ ويُخْفي عارمات الدَّوَاخِل[٣]

أمُطْعِمُ لَمْ أخْذُلْك في يوم نَجْدَةٍ ... ولا مُعْظِم عند الأُمورِ الجلائل

أمُطْعِمُ إنَّ القوم ساموك خُطَّة ... وإني متى أُوكَلْ فَلَسْتُ بواكِل

جَزَى اللهُ عنَّا عبدَ شمس ونوْفلا ... عُقوبة شرٍّ عاجلاً غيرَ آجِل

بميزان قسط لا يُخِسّ شَعيرة ... له شاهدٌ من نَفْسِه غير عائل[٤]

لقد سَفُهت أحلامُ قوم تبدّلوا ... بني خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطل[٥]

ونحنُ الصَّميمُ من ذؤابة هاشمٍ ... وآل قُصَيٍّ في الخُطوب الأوَائل

فكلُّ صديقٍ وابن أختٍ نعدُّه ... لعَمْري وَجَدنا غِبَّه غيرَ طائل

سوى أنّ رهطًا من كِلاب بن مرَّة ... براءٌ إلينا من معقَّة خاذِل

---

(١) **ثمال اليتامى**: الذي يشملهم ويقوم بهم.

(٢) **الدغاول**: الأمور الفاسدة ؛ وقيل: الدغاول: الغوائل.

(٣) **الدواخل**: النمائم والإفساد بين الناس.

(٤) **لا يخس شعيرة**: أي لا ينقص، **وعائل**: حائر.

(٥) **قيضا**: عوضا. **والغياطل**: من بني سهم. انظر في كل ذلك: الروض الأنف (٣/ ٦٧-٩٩).

ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مكذَّب ... زهيرٌ حُسام مفرد مِنْ حَمائل
أشَمُّ مِنَ الشُّمّ البَهاليل يَنْتَمِي ... إلى حسب في حَوْمة المَجْد فاضل
لعمْري لقد كُلِّفتُ وجدًا بأحمد ... وإخوته دَأْبَ المُحِبِّ المُواصل
فَمَنْ مِثْلُهُ في الناس أيُّ مُؤَمَّل ... إذا قَاسه الحُكَّام عند التَّفاضل
حَلِيْمٌ رشيد عادل غيرُ طائش ... يُوالي إلاهًا ليس عنه بغافل
فواللهِ لولا أن أَجِيءَ بِسُبَّةٍ ... تَجُرُّ على أشْياخِنا في المَحافل
لَكُنَّا اتَّبَعْناهُ على كل حالةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًا غير قول التهازل
لقد علموا أنَّ ابْنَنَا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنَى بقَول الأباطل
فأصْبح فينا أحمدٌ في أرومة ... تقصر عنها سَوْرَة المُتَطَاوِلِ
حَدِبْتُ بنفسي دونه وحَمَيْتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرا والكَلاكِل[1]

ثم بعد ذلك تألف قوم من قريش على نقص تلك الصحيفة كان أحسنهم غناء فيها هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فإنه لقي زهير بن أبي أمية بن المغيرة فعيَّره بإسلام أخواله، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة، ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدي فذكره أرحام بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف فأجابه إلى ذلك، ثم مشى إلى أبي البختري بن هشام فقال له مثل ما قال للمطعم بن عدي، ثم مشى إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال: وهل معي أحد على هذا الأمر الذي تدعوني إليه؟ قال: نعم. ثم سمى له القوم.

(١) **حدبت**: عطفت ومنعت. **والذرا**: جمع ذروة، وهي أعلى ظهر البعير. **الكلاكل**: جمع كلكل، وهو عظم الصدر.

واتعدوا حطم الحجون ليلًا بأعلى مكة، فاجتمعوا وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة. وقال زهير: أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالكعبة سبعًا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يُباعون ولا يباع منهم؟! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد -: كذبت والله لا تشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. قال أبو البحتري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقره. قال: فقال المطعم بن عدي: صدقتم وكذب من قال غير ذلك. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل. وتُشُوور فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم) وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله[(١)].

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب[(٢)]: إن الله أطلع رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك لعمه، فقال: لا والثواقب ما كذبتني. فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم [أنكروا ذلك وظنوا أنهم][(٣)] قد خرجوا من شدة الجوع وأتوا ليعطوهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فتكلم أبو طالب فقال: إنه قد حدث أمر لعله أن يكون بيننا وبينكم صلحًا، فأتوا بصحيفتكم. وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها، فلا يأتون بها.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧-١٩).
(٢) هو عند أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني في دلائل النبوة (ص٢٠١).
(٣) ما بين المعقوفين من دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني (ص٢٠١).

فأتوا بها لا يشكون أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدفوع إليهم. قالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم.

فقال أبو طالب: لأعطينكم أمرًا لكم فيه نصف، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم له فيها وترك فيها غدركم / [٤٩] وقطيعتكم، فإن كان ما قال حقًا فوالله لا نسلمه لكم حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلًا دفعناه لكم فقتلتموه أو استحييتموه. قالوا: قد رضينا. ففتحوا الصحيفة فوجدوهما كما أخبر، فقالوا: هذا سحر من صاحبكم. فارتكسوا وعادوا لشر ما كانوا عليه. فتكلم عند ذلك النفر الذين تعاقدوا ومزقت الصحيفة.

قال ابن إسحاق[١]: فلما مزقت وبطل ما كان فيها قال أبو طالب في ما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقضها يمدحهم شعرًا:

ألا هَلْ أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيهم واللهُ بالنَّاس أرْوَدُ[٢]

فَيُخْبرَهُم أنَّ الصَّحيفَةَ مُزِّقَت ... وأن كلّ ما لم يَرْضه اللهُ مُفْسَد

تراوحها إفْكٌ وسِحْر مجمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخِرَ الدَّهر يَصْعد

تَداعى لها من ليس فيها بقَرْقَرٍ[٣] **... فَطائرُها في رأْسِها يَتَرَدَّد**

وكانَتْ كِفاءً رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّد[٤]

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠-٢٣).

(٢) **البحري هنا**: من كان مهاجرًا من المسلمين إلى الحبشة، **وأرود**: أرفق.

(٣) **القرقر**: اللين السهل. يريد من ليس فيها بذليل. ويجوز أن يريد به: ليس بذي هزل، لأن القرقرة الضحك.

(٤) **المقلد**: العنق.

ويَظْعن أهلُ المكَّتين فيهرُبُوا ... فرائصُهم من خَشْيَة الشَّرِّ تُرْعَد[١]

ويُترَكُ حرَّاثٌ يقَلِّبُ أمرَه ... أَيُتهِم فيهم عند ذاك ويُنْجِد[٢]

فمن يَنْشَ من حضَّار مكة عِزُّهُ ... فعزَّتنا في بطن مكَّة أتْلَد

نَشأنا بها والناس فيها قلائل ... فلم نَنْفكك نزدادُ خيرًا ونحْمَد

ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المُضيفين تُرعد[٣]

جزى الله رهطًا بالحجون تتابعوا ... على ملأ تهدي لحزْم وتُرْشِد

قعودًا لدى خَطْم الحجون كأنهم ... مَقَاوِلة بل هم أعزّ وأمجد

أعان عليها كلُّ صَقْر كأنه ... إذا ما مشى في رَفْرف الدّرع أجرد

جَرِيّ على جُلَّى الخطوب كأنه ... شهاب بكَفَّيْ قابسٍ يَتوقَّد

من الأكرمين من لؤَيّ بن غالب ... إذا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُه يَتَرَبَّدُ[٤]

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ ... على وجهِه يُسقى الغَمام ويسعد

عظيم الرماد سيد وابن سيِّد ... يحُضّ على مَقْرَى الضيوف ويَحْشِد[٥]

ويبني لأبناء العشيرة صالحًا ... إذا نحن طُغْنا بالبلاد ويمهد

ألظَّ[٦] بهذا الصلح كل مُبَرَّأ ... عظيم اللواء أمره ثمَّ يُحمد

قَضَوْا ما قضوا[٧] في ليلهم ثم أَصبحوا ... على مَهلٍ وسائر النَّاس رُقَّد

---

(١) **الفرائص**: جمع فريصة، وهي بضعة في الجنب ترعد إذا فزع الإنسان.

(٢) **الحراث**: المكتسب. وأتهم: أتى تهامة، وهي من انخفض من أرض الحجاز إلى البحر. وأنجد: أتى نجدًا، وهي ما ارتفع من أرض الحجاز إلى الشرق.

(٣) **المفيضون**: الضاربون بقداح الميسر. وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي.

(٤) **سيم**: كلف. **والخسف**: الذل. **ويتربد**: يتغير إلى السواد.

(٥) **مقرى الضيوف**: طعامهم. **والقرى**: ما يصنع للضيف من الطعام.

(٦) **ألظ**: لزم وألح.

(٧) في المخطوط: «أمرهم»، وهو خطأ.

هُمُ رَجعوا سهلَ بن بيضاء راضيًا ... وسُـرَّ أبـو بـكـر بـهـا ومحـمَّـد
متى شُرّك الأقوام في جلّ أمرِنا ... وكـنَّـا قـديمًـا قـبـلـهـا نُـتَـودَّد
وكـنـا قـديمًـا لا نُـقـرّ ظـلامـةً ... ونُـدْرِك مـا شـئـنـا ولا نـتـشـدَّد
فيا لقُصَيّ هل لكم في نفوسكم ... وهـل لـكُـمُ فـيـمـا يجـيء بـه غد
فإني وإياكم كما قال قائلٌ ... لديك البيان لو تكلمت أسود[1]

وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح، وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس.

قال ابن عبد البر[2]: وذلك بعد عشرة أعوام من المبعث.

قال: ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.

وفي الصحيح[3] عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: يا عم قل: (لا إله إلا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادا، فكان آخر ما كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول (لا إله إلا الله). فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة:١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦] الآية.

---

(١) **أسود**: اسم جبل قد قُتِل فيه قتيل فلم يُعرَف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا.
(٢) الدرر في المغزي والسير لابن عبد البر (ص٤٥).
(٣) البخاري [٣٨٨٤].

وفي الصحيح[١] عن العباس أنه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته في ضحضاح»، وفي رواية: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»، وفي رواية: «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[٢] انتهى.

وكان موته في رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح[٣].

وقيل: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمى ذلك العام عام الحزن[٤].

وكانت مدة إقامة خديجة معه عَلَيْهَا السَّلَامُ خمسًا وعشرين سنة على الصحيح.

ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عَلَيْهِ السَّلَامُ سودة بنت زمعة[٥].

فصل

فلما مات أبو طالب اشتد البلاء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومه وتجرؤوا عليه وكاشفوه بالأذى، وأرادوا قتله، فمنعهم الله من ذلك.

وذكر العلماء من أهل السير وغيرهم فيما لقي رسول الله / [٥٠] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومه أمورًا كثيرة:

فمنها ما ذكره ابن إسحاق[٦] حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر، فذكروا رسول الله

---

(١) البخاري [٣٨٨٣]، ومسلم [٢٠٩].

(٢) البخاري [٣٨٨٥، ٣٨٨٣].

(٣) الفتح (٨/ ٥١١، ٥٤٧، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٤).

(٤) حكى ذلك ثعلب عن ابن الأعرابي، انظر: عمدة القاري (٨/ ١٨٠)، ولسان العرب (١٣/ ١١٢).

(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٢)، والإصابة (٨/ ١٩٦).

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا عليه، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا، وفرق جماعتنا. فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستلم الركن، فلما مرَّ بهم غمزوه. فعرفت ذلك في وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم مر بهم الثالثة فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، لقد جئتكم بالذبح. وإنهم قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولًا، فانصرف راشدًا. فلما كان من الغد اجتمعوا كذلك إذ طلع فقالوا: قوموا إليه وثبة رجل واحد. فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط قد أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله؟[١].

وفي حديث أسماء[٢]: فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقال: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وعليه غدائر أربع، فخرج وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله؟! فلهوا عنه وأقبلوا إلى أبي بكر. فرجع إلينا لا نمس شيئًا من غدائره إلا رجع معنا.

وفي رواية البخاري[٣] عن عروة قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله، الآية.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٨)، وهو في البخاري [٣٦٧٨] مختصرًا.
(٢) رواه الحميدي [٣٢٤]، وأبو يعلى (١/ ١٥٢).
(٣) البخاري [٣٦٧٨].

ومنها ما ذكره البخاري[١] أيضًا في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيُّكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، وأنا قائم أنظر لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فانطلق منطلق إلى فاطمة، وهي جويرية، فأقبلت تسعى. وثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجدًا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش»، ثم سمَّى: «اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد». قال عبد الله: فوالله، لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، وقد غيرتهم الشمس في يوم حار، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة». انتهى.

ومنها: ما ذكر أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان.

ومنها: حثو سفهائهم التراب على وجهه ورأسه. ذكره ابن إسحاق[٢].

ومنها: أنهم يطرحون الفرث والدماء على بابه.

ومنها: بصق أمية في وجهه.

---

(١) البخاري [٥٢٠]، ومسلم [١٧٩٤].

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦).

قال ابن إسحاق[١]: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته أبو لهب والحكم بن [أبي][٢] العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، وكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجرًا يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى كما حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العودة فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق.

وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك التراب دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب.

ومنها تعذيب أصحابه وهو ينظر، قال ابن إسحاق[٣]: حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال: لقي أبا بكر سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابًا، قال: فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة والعاص / [٥١] بن وائل، فقال: ألا ترى ما يفعل هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت ذلك بنفسك، وهو يقول: أي رب ما أحلمك؟

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٥-٦٦).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط ومن سيرة ابن هشام (٢/ ٦٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦).

وفي الصحيح[١] عن خباب قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوسِّد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان فيمن كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه ولحمه، ما يصرفه ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه».

قال ابن إسحاق[٢]: وحدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس [عن عبد الله بن عباس][٣] قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السَّهْمِيان وأمية بن خلف أو من اجتمع إليهم، قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة. ثم قال بعضهم لبعض: ابتعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه. فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأْتِهم. فجاءهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سريعًا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلموه بدء، وقد كان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سفهت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام،

(١) البخاري [٣٨٥٢].
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٤-٣٦٩).
(٣) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام.

وفرقت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. أو كما قالوا له. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالًا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكنا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًا - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

قال: فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما بي ما تقولون، ما جئت [بـ][1]ـما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل عليّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. أو كما قال.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا ولا أقل ماء ولا أشد عيشًا منا، فاسألْ ربك الذي بعثك بما بعثك به فليُسَيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسأله عما تقول: أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولًا كما تقول.

(١) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٥).

فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق تلتمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولًا كما تزعم.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل.

قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل.

قالوا: يا محمد، أفما عَلِمَ ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك بما تراجعنا به ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا، إذْ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك أبدًا وما بلغت منا حتى نُهْلِكك أو تُهْلِكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلًا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته /[٥٢] عاتكة بنت

عبد المطلب فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم من العذاب فلم تفعل- أو كما قال له -، فوالله لا أؤمن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء [سلمًا][(١)] ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة ويشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله حزينًا كئيبًا أسفًا لما فاته ما كان طمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه.

فلما قام عنهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدًا بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فلتصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف ثم جلس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتظره، وغدا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان يغدو. وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي وقد غدت قريش في أنديتهم ينظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتمل أبو جهل الحجر

(١) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٧).

ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقَعًا لونه مرعوبًا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده.

وقامت إليه رجال من قريش وقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصَرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: فذكر لي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ذاك جبرئيل، لو دنا لأخذه.

فلما قال ذلك لهم أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة فقال: يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم. وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم: شاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هجزه ورجزه. وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش، انظروا في شأنكم، فإنه قد نزل والله بكم أمر عظيم.

وكان النضر من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينصب له العداوة. وكان قد قدم الحيرة وتعلَّم بها أحاديث الفرس وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسًا فذكَّر فيه بالله وحذر قومه

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل [١٥٦].
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٩).

ما أصاب مَن قبلهم من الأمم مِن نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، وقال: والله يا معشر قريش، أنا أحسن حديثًا منه، فهلم فأنا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدِّثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟

قال ابن هشام[(١)]: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحاق[(٢)]: فكان ابن عباس يقول فيما يلغني: نزل فيه ثلاث آيات من القرآن، قول الله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم:١٥] [المطففين:١٣]، وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

فلما قال لهم النضر بن الحارث ذلك بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما: [سلاهم] عن محمد، [وصفا][(٣)] لهم صفته وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم / [٥٣] علم ليس عندنا من [علم][(٤)] الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاثٍ نخبركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل، فرَوْا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوَّاف

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) في المخطوط: «سلوهما ... وصفوا»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٧١).
(٤) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام.

بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن [أبي][(١)] معيط بن عمرو بن عمر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم بها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل فرَوْا فيه رأيكم.

فجاءوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كان لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبركم بما سألتم عنه غدًا. ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث إليه في ذلك ولا يأتيه جبرئيل، حتى أرجف به أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. حتى أحزن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكْثُ الوحي، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرئيل من الله بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، والروح.

قال ابن إسحاق[(٢)]: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبرئيل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبرئيل حتى سؤت ظنا. فقال له جبرئيل: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم:٦٤] الآية. وقال فيما سألوه عنه من الروح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥] الآية.

---

(١) سقط من المخطوط، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٢).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣).

قال ابن إسحاق[(١)]: وحُدِّثْتُ عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة قالت أحبار يهود: أرأيت قولك: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد أم قومك؟ قال: كلًّا. قالوا: فإنك تتلو في ما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. فأنزل الله عليه فيما سألوه من ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٧] أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

/ [٥٤] قال[(٢)]: وأنزل الله عليه فيما سألوه قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد:٣١] أي: أني لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

وأنزل الله عليه في قولهم: خذ لنفسك ما سألوه أن يجعل له جنانًا وقصورًا وكنوزًا ويبعث ملكًا يصدقه بما يقول: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:٧] إلى قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [الفرقان:١٠] أي: من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش، ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفرقان:١٠] الآية.

وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٨٠-٣٨١).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨١-٣٨٧).

أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان:٢٠]، أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت.

وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء:٩٠] إلى قوله: ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٣].

وأنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [سبأ:٤٧]، فلما جاءهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث به وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه حال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله، وتركوا أمره عيانًا ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦] أي: اجعلوه لغوًا وباطلًا واتخذوه هزوًا لعلكم تغلبونه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يومًا غلبكم.

فقال أبو جهل يومًا وهو يهزأ برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [المدثر:٣١] إلى آخر القصة.

فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، وإن خفض

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئًا من قراءته أو سمع هو شيئًا دونهم أصاخ له يستمع منه.

قال ابن إسحاق[١]: وحدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثه أن عبد الله بن عباس حدثهم إنما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠] من أجل أولئك، يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم، فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به. انتهى.

قلت: وقد روى البخاري[٢] في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ الآية قال: نزلت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختفٍ بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سَبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

زاد مسلم[٣] في روايته: ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، يقول: بين الجهر والمخافتة.

قال ابن إسحاق[٤]: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حُدِّثَ: أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٧-٣٨٨).
(٢) البخاري [٤٧٢٢].
(٣) مسلم [٤٤٦].
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٩-٣٩٠).

خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في قلبه شيئًا.

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، ثم تعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس وتركه.

ذكر خبر الوليد بن المغيرة

قال ابن إسحاق[١]: ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم /[٥٥] وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وسمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ويرد قولكم بعضه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيًا نقول به. قال: بل أنتم قولوا وأسمع.

قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله، ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهَّان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالُجِه ولا وَسْوَسَتِه.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه [وهزجه][٢] وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: نقول: ساحر. قال: وما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عَقده.

قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لَعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وعشيرته.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤-٣٣٦).

(٢) في المخطوط: «هجزه»، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٥).

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بِسبيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره.

فأنزل الله في الوليد بن المغيرة في ذلك من قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر:١١] إلى قوله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦] وأنزل الله في النفر الذين كانوا يصنفون القول في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاء به من الله: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر:٩١] أي: أصنافًا، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: اقرأ عليَّ. فقرأ عليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] الآية، قال: أعد. فأعاد عليه. قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر.

وفي رواية: فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا. قال: ولم؟ قال: أتيت محمدًا لتعوض مما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا. قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني[(١)].

(١) دلائل البيهقي (٢/ ١٩٨).

ذكر خبر عتبة بن ربيعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى عبد بن حميد وأبو يعلى[(١)] عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وعاب ديننا. فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يرد عليه شيئًا. قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشَتَّتَّ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب. لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فرغت؟ قال: نعم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١-٢] حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣]. فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا.

---

(١) مسند عبد بن حميد [١١٢٣]، ومسند أبي يعلى [١٨١٨].

فرجع إلى قريش، فقال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم، لا والذي نصبها بَنِيَّةً، ما فهمت شيئًا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

وقد ساقه البغوي في تفسيره [(١)] عن محمد بن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر، فذكر الحديث إلى قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ، فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابته، فانطلقوا بنا إليه. فانطلقوا إليه فقال أبو جهل: يا عتبة، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد، وأعجبك طعامه، / [٥٦] فإن كانت لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نغنيك عن طعام محمد.

فغضب غضبةً وأقسم ألَّا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: والله إني من أكثر قريش مالًا، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ الآية، فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكفَّ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

ورواه محمد بن إسحاق في السيرة[(٢)] عن محمد بن كعب القرظي، وفي روايته: ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى

(١) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ١٦٨).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٣-٣٦٤).

يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه. ثم انتهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قطُّ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة! يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه وعزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

ذكر خبر المستهزئين

منهم عمه أبو لهب، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، سماها الله حمالة الحطب. إنها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يمر، فأنزل الله فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] إلى آخر السورة.

وقيل: إنها كانت تمشي بالنميمة، وتنقل الحديث، وتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارًا كما توقد النار بالحطب.

قال ابن إسحاق[١]: فَذُكِرَ لي أن أم جميل حين سمعت ما نزل في زوجها من القرآن أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٦).

بكر، وفي يدها فهر من حجارة. فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ترى إلا أبا بكر، قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. أما والله إني لشاعرة:

مُـــذَمَّمـــا عَـــصَـــيْـــنَـــا وأَمْـــــــرَه أبَـــيْـــنَـــا

ودِيْـــــــنَـــــــه قَـــلَـــيْـــنـــا

ثم انصرفت. قال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وكانت قريش تسمي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذمما، ثم يسبونه. وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش؟ يسبون ويهجون مذمما، وأنا محمد»[(٣)].

وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح إذا رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ همزه ولمزه، فأنزل الله فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] إلى آخر السورة كلها.

قال ابن هشام[(٤)]: الهمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينيه عليه ويغمز به، قال حسان بن ثابت:

هَـمـزتُـكَ فاخْـتَـضَـعْـتَ لـذلّ نفس بـقـافـيـةٍ تَـأَجَّـجُ كـالـشُّـواظِ

وجمعه همزات، واللمزة الذي يعيب الناس سرًّا ويؤذيهم.

---

(١) أخرج نحوه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٤/ ٤٤٠).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٧).
(٣) البخاري [٣٥٣٣].
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨).

قال ابن إسحاق[١]: وكان خباب بن الأرت قَيْنًا بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفًا عملها له حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال له: يا خباب، أليس يزعم صاحبكم محمد هذا الذي أنت على دينه أنَّ في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: بلى. قال: أنظرني إلى يوم القيامة يا خباب، حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، والله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظًّا في ذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٧] إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم:٨٠].

قلت: وفي الصحيح[٢] عن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت قينًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك. قال: إذا أماتني الله ثم بعثني بعثني ولي مال وولد. فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

وفي صحيح مسلم[٣] عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته ولأعفرن وجهه بالتراب.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨).
(٢) البخاري [٤٧٣٢، ٤٧٣٣]، ومسلم [٢٧٩٥].
(٣) مسلم [٢٧٩٧].

قال: فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم. قال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولًا وأجنحة. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»، وأنزل الله لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦-٧] الآيات.

/ [٥٧] قال ابن إسحاق[(١)]: لقي أبو جهل ابن هشام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني، فقال له: والله يا محمد، لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨] الآية.

فذكر لي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفَّ عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جلس مجلسًا فدعا فيه إلى الله وتلا فيه القرآن وحذر قريشًا ما أصاب الأمم الخالية، خلفه النضر بن الحارث في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم وإسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثًا مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها، فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا. فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٥-٦]. ونزل فيه: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم:١٥]. ونزل فيه:

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٩-٤٤٠).

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [الجاثية:٧-٨] إلى قوله: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية:٨].

قال ابن إسحاق[(١)]: وجلس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أفحمه، ثم تلا عليه: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠] الآيات.

ثم قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم! فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فاسألوا محمدًا أَكُلُّ ما تعبدون من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود يعبدون عزيرًا، والنصارى يعبدون عيسى بن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من كلامه، ورأوا أنه قد احتج وخاصم.

فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته. فأنزل الله عليه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠١] الآيات. ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٠-٤٤٣) بتصرف.

يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف:٥٧]، أي: يصدون عن أمرك بذلك من قوله. ثم ذكر عيسى فقال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف:٥٩] إلى قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف:٦١]، أي: ما وضعت على يديه من الآيات ومن إحياء الموتى وإبرام الأسقام، وكفى به دليلًا على علم الساعة، يقول: ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ﴾.

قال ابن إسحاق[(١)]: وقال الوليد بن المغيرة: أَيُنْزَلُ على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف؟! فنحن عظيما القريتين. فأنزل الله فيما بلغني: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف:٣١-٣٢] الآية.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وأبي بن خلف بن حذافة بن جمح، وعقبة بن أبي معيط. وكانا متصافيين حسنًا ما بينهما. فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع منه، فبلغ ذلك أبيا، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمدًا وسمعت منه؟ ثم قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جالست محمدًا وسمعت منه، ولم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة. فأنزل الله فيهما: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٧] إلى قوله: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٩].

ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعَظْمٍ بالٍ قد أَرْفَتَ، فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى أرم؟ ثم فتَّه في يده ثم نفخه في الريح

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٤).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٤-٤٤٥).

نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار. فأنزل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٨-٨٣] الآيات.

قال ابن إسحاق[(١)]: واعترض رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما بلغني - وهو يطوف بالكعبة الأسودُ بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي. وكانوا ذوي أسنان في قومهم، فقالوا له: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فأنزل الله فيهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون:١] السورة كلها.

قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا. قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقمًا. فأنزل الله فيه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦]، أي: ليس كما يقول. وأنزل فيه: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ [الإسراء:٦٠] الآية.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٥).

ذكر نزول سورة عبس

قال ابن إسحاق[(١)]: ووقف الوليد /[٥٨] مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه. فبينما هو في ذلك إذ مرَّ به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلَّم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه.

فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسًا وتركه. فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ [عبس:١-١٤] أي: إنما بعثتك بشيرًا ونذيرًا ولم أختص بك أحدًا دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا [تـَصَدينَّ عنه][(٢)] لمن لا يريده. وابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي، واسمه عبد الله. انتهى.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرمه، وإذا رآه قال: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول: هل لك من حاجة؟ ويستخلفه على المدينة إذا غزا. قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء[(٣)].

قال ابن إسحاق[(٤)]: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خباب وعمار وأبو فكيهة ويسار مولى صفوان بن أمية وصهيب وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧-٤٤٨).

(٢) في المخطوط: «تصديه»، والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٤٨) وغيره عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧-٣٨).

أصحابه كما ترون، أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيرًا ما سبقنا هؤلاء به وما خصهم الله به. انتهى.

قلت: روى الإمام أحمد[(١)] بإسناده عن ابن مسعود قال: مرَّ الملأ من قريش على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده خباب وصهيب وبلال، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء بدلًا من قومك؟ فنزلت عليه: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١] إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [الأنعام:٥٨]

رواه ابن جرير[(٢)]، وفيه: فقالوا: يا محمد، أرضيت هؤلاء من قومك، أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا، أنحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم، فذاك أحرى إن طردتهم عنك أن نتبعك. فنزل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:٥٢] الآيتين.

قال ابن إسحاق[(٣)]: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المروة إلى مَبْيعة غلام نصراني يقال له: جَبْرٌ، عَبْدٌ لِبَنِي الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمدًا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام بني الحضرمي. فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، يلحدون يميلون، الإلحاد الميل.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٣٣).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨).

ذكر نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق[(١)]: وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغني إذا ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: دعوه، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد مات إذًا انقطع ذكره واستَرَحتُم منه. فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١] ما هو خير من الدنيا وما فيها، والكوثر الخير العظيم.

وحدثني جعفر بن عمرو عن عبد الله بن مسلم أخي محمد بن مسلم بن شهاب عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل له: يا رسول الله، ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: «نهر كما بين صنعاء إلى أَيْلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طير أعناقها كأعناق الإبل»، قال: يقول عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لَنَاعِمَة؟ قال: «آكلها أَنْعَم منها»[(٢)].

وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره: «من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا».

قلت: روى البخاري[(٣)] عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه». قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: إن ناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة، قال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله. انتهى.

والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر كوثرا. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، قال ابن عباس: عدوك، ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي: الأقل الأرذل المنقطع من كل خير.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩-٤١).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٦) من طريق الزهري عن عبد الله بن مسلم به.

(٣) البخاري [٦٥٧٨، ٤٩٦٦]، ومسلم [٢٣٠٣] بنحوه.

قال ابن إسحاق[١]: حدثني أبي إسحاق بن يسار قال: كان رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش، فخلا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا ركانة، ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟» قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حقٌّ لاتبعتك. قال: فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أرأيت إن صرعتك تعلم أن ما أقول حق؟» قال: نعم؛ قال: «فهلم حتى أصارعك». قال: فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أضجعه لا يملك من نفسه شيئًا، ثم قال: عُدْ يا محمد فعاد، فصرعه. قال: فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب أن تصرعني! قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأعجب من ذلك إن شئت أُريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري». قال: وما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني». قال: ادعها فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: فقال لها: ارجعي إلى مكانك. فرجعت إلى مكانها. قال: فذهب ركانة إلى قومه، قال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قطُّ. ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

قال ابن إسحاق[٢]: ودعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ إليهم، فقال له زَمعَةُ / [٥٩] بن الأسود والنَّضْر بن الحارث والأسود بن عبد يَغوث وأُبَيّ بن خلف والعاص بن وائل، فقالوا: يا محمد، لو جُعِلَ معك مَلَكٌ يحدث عنك الناس ويرى معك! فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأنعام:٨] إلى قوله: ﴿مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩].

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥-٣٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٤١-٤٢).

قال: ومرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام، فغمزوه واستهزأوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله عليه في ذلك من أمرهم: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام:١٠].

فصل

قال الشيخ أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الرد على النصارى[(١)]، في تقرير نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأدلة العقلية والنقلية:

ومما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى إذا أرسل نبيًّا وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة، فمن طالبه بثانية طالبه بثالثة، وإذا جاء بثالثة طالبه برابعة، وطَلَبُ المتعنتين لا أمد له. ومعلوم أنه من قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، وقال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالمًا متعديًا، ولا يُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك. فحق الله الذي أوجب على العباد الإيمان به من توحيده والإيمان به وبرسله أولى، وإذا قامت بينة توجب على الخلق الإيمان برسله لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع سبحانه بين الآيات، فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف دلالة الآخر، وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا، كما فعل بآيات موسى وآيات محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [وكما] صدَّ المكذبين[(٢)] عن الإيمان

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٤٢٩-٤٥١).
(٢) في المخطوط: «كلما»، والمثبت من الجواب الصحيح (٦/ ٤٣٠).

بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته، فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه، بخلاف ما لو اتبعوه ابتداء بدون ذلك، فإنه قد كان يُظَن أنهم قادرون على معارضته، وكذلك أيضًا يكون في ذلك على نفسه من صبره وجهاده على يقين من أمره، فإنَّ في صبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة.

وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال، كما ذكره الله تعالى في كتابه، من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آياتٍ غير الآيات التي جاءوا بها، فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة.

وقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم، فيجاب بأن تلك الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال. والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كفرعون وأبي لهب وغيرهما، لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما، وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٩] الآيتين بعدها وقال: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء:٥٩] الآية، وبين سبحانه أنه ما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذين استحقوا به الهلاك، فإذا كذب هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال.

وهذا المعنى مذكور في كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فقد ذكر أهل التفسير ما رواه الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا، قال: فقيل له: إن شئت تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك الأمم قبلهم، قال: «بل أستأني بهم»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء:٥٩] الآية.

/ [٦٠] وروى ابن أبي حاتم وغيره، عن مالك بن دينار قال: سمعت الحسن البصري يقول في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ قال: رحمة لكم أيتها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم.

وقد كانت الآيات يأتي بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية بعد آية فلا يؤمنون بها قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾ [الأنعام:٤-٥] إلى قوله: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأنعام:٧]، إلى قوله: ﴿ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام:١١].

أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم، وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول، كما أهلك من كان قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسل، فإن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ [القصص:٥٩] الآية.

وأخبر بشدة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا: إن هذا إلا سحر مبين.

وبيَّن سبحانه [أنه] لو جعل الرسول ملكًا لجعله على صورة الرجل؛ إذ كانوا لا يستطيعون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذ فكان يقع اللبس لظنهم الرسول بشرًا لا ملكًا.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء:٩٠] إلى قوله: ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٥].

وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ثم لم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم. وأيضًا هي مما لا يصلح الإتيان بها، فإن قولهم حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا يقتضي تفجير الينبوع بمكة فيصير واديًا ذا زرع، والله من حكمته جعل بيته بوادٍ غير ذي زرع، لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله.

وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيرًا كان [في] هذا من التوسع من الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته، وكذلك إذا كان له بيت من زخرف، والزخرف الذهب.

وأما إسقاط السماء كسفًا فهذا لا يكون إلا يوم القيامة، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون إلا يوم القيامة، فقولهم: (كما زعمت) كذب عليه، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدًا.

وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلًا فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥] الآيتين.

وأما إنزال الكتاب فقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء:١٥٣] الآية. بيَّن سبحانه أن أهل الكتاب سألوا إنزال كتاب من السماء وأن المشركين سألوا ذلك، وبين سبحانه أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك، وإنما سألوه تعنتًا. فقال عن المشركين: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام:٧].

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة، فهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق إلى أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات أحلت لهم، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الأمة المكذبة الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها لم يكن في مجيئها منفعة لهم، بل فيها ما يوجب عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها، وتغليظ الأمر عليهم، فكان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة عذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض اللهُ على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يهلك قومه لما كذبوه فقال «بل أستأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا»، كما في الصحيح عن عائشة أنها قالت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم

أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا غمامة قد أظلتني فإذا جبرائيل فناداني فقال: إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعثني إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا. أخرجاه(١).

ولَمَّا طُلِب من المسيح المائدة، كانت من الآيات الموجبة لمن كذبها عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المائدة:١١٢] إلى قوله: ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:١١٥].

وكان قبل نزول التوراة يُهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذابًا عاجلًا يهلك الله به / [٦١] جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح، وكما أهلك عادًا وثمود، وأهل مدين وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لَمَّا أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك الله أمة بعذاب الاستئصال، بل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص:٤٣]. بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم، إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر.

ولهذا لم يزل في الأرض من بني إسرائيل أمة باقية، قال تعالى لما ذكر بني إسرائيل: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الأعراف:١٦٨] الآية. وقال: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤] الآيات.

(١) البخاري [٣٢٣١]، ومسلم [١٧٩٥].

وكان من حكمته ورحمته سبحانه لما أرسل محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم بأنواع من العذاب كما عذب طائفة ممن كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر:٩٥].

فعذب الله كل واحد بعذاب معروف، كالذي دعا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسلط الله عليه كلبًا من كلابه فكان يحترس بقومه فجاء الأسد فأخذه من بينهم. وهو من المشهور عند أهل السير وغيرهم، وهو عتيبة بن أبي لهب.

وكان أبو لهب لما عادى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ابنيه أن يطلقا ابنتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية وأم كلثوم قبل الدخول، وقال عتيبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كفرتُ بدينك وفارقتُ ابنتك، لا تحبني ولا أحبك. ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلًا، فطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي دعاء محمد عليّ قتلني وهو بمكة وأنا بالشام. فعدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه.

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: لما طاف الأسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم قاموا فجعلوا عتيبة في وسطهم، فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه[1].

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ [التوبة:٥٢]، فأخبر أنه يعذب الكفار

(١) دلائل البيهقي (٢/ ٣٣٩) وأبي نعيم (٢/ ٥٨٥-٥٨٩).

بأيدي عباده المؤمنين بالجهاد وإقامة الحدود تارة، وتارة بعذاب غير ذلك. فكان تعذيبهم بمثل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم فإنهم لما كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم ولم يبق ذرية تؤمن، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ولو بالهزيمة والأسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فإن في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم، والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها لا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإن ذلك مما يدعو إلى التوبة كما يقال: من العصمة ألا تقدر.

فكان ما وقع بهم تعجيزًا وزاجرًا وداعيًا إلى التوبة، ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك لم يقتل منهم إلا قليل، وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة، كما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن أبي جهل: «هذا فرعون هذه الأمة»[(١)].

وقد ذكر الله لموسى في التوراة: «إني أقسي قلب فرعون، فلا يؤمن بك لتظهر آياتي وعجائبي»، بيَّن أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته على صدق أنبيائه في الأرض. إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له، فأظهر الله له من الآيات ما يبقى ذكرها في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ما أوجب إهلاكه وقومه أجمعين. وفرعون كان جاحدًا للصانع منكرًا لربوبيته لا يقر به، فلذلك أتى من الآيات ما يناسب حاله.

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٠٣).

وأما بنو إسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الأول، فلا يحتاجون إلى مثل ما احتاج إليه موسى، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن محتاجًا إلى تقرير جنس النبوة، إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يُثْبتُ ذلك، وقومه كانوا مقرِّين بالصانع، وإنما كانت الحاجة داعية إلى إثبات [نبوته](١). ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم.

ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذِّبها العذاب العام العاجل، كما استحقَّهُ قوم فرعون، وهود، وصالح، وشعيب، وغيرهم. فلهذا بين الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم إذ كانوا لا يؤمنون بها، / [٦٢] ولكنْ تضرهم إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذ، ومع وجود المانع وعدم المقتضي لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة، ومن لم يعلل فلا يطلب [سببًا](٢) ولا حكمة، بل يرد الأمر إلى محض المشيئة، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩].

وهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين، فيكذبون بها فيستحقون ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨]. وقال عن أهل الكتاب: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:٣٠] الآية، وقال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٣-٤٥]، ذكر هذا في سورة

(١) في المخطوط: «النبوة».

(٢) في المخطوط: «شيئًا»، والتصويب من الجواب الصحيح (٦/ ٤٤٦).

اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم: هذا سحر مستمر وتكذيبهم واتباعهم أهوائهم. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر:٤]، أي: من أنباء الغيب وما أخبر به ما فيه مزدجر: أي ما يزجرهم عن الكفر، إذ كان في تلك الآيات بيان صدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون، ولهذا يقول عقيب القصة: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر:١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٩]، أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي، وكيف كان إنذاري بذلك قبل مجيئه؟ يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل، وعقوبته لمن كذبهم.

ثم ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط، إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٤١-٤٢]، فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى [وجميع آيات الأنبياء، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيئته، إذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا بآياته كلها][(١)].

ثم قال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ [القمر:٤٣]، أي كفاركم أيتها الأمة التي أرسل إليها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من أولئك الذين كذبوا نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وموسى: ﴿ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ [القمر:٤٣-٤٤]، وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم إما أن يكون لكونكم خيرًا منهم لا تستحقون مثل ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فيكون لكم براءة في الزبر، فتعلمون ذلك بخبره، فإن ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة بمشيئته[(٢)] وحكمته وعدله، فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه، هذا إن نظر إلى

(١) في المخطوط تقديم وتأخير، والتصويب من الجواب الصحيح (٦/ ٤٤٨).

(٢) في الجواب الصحيح (٦/ ٤٤٩): «بسنته» بدل «مشيئته».

فعل الله الذي لا طاقة للبشر به، وإن نظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون: ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ فإنهم أكثر وأقوى، كقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ [مريم:٧٣-٧٤]، أي أموالًا ومنظرًا. فقال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر:٤٥] أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم. ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يقاتلهم.

وكان كما أخبر فإنهم يوم بدر وغيره هزم جمعهم وولوا الدبر، وتلك سنة الله في الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:٢٢-٢٣].

وحيث ظهر الكفار فإنما هو لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم. كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقال: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٦٥]، فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألا يهلكهم هلاك الاستئصال كما أهلك الأمم قبلهم، كما قال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ كان أن لا يأتي بموجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى وبيان الحجة على من كفر، وما امتنع به دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يؤمنوا أو يتوبوا ويهتدوا، وكان في إرسال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول غيره صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[(١)].

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٢٢٩-٤٥١).

فصل

قال ابن إسحاق[(١)]: ثم قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبًا من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في / [٦٣] أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما أرادوا دعاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم وتأتون بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبًا أحمق منكم. أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرًا.

ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. فيقال والله أعلم: فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٢-٥٥].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وقد سألت الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت؟ فقال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه، والآيات في سورة المائدة

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦-٣٧).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧).

يقول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢] إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥].

قال ابن هشام[(١)]: وحدثني خلاَّد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، واسم الأعشى ميمون بن قيس، خرج إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ألم تغتمض عَيْناك ليلة أرمَدَا ... وبتَّ كما بات السَّلِيمُ مُسَّهدَا[(٢)]

وما ذاك مِنْ عشق النساء وإنما ... تَناسيتَ قبلَ اليوْم صُحْبة مَهْددا

ولكن أرَى الدهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفَّاي عاد فأفْسدا

كُهولًا وشُبَّانًا فقدتُ وثروة ... فللّه هذا الدَّهر كيف تردّدا

وما زلتُ أبغي المال مُذْ أنا يافعٌ ... وليدًا وكهلًا حين شِبت وأمْردا

وأبْتذل العِيس المراقيل[(٣)] تعْتلي ... مسافةَ ما بين النُّجَيْر فَصَرْخدا[(٤)]

ألا أيُّهذا السائِلي أين يَمَّمت ... فإنّ لها في أهلِ يثرِبَ موْعدا

فإنْ تسألنْ عني فيا رُبَّ سائلٍ ... حَفِيّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩-٣٢).

(٢) مؤرقًا لا يرقأ بنوم. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٢٤).

(٣) **العيس**: بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، **والمراقيل**: الإبل المسرعة. لسان العرب (٦/ ١٥٢)، (١١/ ٢٩٣).

(٤) **النُّجير**: كان حصنًا باليمن قرب حضرموت، واليوم بقايا أطلال جنوب غربي العَبَر على قرابة ستين كيلًا شمال غربي حضرموت.

والصرخد: مدينة بالشام كانت قصبة ما حولها، تقع شرق بصرى وجنوب السويداء في جبل الدروز، وقاعدة الناحية اليوم السويداء، وصرخد بلدة صغيرة متأخرة، وتدعى اليوم «صلخد» بإبدال الراء لامًا. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣١٥)، (ص ١٧٦).

أجدَّت برجلَيْها النَّجاءَ وراجعتْ ... يدَاها خِنافًا ليِّنًا غيرَ أحردا[١]

وفيها إذا ما هجَّرت عَجْرفيَّةٌ[٢] ... إذا خِلْت حِرْباء الظَّهيرة أصْيدا

وأما إذا ما أدلجت فترى لها ... رقيبين جَدْيًا ما يَغيب وفرقدا[٣]

وآليت لا آوي لها من كلالة ... ولا من حَفًى[٤] حتى تلاقى محمدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي من فواضله ندى

نبيا يرى ما لا يرون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

له صَدقاتٌ ما تغِبّ ونائِل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجِدَّكَ لم تَسْمع وَصَاةَ محمد ... نبيّ الإلَهِ حيث أوْصَى وأشَهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقى ... ولاقيْتَ بعد الموْت مَنْ قد تَزوَّدا

ندمتَ على أن لا تكون كمثْلِه ... فَتُرصِد للأمر الذي كان أرصدا

فإيَّاك والمَيْتَاتِ لا تقربنَّها ... ولا تأخذَنْ سهمًا حديدًا لتفْصدا

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تنسكُنَّه ... ولا تعبد الأوثان واللهَ فاعُبدا

ولا تَقْربن جارة كان سرّها ... عليك حرامًا فانْكِحَنْ أو تأبَّدا[٥]

وذا الرَّحِم القُربى فلا تَقْطَعَنَّه ... لعاقبة واصدق وفك المُقَيَّدا

---

(١) **النجاء**: السرعة. لسان العرب (١٥/ ٣٠٦)، وخنف البعير يخنف خنافًا: إذا سار فقلب خف يده إلى وحشيه. لسان العرب (٩/ ٩٧). وأحرد مأخوذ من الحَرَد، وهو داء في قوائم الإبل أو في اليدين، أو يبس عصب إحداهما من العقال، فيخبط بيديه إذا مشى. القاموس المحيط (ص ٣٥٣).

(٢) قال الجوهري: جمل فيه عجرفية: كأن فيه خرقًا وقلة مبالاة لسرعته، وقال الأزهري: العجرفية من سير الإبل: اعتراض في نشاط. لسان العرب (٩/ ٢٣٥).

(٣) الجدي الكوكب الذي يعرف به القبلة في البلاد الشمالية. والفرقد فرقدان، نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي. لسان العرب (١/ ٦٨٢)، (٣/ ٣٣٤).

(٤) مصدر حَفِي يحفَى، وهو الإنقاب، يقال: أنقب البعير، إذا حفي خفه.

(٥) **السَرُّ**: النكاح. تأبد، أي: تغرب وابعد عن النساء.

وسبِّح على حِين العَشَّيات والضّحى ولا تحمَد الشيطانَ والله فاحمدا
ولا تَسْخرن من بائس ذي ضرورة ولا تحسبنَّ المال للمرْء مُخْلِدا

فلما كان بمكة أو قريبًا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسألوه عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليسلم، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرِّم الزنا. فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمرٌ ما لي فيه من أرَب. فقال له: يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر. فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في النفس منها لعُلالات، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأُسلِم. فانصرف فمات من عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

فصل

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله / [٦٤] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موت عمه أبي طالب من سفهاء قومه وتجرأوا عليه وكاشفوه بالأذى كما تقدم خرج إلى الطائف، ورجا أن يؤووه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرًا، ونالوه مع ذلك بأشدِّ الأذى ونالوا منه ما لم ينل قومه، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم.

قال موسى بن عقبة[2]: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء.

زاد غيره: وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه ويقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه

---

(١) انتهى النقل من سيرة ابن هشام. وقال الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ٢/ ١٠٠١): «وكان الأنسب بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها ههنا والله أعلم».

(٢) البداية والنهاية (٢/ ١٣٤).

شجاجًا، فانصرف راجعًا من الطائف إلى مكة محزونًا، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

أورده ابن إسحاق[(١)]، وذكر أنه دعا به حين أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فلما اطمأن دعا بهذا الدعاء.

ورواه الطبراني[(٢)] عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماشيًا إلى الطائف، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: «اللهم أشكو إليك...» فذكره.

وقوله: «يتجهمني» بتقديم الجيم على الهاء أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

فأرسل إليه ربه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما الجبلان اللذان هي بينهما، فقال: «بل أستأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا». أخرجاه في الصحيحين[(٣)] من حديث عائشة.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٧١).

(٢) الطبراني في الكبير (١٣/ ٧٣)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٦/ ٤٨٧) [٢٩٣٣].

(٣) سبق تخريجه.

قال ابن إسحاق في روايته[١]: فلما رآه ابنا ربيعة ورأيا ما لقي من ثقيف تحركت له رحمهما، فبعثا إليه مع غلامهما عداس النصراني قطف عنب، فلما وضع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده في القطف قال: بسم الله، ثم أكل، ثم نظر عداس إلى وجهه وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أي البلاد أنت، وما دينك؟ قال: نصراني من أهل نينوى[٢] قال: من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟ قال عداس: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي وهو نبي مثلي. فأكبَّ عدَّاس على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل رأسه ويديه ورجليه يقبلهما. قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شخص خير من هذا، فقد أخبرني بشيء لا يعلمه إلا نبي. قالا: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

فلما نزل بنخلة في مرجعه قام يصلي في جوف الليل، فصرف الله إليه نفرًا من الجن فاستمعوا قراءته، وكانوا من أهل نصيبين، فاستمعوا قراءته ولم يشعر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٧١-٧٢).

(٢) نينوى كانت إحدى مدن العراق المهمة ذات شهرة تاريخية، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة مقابلة مدينة الموصل من مطلع الشمس، والنهر بينهما. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣٢٣).

قال الحافظ ابن كثير[١]: وقد ذكر ابن إسحاق خبر خروجه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أهل الطائف ودعائه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين. قال: وهذا صحيح، لكن قوله: إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، ويدل عليه حديث ابن عباس عند أحمد[٢] قال: «كان الجن يستمعون للوحي، فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا، فيكون ما سمعوه حقًا وما زادوه باطلًا، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث. فبّث جنوده، فإذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض». رواه النسائي[٣]. / [٦٥] قال: وخروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف بعد موت عمه. وروى ابن أبي شيبة[٤] عن عبد الله بن مسعود قال: هبطوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا أنصتوا، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآيات. فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا قومًا بعد قوم وفوجًا بعد فوج. انتهى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٦).

(٢) المسند (١/ ٢٧٤).

(٣) النسائي في الكبرى [١١٦٢٦].

(٤) لم نقف عليه في مصنف ابن أبي شيبة، وهو في المستدرك (٢/ ٤٩٥) من طريق ابن أبي شيبة.

وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنخلة أيامًا، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك - يعني قريشًا -؟ فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه ومظهر دينه. ثم انتهى إلى مكة، فأرسل رجلًا من خزاعة إلى المطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم. ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا. فدخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته، فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا، فلا يهيجه منكم أحد. فانتهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[(١)].

وذكر ابن إسحاق[(٢)]: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أراد أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف أرسل إلى الأخنس بن شريق: أدخل في جوارك؟ فقال: إني حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم فأجابه إلى ذلك. انتهى.

فصل

قال العلماء: وجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله، فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ودعا قومه إلى الإسلام، ودعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل له آية فجعل الله في وجهه نورًا، فقال: يا رسول الله، أخشى أن يقولوا هذه مثلة. فدعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصار النور في سوطه، فهو يعرف بذي النور. فأسلم بعض

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٣)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٥٣-١٥٤).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤).

قومه. فأقام الطفيل في بلاده إلى أن هاجر بعد الخندق ما بين السبعين إلى الثمانين بيتًا من قومه، فوافَوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر.

ذكر محمد بن إسحاق[(١)]: أنه أسهم لهم، وأنه كان عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة حتى قبض الله رسوله، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة الأسدي، ومن أرض نجد كلها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا [وهو متوجه إلى اليمامة][(٢)]، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، إني رأيت أن رأسي حلق، وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني فرجها، وأرى ابني يطلبني طلبًا حثيثًا، ثم رأيته حبس عني. قالوا: خيرًا. قال: أما أنا فقد أوَّلتها. قالوا: وماذا؟ قال: فأما حلق رأسي فوضعه، وأما الطير الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تُحْفَر فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رَحِمَهُ اللَّهُ شهيدًا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبسل فيها، ثم قتل عام اليرموك شهيدًا في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فصل

ثم أسري برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبًا على البراق صحبه جبرائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨).

(٢) في المخطوط تقديم وتأخير، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩).

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فرحَّب به وسلم عليه فردَّ عليه السلام، وأقرَّ بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن شماله.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته.

ثم عرج إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسلم عليه ورحَّب به.

ثم عرج إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسلم عليه ورحب به.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فلقي فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسلم عليه ورحَّب به وأقر بنبوته. فلما جاوزه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: إنَّ غلامًا بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى. ثم رفع له البيت المعمور.

ثم عرج به إلى الجبار جَلَّ جَلَالُهُ، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة.

فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ فقال: بخمسين صلاة. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أن نعم إن شئت.

فعلا به جبريل حتى أتى الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو في مكانه. هذا لفظ البخاري في صحيحه في بعض الطرق.

فوضع عنه عشرًا. ثم نزل حتى مر بموسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه تعالى حتى جعلها خمسًا.

/[٦٦] فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم. فلما نفذ نادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي[(١)].

واختلفت الصحابة رضى الله عنهم: هل رأى ربه تلك الليلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه[(٢)]. وصح عنه أنه قال: رآه بفؤاده[(٣)]. وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك، وقالا: إن قوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣] إنما هو جبريل[(٤)].

وصح عن أبي ذر أنه سأله: هل رأيت ربك؟ قال: «نور، أنى أراه؟»[(٥)]، أي حال بيني وبين رؤيته النور، كما في اللفظ الآخر: «رأيت نورًا».

وعند ابن خزيمة عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه[(٦)].

---

(١) البخاري [٣٨٨٧]، ومسلم [١٦٢].
(٢) الشريعة للآجريّ [٤٩١]، والسنة لابن أبي عاصم [٤٤٢]، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم [١٧٦]، والترمذي[٣٢٧٥، ٣٢٧٦، ٣٢٧٧].
(٤) أخرجه مسلم [٢٩٠، ١٧٦].
(٥) أخرجه مسلم [٢٩٢، ١٧٨].
(٦) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٢٠٨).

وبهذا يتبين مراده في حديث أبي ذر بذكر النور، أي أن النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره.

ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عالمًا بالله على الدوام. بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره.

وروى ابن خزيمة[١] عن أنس قال: رأى محمد ربه. وإسناده قوي.

وروى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال: سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم.

وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، وذكر إنكار عائشة أنه رآه، قال الزهري: ليست عندنا أعلم من ابن عباس[٢].

وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة للرؤية يشتد عليه.

وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدًا رأى ربه[٣].

وممن أثبت الرؤية لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإمام أحمد بن حنبل، فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي: قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»، فبأي معنى تدفع قولها؟ قال: بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيت ربي»، قول النبي أكبر من قولها.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره[٤].

---

(١) كتاب التوحيد (ص١٩٩).

(٢) القائل هو معمر الراوي عن الزهري، كما في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٥٢).

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٥٣).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٣٧) والفتاوى (٦/ ٣٠٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]: وليس قول ابن عباس: «إنه رآه» مناقضًا لهذا، ولا قوله: «رآه بفؤاده». وقد صح عنه أنه قال: «رأيت ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[(٢)]. ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان بالمدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تلك الليلة وعلى هذا بنى الإمام أحمد فقال: نعم رآه حقًا، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد. ولكن لم يقل أحمد: إنه رآه يقظة. ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه. ولكن مرة قال: رآه، ومرة قال: رآه بفؤده. فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تَصَرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه. وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك.

ومن العلماء من جمع بين قول عائشة وابن عباس وقال: إن عائشة أنكرت رؤية العين، واحتجت بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وابن عباس ذكر رؤية الفؤاد، ولا منافاة بينهما، ومنهم من جعلهما قولين مختلفين.

وأكثر أهل السنة يرجحون قول ابن عباس لما فيه من الإثبات، ومن قال: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رآه بعينيه في الدنيا فهو أيضًا غالط قائل قولًا لم يقله أحد من الصحابة ولا الأئمة. والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كله كذب موضوع باتفاق أهل العلم، وكذلك عن أحمد فإنه لم يقل قط: إنه رآه بعينه. وأما أحاديث المعراج فليس في شيء منها ذكر رؤيته البتة أصلًا، فالواجب اتباع الآثار الثابتة في ذلك، وما كان عليه السلف والأئمة هو إثبات مطلق الرؤية بالفؤاد. انتهى كلامه.

---

(١) في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٧-٥٠٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٥).

فصل

فلما أصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد أذاهم له وتكذيبهم.

ومرَّ به أبو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إليه، فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم. قال: وما هو؟ قال: أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. قال: فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به؟ قال: نعم. قال: يا معشر بني كعب بن لؤي. فانقضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدِّث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني أسري بي الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم.

فمن بين مصفِّق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان [أممًا][1] غير قولك هذا، أنا أشهد أنك كاذب. كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدًا شهرًا ومنحدرًا شهرًا، فتزعم أنك أتيته في ليلة واللات والعزى لا أصدقك.

فقال أبو بكر: يا مطعم، بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبته. أنا أشهد أنه صادق. فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم: بناؤه كذا، وهيئته كذا، وقربه

(١) في المخطوط: (بما)، والمثبت من مصادر التخريج مثل معجم أبي يعلى (ص٤٤)، وفضائل بيت المقدس (ص٨٢).

من الجبل كذا. فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت، فكرب كربًا ما كرب مثله، فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال.

فقالوا: فكم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدَّها. فجعل ينظر إليه ويعدها بابًا بابًا ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت، أشهد أنك رسول الله.

/ [٦٧] فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. فقالوا لأبي بكر: أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر «الصديق».

ثم قالوا: يا محمد، أخبرنا عن عيرنا. فأخبرهم عنها في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. وكان الأمر كما قال. ورموه بالسحر وقالوا: صدق الوليد. ولم يزدهم ذلك إلا ثبورًا، وأبى الظالمون إلا كفورًا[(١)].

فصل

عن الزهري قال: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكذا قال عروة. وقال السدي ستة عشر شهرًا. وقال ابن عبد البر وغيره: كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران[(٢)].

والصحيح أن الإسراء مرة واحدة، وقيل: مرتان: مرة يقظة ومرة منامًا، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله: «ثم استيقظت» وبين سائر الروايات. ومنهم من قال: مرتين قبل الوحي لقوله في حديث شريك: «وذلك قبل أن يوحى إليه»، ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث.

---

(١) دمج المؤلف بين حديث ابن عباس الذي في مسند أحمد (١/ ٣٠٩) وغيره وبين حديث أم هانئ الذي أخرجه أبو يعلى في معجمه (ص٤٤).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٣)، والبداءة والنهاية (٢/ ١٠٧).

وقد صرح بعض من المتأخرين بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء، ومن ظفر بهذا المسلك فإنه ظفر بشيء تخلص به من الإشكالات. فهذا بعيد جدًّا ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، قاله ابن كثير في التفسير[(١)].

وقال صاحب الهدي[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان بمكة مرة واحدة بعد البعثة. ويا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارٌ كيف ساغ لهم أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا فيقول: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي. ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشرًا عشرًا. وقد غلط الحفاظ شريكًا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثم قال: «فقدم وأخر وزاد ونقص»، ولم يسرد الحديث، فأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انتهى.

وحكى القاضي عياض عن الزهري أنه كان بعد المبعث بخمس سنين، ورجحه القرطبي والنووي[(٣)] واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان، وذلك قبل أن تفرض الصلاة. ويؤيده إطلاق حديث عائشة بأن خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد.

---

(١) تفسر ابن كثير (٣/ ٤).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٠٩-٢١٠)، والشفاء (١/ ١٩٤).

وأما تردده في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، قاله الحافظ ابن حجر[١]. وقيل: إن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، قاله ابن حزم[٢] وادعى فيه الإجماع. وذكر النووي في فتاواه أنه كان في ثالث عشر ربيع الآخر، وقال في شرح مسلم[٣]: في ربيع الأول، وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب. واختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي. والله أعلم.

فصل

في مبدأ الهجرة التي فرق الله فيها بين أوليائه وبين أعدائه، وجعلها مبدأً لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله.

قال [الواقدي][٤]: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا: أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيًا، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام يتبع الناس في منازلهم وفي المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه، حتى ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم، فإذا مِتُّم كنتم بها ملوكًا في الجنة»، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب، فيردون على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الفتح (٧/ ٢٤٢).

(٢) الفتح (٧/ ٢٤٢)، وفي جوامع السيرة (ص٦٨) اقتصر على أن الإسراء كان قبل الهجرة.

(٣) شرح مسلم (٢/ ٢١٠).

(٤) في المخطوط: «الترمذي»، والصواب ما أثبتناه من طبقات ابن سعد (١/ ٢١٦).

أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وهو يدعوهم إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا.

قال: وكان ممن يسمَّى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله / [٦٨] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن حَصَفة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب والحضارمة وعُذرة. فلم يستجب منهم أحد، انتهى.

وذكر بعض أهل السير[(١)] عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب قال: لما مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبائل العرب خرج هو وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب وأنا معه، فتقدم أبو بكر إليهم، وكان رجلًا نسابة، فسلَّم عليهم، فردوا عليه، فقال: من القوم؟ فقالوا: من ربيعة. فقال: من هامتها أم لهازمها[(٢)]؟ قالوا: من هامتها العظمى، قال: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر، قال: فمنكم عوف الذي يقال فيه: لا جدب بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال: فلستم ذهلًا الأكبر، أنتم ذهل الأصغر.

---

(١) ثقات ابن حبان (١/ ٨١ فما بعدها)، ودلائل أبي نعيم (١/ ٢٨٢).

(٢) **لهازم**: مفرد لهزم، وهي العظم الناتئ في اللَّحْي تحت الأذن، والمعنى: أنتم من أعلاها أم من أدناها؟

فقام إليه غلام من بني شيبان قد بقل وجهه يقال له: دغفل، فقال له: يا هذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئًا، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: من قريش. فقال: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة، فمن أيِّ القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. فقال الفتى: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة؟ أمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى في قريش مُجَمِّعًا؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتون عجاف؟ قال: لا. قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء، الذي كان كالقمر يضيء في الليلة الداجية الظلماء؟ قال: لا. قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال: فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعًا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال الغلام:

صادف دَرُّ السيل دَرًا يدفعه ... يَهِيضه[1] حينًا وحينًا يصدعه

أما والله لو شئت أخبرتك من أي قريش أنت! فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال علي: يا أبا بكر، وقعت من الأعرابي على باقعة. فقال: أجل، يا أبا حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق.

قال السهيلي[2]: وزاد قاسم بن ثابت تكملة الحديث قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم. قال علي: وكان أبو بكر في كل خير مقدمًا، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله

(١) أي يكسره. لسان العرب ٧/ ٢٤٩.
(٢) الروض الأنف (٤/ ٦١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق قد غلبهم جمالًا ولسانًا، وكان له غديرتان تسقطان على تريبتيه، فكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن يغلب الألف من قلة. [فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟][1] فقال مفروق: عليها الجد والجهد، ولكل قوم حد. فقال أبو بكر: وكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يُديلنا مرة ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش؟ فقال له أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله؟ فها هو ذا.

فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى ما تدعو إليه، يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد.

فقال مفروق: وإلى ما تدعو إليه أيضًا، يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام:١٥١] الآية.

فقال مفروق: وإلى ما تدعوا إليه أيضًا؟ فتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

(١) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من الروض الأنف (٤/ ٦١-٦٢).

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِكَ قوم كذَّبوك وظاهروا عليك.

وكأنه أراد أن يشرك في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا [واتباعنا إياك][(١)] على دينك لمجلس جلسْتَه إلينا ليس له أول ولا آخر لَوَهَنٌ في الرأي وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن نرجع وترجع وننظر.

وكأنه أحب أن يشرك في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في ترك ديننا واتباعنا إياك في مجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنما نزلنا بين ضربي اليمامة والسماوة. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هذان الضربان؟ / [٦٩] فقال: أنهار كسرى ومياه [العرب][(٢)]، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثًا ولا نؤوي محدثًا. وإني أرى أن هذا الأمر مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، فإنَّ دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورثكم

(١) في المخطوط: «واتباعناك»، والمثبت من الروض الأنف (٤/ ٦٣).
(٢) في المخطوط: «كسرى»، والمثبت من الروض (٤/ ٦٣).

الله أرضهم وديارهم وتفترشوا نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا. فتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

ثم نهض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ بيدي أبي بكر فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسين، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم.

قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا صدقًا صبرًا. انتهى.

فصل

قال ابن إسحاق[(١)]: فلما أراد الله سبحانه إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له، [خرج][(٢)] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم.

فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. قال: فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٨١).

(٢) في المخطوط: «فخرج»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٨١).

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزَوْهم في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًا مبعوثٌ الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقُنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدَّقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من الشر والعداوة ما بينهم، فعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وهم - فيما ذكر لي - ستة نفر من الخزرج، من بني النجار أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء، ومن بني زريق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، ومن بني سلمة قطبة بن عامر بن حديدة، ومن بني حرام بن كعب عقبة بن عامر، ومن بني [عبيد بن][(٣)] عدي بن غنم بن كعب بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد. انتهى.

---

(١) انظر دلائل أبي نعيم (١/ ٢٩٧)، والبيهقي (٢/ ٤٣٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٢).

(٣) في المخطوط: «عبدان»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٢/ ٨٣).

وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.

قلت: قال بعضهم: ومن أهل العلم بالسير من يسقط جابر بن رئاب، ويجعل فيهم عبادة بن الصامت[(١)].

فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتمنعون ظهري حتى أبلغ رسالات ربي؟ فقالوا: يا رسول الله، إنما كانت بعاث عام الأول يوم من أيامنا اقتتلنا به، فإن تقدم ونحن كذا لا يكون عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن جمعهم الله عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك، وموعدك الموسمُ العامَ القابلَ، وانصرفوا إلى المدينة.

قال ابن إسحاق[(٢)]: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب.

ثم عدَّهم ابن إسحاق، فذكر الستة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رئاب، فلم يحضرها، والسبعة تتمة الاثني عشر: معاذ بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء أخو المذكور، وذكوان بن عبد قيس الزرقي، وذكر أنه دخل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة فسكنها معه فهو مهاجري أنصاري، قتل يوم أحد. وعبادة بن الصامت بن

---

(١) منهم ابن حزم في جوامع السيرة (ص٧١).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٣-٨٤).

قيس، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي، والعباس بن عبادة بن نضلة من بني سلمة. فهؤلاء من الخزرج. ومن الأوس رجلان: أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة.

فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة. قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فإن وفيتم فلكم الجنة، / [٧٠] ومن غشي من ذلك شيئًا كان أمره إلى الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه». أخرجه البخاري[(١)] في صحيحه بأخصر من هذا فيما رأيت.

وفي رواية له: قال عبادة: «إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننتهب نهبة ولا نعصي، بالجنة[(٢)] إن فعلنا ذلك، وإن غشينا من ذلك شيئًا كان قضاء ذلك إلى الله». انتهى.

وفي رواية له: «ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[(٣)].

---

(١) البخاري [٣٨٩٣]، وفتح الباري (٧/ ٣٦١-٣٦٤).

(٢) قوله: «بالجنة» متعلق بقوله في أول الحديث: «بايعناه». فتح الباري (١/ ٦٩).

(٣) البخاري [٣٨٩٢]، ومسلم [١٧٠٩].

وقال أبو الزبير عن جابر: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم مجنة وعكاظ وفي منازلهم من منى: «من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة»، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يؤويه، حتى إن الرجل ليرتحل من مضر أو من اليمن إلى ذوي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فائتمرنا، واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه بيعة العقبة، فقال له العباس: يا ابن أخي، لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك، إني ذو معرفة بأهل يثرب.

فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء القوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث. فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - فقال: رويدًا، يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون

على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذركم عند الله.

فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه رجلًا رجلًا، فأخذ علينا، يعطينا بذلك الجنة. رواه أحمد بإسناد حسن، وصححه الحاكم وابن حبان[(١)].

ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام. وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم، وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابعث إلينا من يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير وعمرو بن أم مكتوم الأعمى، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة[(٢)].

وروى عبد بن حميد: حدثنا عبد الرزاق[(٣)] عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سموا الجمعة. قالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلم فلنجعل يومًا نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر الله كما قالوا، فقالوا: يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين، فصلى بهم الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة، وذلك لقلتهم، فأنزل في ذلك بعد: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩].

---

(١) أحمد في المسند (٣/ ٣٣٩).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ١٤٧).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣/ ١٥٩) [٥١٤٤].

قال السهيلي[١]: ومع توفيق الله لهم فيبعد أن يكون ذلك من غير إذن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم ذكر ما رواه الدارقطني عن ابن عباس قال: «أذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجمع بمكة ولا يبدي لهم، فكتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مصعب بن عمير أن يجمع بهم..» الحديث[٢].

وكانوا أربعين رجلًا. فأسلم على يدي مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار، وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد: الرجال والنساء، ولم يبق منهم أحد إلا أسلم، حاشا الأصيرم - وهو عمرو بن ثابت بن قيس - فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ واستشهد ولم يسجد لله سجدة. وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل الجنة[٣]. ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة.

ثم رجع مصعب إلى مكة في العام المقبل، وقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه في ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلًا وهي العقبة الثالثة.

وقال ابن سعد[٤]: يزيدون رجلاً أو رجلين وامرأتان.

وقال ابن إسحاق[٥]: ثلاثة وسبعون وامرأتان.

ووافى الموسم في ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور، فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول من الليل تسلل إلى رسول الله

(١) الروض الأنف (٤/ ١٠١).
(٢) انظر التلخيص الحبير (٢/ ٥٧)، وفتح الباري (٢/ ٣٥٦).
(٣) أبو داود [٢٥٣٧].
(٤) الطبقات (١/ ٢٢١).
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٩).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان: نسيبة [بنت][(١)] كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة.

وفي حديث كعب بن مالك عند ابن إسحاق[(٢)] قال: فاجتمعنا / [٧١] في الشعب ننتظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج، - وقد كانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو في عز من قومه ومنعة وفي بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: سمعنا ما قلت، فتكلم، يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر.

---

(١) في المخطوط: «أم»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٥).

قال: فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالًا، ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم. أنتم مني وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم.

قال ابن هشام: والهدم الحرمة، أي دمي دمكم وحرمتي حرمتكم.

قال كعب بن مالك في حديثه[1]: وقد كان: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيبًا حتى يكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. وهم أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، وكان إسلامه تلك الليلة، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبادة بن الصامت. فهؤلاء تسعة من الخزرج. ومن الأوس ثلاثة: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر. وقيل: أبو الهيثم بن التيهان مكانه.

قال كعب في حديثه[2]: فلما بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب - والجباجب المنازل - هل لكم في مذمم والصباة معه، قد اجتمعوا لكم على حربكم.

قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا أزبُّ العقبة، هذا ابن أزنب، أتسمع أيْ عدوَّ الله، والله لأفرغن لك. ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارفضُّوا إلى رحالكم،

(١) المصدر السابق (٢/ ٩٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٠١-١٠٣).

قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا. قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم.

قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه. قال: وصدقوا، لم يعلموا، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض.

قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدتان، قال: فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ - وأنت سيد من ساداتنا - مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليَّ وقال: والله لتنتعلنها.

قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه. قال قلت: والله لا أردهما، فأل صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه. انتهى.

وجعل عبد الله بن أبي يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا عليَّ بمثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني[1]. فرجعت قريش من عندهم، ثم وجدوا الخبر قد كان، فخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٩).

والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقيبًا، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير، فجاء جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم، وكان يمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلاده إذا مروا بتجارتهم. وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه، فإذا / [٧٢] هو قد طلع عليهم، فرحل القوم جميعًا إلى المدينة(١).

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس:

تداركت سعدًا عنوة فأسرته ... وكان شفائي لو تداركت منذرا

ولو نلته طلَّت دماء جراحه ... وكان حقيقًا أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فيهما، فقال:

لستَ(٢) إلى سَعْدٍ ولا المرءِ مُنْذِرٍ ... إذا ما مَطايا القوم أصْبَحْن ضُمَّرا

فلولا أبو وَهْبٍ لَمَرَّتْ قَصَائِد ... على شرف البَيْداء يَهْوينَ حُسَّرًا

أتَفْخَرُ بالكَتَّان لما لَبِستَه ... وقد يلبس الأنباط ريطًا مُقَصَّرًا

ولا تك كالثَّكْلَى وكانت بِمَعزِل ... عن الثُّكْل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تَكُ كالشَّاةِ الَّتي كان حَتْفُها ... بِحَفْر ذِرَاعيها فلم تَرْضَ مَحْفَرا

ولا تك كالعاوي فأقبل نَحْره ... ولم يخْشَه سهم من النبل مُضْمَرا

فإنَّا ومن يُهْدِي القصائد نحونا ... كمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إلى أهل خيبرا(٣)

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٤)، وطبقات ابن سعد (١/ ٢٢٣).

(٢) في الاكتفاء (١/ ٢٧٠): ولست، وبها يتزن البيت.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٥-١٠٦).

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجموح وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بني سلمة وشريفًا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال له: «مناة» كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهًا يعظمه ويظهره.

فلما أسلم فتيان بني سلمة - معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عُذَر الناس منكسًا على رأسه. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟!

قال: ثم يعود ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه فعملوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يومًا فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: إني والله ما [أعلم][1] من صنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك.

فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس. ثم غدا عليه عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان فيه، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسًا

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٧).

مقرونًا بكلب. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم يرحمه الله وحسن إسلامه.

فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف - وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة - فقال:

والله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قَرَن

أفٍّ لَمَلْقاك إلهًا مُسْتَدَن ... الآن فتشناك عن سوء الغَبن

الحمد لله العلي ذي المنن ... الواهب الرازق ديان الدّيَن

هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن

فصل

قال ابن إسحاق[1]: فلما أذن الله لرسوله في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ومن آوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها». فخرجوا أرسالًا، وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أرض الحبشة، فلما

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٢-١٢٧).

آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرًا، وحبست عنه امرأته أم سلمة.

ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بن عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة.

ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش[(١)] وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعرًا، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فَغُلِّقَتْ دار بني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى مكة، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء، ثم قال:

وكلّ دارٍ وإنْ طالت سلامتُها ... يومًا ستُدْركها النَّكْبَاءُ والحُوبُ

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن ... كأنه غرض للموت منصوب

الحوب: التوجع، وقيل: الحاجة، ويقال للإثم أيضًا.

/ [٧٣] وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة بن محصن، وشجاع، وعقبة بن وهب، وأربد بن حُمَيِّرة، ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رُقَيش، ومحرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وغيرهم.

(١) في المخطوط: «عبيد الله»، والصحيح ما أثبتنا من سيرة ابن هشام (١/ ١٢٤).

ومن نسائهم: زينب بنت جحش أم المؤمنين، وأم حبيبة بنت جحش، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف - وهي التي كانت تستحاض -، وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير، وكانت تستحاض أيضًا، وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت نباتة، و[آمنة][(١)] بنت رقيش، وسخبرة بنت ثمامة.

وقال أبو أحمد بن جحش في ذلك شعرًا:

ولو حلفتْ بين الصفا أمّ أحمد ... ومَرْوتها بالله برَّت يمينُها

لنحن الألى كنَّا بها ثم لم نزل ... بمكَّة حتى عاد غثًّا سمينها

بها خيَّمت غنْم بن دودان وابْتَنَت ... وما إن غدت غنم وخفّ قَطِينها

إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ... ودين رسول الله بالحق دينها[(٢)]

ونزل عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخُنَيْس بن حذافة السهمي - وكان صهره على ابنته حفصة فخلف عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده -، وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم. وبنو البكير أربعتهم: إياس بن البكير وعاقل [وعامر][(٣)] وخالد حلفاؤهم من بني سعد، نزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بقباء.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن إِساف أخي الحارث بن الخزرج بالسُّنح، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار.

(١) في المخطوط: «أمية»، والمثبت من سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد (٨/ ١٧٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٧).

(٣) ما بين المعقوفين غير موجود في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٢).

قال ابن هشام[١]: وبلغني أن صهيبًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكل مالك من عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟! والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب»[٢].

قال ابن إسحاق[٣]: ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنَّاز بن حصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأَنَسَة وأبو كبشة موليا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كلثوم بن هِدم أخي بني عمرو بن عوف بقُباء. ويقال: بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة، ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار.

ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطفيل والحصين ابنا الحارث ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حريلمة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقباء.

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج.

ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٣).

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٣-١٣٤).

ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ أخي بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه وكان سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد سيَّبته، فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة فتبناه، فقيل: سالم مولى أبي حذيفة، ويقال:كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة، فأعتقت سالما سائبة فقيل: سالم مولى أبي حذيفة.

ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر أخي بني عبد الأشهل.

ونزل عثمان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار، فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل.

فصل

فلما رأت قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج فعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وبأس وشوكة، فخافوا خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم ولحوقه بهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة، ولم يتخلف أحد من ذوي الرأي والحجى منهم يتشاورون في أمره[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [غَدَوْا في اليوم الذي اتعدوا له][(٣)]

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٠)، وهو معنى ما قاله ابن إسحاق كما سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٦).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٦-١٣٧).
(٣) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٧).

فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بت له[١]، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا. قالوا: أجل فادخل. فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيًا.

/ [٧٤] قال: فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زهيرًا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعونه من أيديكم ثم يكاثرونكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره.

فتشاوروا في أمره، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألْفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل بحي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيًا غير هذا.

---

(١) **البتلة والبت**: الكساء الغليظ.

فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

قال: يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره.

فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه.

فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسجَّ ببُردي هذا الحضرمي الأخضر فنم عليه، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام في برده ذلك إذا نام.

قال ابن إسحاق[(١)]: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، [ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم][(٢)] نار تحرقون فيها.

قال: فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم». وأخذ الله على أبصارهم عنه، فجعل ينثر ذلك التراب

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٩-١٤٠).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٠).

على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:١-٣] إلى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩] حتى فرغ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمدًا. قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على رأسه التراب، وانطلق لحاجته. أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم يتطلَّعون فيرون عليًا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا.

وقال غير ابن إسحاق: وهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وربيعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلًا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وأنزل في ذلك مما اجتمعوا له ذلك اليوم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال:٣٠] الآية، وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور:٣٠].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٣٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٤١).

فصل

قال ابن إسحاق[١]: وأذن الله لرسوله عند ذلك في الهجرة إلى المدينة.

قال ابن عباس بقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء:٨٠]، فروى الترمذي[٢] وصححه عن ابن عباس قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾.

قال الحسن وقتادة: «مدخل صدق يعني المدينة، وأخرجني مخرج صدق يعني مكة». وقال قتادة: «علم نبي الله أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل الله سلطانًا نصيرًا لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم»[٣].

وذكر الحاكم[٤] أن خروجه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان بعد العقبة بثلاثة أشهر أو قريبًا منها.

وذكر الأموي في مغازيه عن ابن إسحاق: كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال. قال: وخرج لهلال ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٤١).
(٢) أخرجه الترمذي [٣١٣٩].
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٥).
(٤) المستدرك (٣/ ٥١٣).
(٥) فتح الباري (٧/ ٢٢٧).

قال الحاكم[١]: تواترت الأحاديث أن خروجه يوم الاثنين ودخوله المدينة يوم الاثنين: إلا أن محمد بن موسى / [٧٥] الخوارزمي قال: خرج من مكة يوم الخميس. وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج أثناء ليلة الاثنين، وأخبر عليًا بمخرجه، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس.

وفي الصحيح[٢] عن عائشة قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين: إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة. وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصحبه، وقد علف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر - وهو الخَبَط - أربعة أشهر.

قالت عائشة: فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقنعًا - في ساعة لم يكن يأتينا فيها-. فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال: إنما هم أهلك بأبي وأمي أنت يا رسول الله. قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت، يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بالثمن.

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٣٦).

(٢) البخاري [٣٩٠٥].

قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين. وأقام رسول الله في بيت أبي بكر إلى الليل، ثم لحقا بغار في جبل ثور.

وروي أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ليلًا إلى الغار، فكانا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيت عندهما يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

وكان دليلهم عبد الله بن أريقط الليثي هاديا خريتًا. والخريت الماهر بالهداية، استأجراه وأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث. وكان على دين قومه[(١)].

وذكر الحاكم في مستدركه[(٢)] عن عمر قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أبو بكر إلى الغار، فجعل يمشي مرة عن يمينه، ومرة عن شماله، ومرة أمامه، ومرة خلفه، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما هذا يا أبا بكر، ما أعرف هذا من فعلك؟!». فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك، لا آمن عليك. فقال: يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق. انتهى.

---

(١) انظر: مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٩١).

(٢) الحديث في المستدرك (٥/ ٥٣٩).

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي تلك الليلة على طرف قدميه كي يخفي أثره حتى حفيت قدماه، فحمله أبو بكر وهو يشتد به حتى أتى به الغار، فأنزله وقال: يا رسول الله دعني أدخل قبلك، فإن كان فيه حية أو شيء كان بي دونك. فقال: ادخل، فدخل أبو بكر وجعل يلتمس بيده، وكلما رأى جحرًا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر فوضع فيه عقبه خشية أن يخرج على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه شيء يؤذيه، وكان فيه حيات وأفاعي، ثم دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أصبح قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يديه][(١)]، وقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة. فأوحى الله إليه: إن الله قد استجاب لك[(٢)].

وجدَّتْ قريش في طلبهما وخرجوا يقتصون أثر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثر أبي بكر، وأخذوا معهم القافة حتى وصلوا إلى الغار. وفي مسند البزار[(٣)]: أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه. فلما أتوا الغار طارت الحمامتان ورأوا البيضتين ونسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لتكسر البيض ولم يكن عليه نسج العناكب، فصرفهم الله عَزَّوَجَلَّ بذلك عنه.

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في المخطوط، والمثبت من الحلية (١/ ٣٣).

(٢) منكر، أخرج شطره الأول إلى قوله: «وكان فيه حيات وأفاعٍ» البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٧٧)، وفي سنده عبد الرحمن الراسبي، وهو آفته كما قال الذهبي في السيرة (ص٣٢١).

(٣) انظر: كشف الأستار (٢/ ٢٩٩-٣٠٠).

وفي الصحيحين[١] عن أنس أن أبا بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا».

وروي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله / [٧٦] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة. فعندها قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] يعني بالمعونة والنصر، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ وهي أمنة تسكن عندها القلوب على أبي بكر، لأنه كان منزعجًا، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يعني الملائكة ليحرسوه في الغار، أو ليصرفوا عنه وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود، فهو سبحانه على كل شيء قدير لطيف لما يشاء، إن شاء ربط العالم بخيط عنكبوت، وإن شاء بأسباب غير ذلك.

ومكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب.

وفي حديث عائشة: فأتاهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، وانطلق معهما عامر بن فهيرة فأخذ بهما الدليل طريق السواحل.

وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما وتأييده يصحبهما وإسعاده يرحلهما وينزلهما. ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دِيَة كل واحد منهما، فجدَّ الناس في الطلب، والله غالب على أمره[٢] ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي المتفق عليه[٣] من حديث البراء عن أبي بكر قال: ارتحلنا من مكة، فأحيينا أو

(١) البخاري [٣٦٥٣]، ومسلم [٢٣٨١].
(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٠).
(٣) البخاري [٣٦٥٢]، واللفظ له، وجزء يسير عند مسلم [٢٠٠٩].

سرينا ليلتنا ويومنا، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا أنا بصخرة أتيتها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفرشت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فروة، فقلت له: اضطجع يا رسول الله. فاضطجع. فخرجت أنظر ما حولي هل أرى أحدًا من الطلب، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته: لمن أنت؟ فقال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوافقته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت. ثم [قلت][1]: قد آن الرحيل، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك المدلجي على فرسٍ له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن إن الله معنا.

فدعا عليه رسول الله فارتطمت به فرسه إلى بطنها، أرى في جلد من الأرض - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا الله لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنجا، فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: قد كفيتم ما ههنا. ولا يلقى أحدًا إلا رده.

وفي حديث ابن شهاب قال: أخبرني عبد الرحمن بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون

(١) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من صحيح البخاري.

في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني رأيت آنفًا أَسْوِدَةً بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتَ فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي، فأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه[1] الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني[2] ولم يسألاني إلا أن قالا: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهى حديث الزهري[3].

---

(١) **الزُّج**: بالضم: الحديدة في أسفل الرمح. القاموس (١/ ١٩٨).

(٢) أي لم يأخذا منه شيئًا. النهاية (٥/ ١٨٠).

(٣) البخاري [٣٩٠٦].

فقيل: إن الكتاب كان معه إلى يوم الفتح، فجاء بالكتاب فوفى له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / [٧٧] وقال: «يوم وفاء وبر»، فكان أول النهار جاهدًا عليهما، وآخره حرسًا لهما(١).

فصل

ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن معه، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلدة برزة تحتبي بفناء الخيمة، ثم تطعم وتسقي من مر بها. فسألاها: هل عندها شيء يشترونه؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء، فنظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة، يا أم معبد؟ فقالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم. فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أفتأذنين لي أن أحلبها. قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: «اللهم بارك لها في شاتها»، فتفاجَّت فدرَّت فاجترت. فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشربوا جميعًا عللًا بعد نهل. ثم حلب فيه ثانيًا حتى ملأ الإناء فغادره عندها، ثم ارتحلوا عنها.

فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنازًا عجافًا يتساوكن هزلًا، فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت؟ فقالت:

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٥).

لا والله، إلا أن مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، صِفِيه لي يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلًا [ظاهر][(١)] الوضاءة حسن الخلق، لم تعبه ثجلة - ويروى نحلة بالنون والحاء -، ولم تزر به صقلة، كأن عنقه إبريق فضة، وسيم جسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند. فقال: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، والذي ذكر لنا من أمره ما ذكر. لو كنت أنا وافقته لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا.

قالت أسماء بنت أبي بكر: ولما خفي علينا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم فقال: أين أبوكِ؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي. فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي. قالت: ثم انصرفوا، فمضى ثلاث ليال ما ندري أين توجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أتى رجل من أسفل مكة يغني بأبيات وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه، وهو ينشد هذه الأبيات:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد

---

(١) في المخطوط: «ضاء»، والمثبت من مصادر التخريج.

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فَعال لا يجارى وسؤدد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابح المتجرد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكمُ إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنًا لديها لحالب ... بدرتها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا أين توجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه ابن إسحاق والطبراني وغيرهما[1].

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجاوب الهاتف:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقد سر من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم، من يتبع الحق يرشد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
فهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادة جَدِّهِ ... بصحبته، من يسعد الله يسعد[2]

(١) هو في سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٦) مختصر جدًّا، وفي المعجم الكبير للطبراني (٤/ ٤٩).
(٢) حديث أم معبد أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٣٠-٢٣٢).

ويروى أن الشاة التي لمس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرعها وحلبها بقيت عند أم معبد حتى كان زمن الرمادة في سنة ثمان عشرة / [٧٨] من الهجرة في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهلكت، قالت أم معبد: وكنا نحلبها صبوحًا وغبوقًا وما في الأرض قليل ولا كثير. أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي[١].

ثم إن أم معبد هاجرت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلمت[٢].

ولقيَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزبير بن العوام في ركب من المسلمين قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر ثيابًا بيضا[٣].

فصل

قال ابن شهاب في حديثه عن عروة: وبلغ المسلمين خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة، فجعلوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة.

فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم ينظر لأمر يريده، فبصر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه مُبَيِّضِين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن نادى بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدُّكُم الذي تنتظرون.

فبادر المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين ثاني عشر ربيع

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٨٩).

(٢) أبو نعيم في الدلائل(٢/ ٣٤٠).

(٣) البخاري [٣٩٠٦].

الاول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس حينئذ رسول الله. انتهى[(١)].

وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وسمعت [الرَّجة][(٢)] والتكبير في بني عمرو بن عوف. وخرج المسلمون للقائه، فلقوه وحيوه بتحية النبوة، وأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه، فالله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير ، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فنزل على كلثوم بن الهِدم، وقيل: على سعد بن خيثمة[(٣)].

ونزل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسُّنح على خبيب بن إساف أخي بني الحارث بن الخزرج، وقيل: على خارجة بن زيد.

وأقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة حتى أدَّى ودائع كانت عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس، ثم لحق بالمدينة[(٤)]، ونزل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء أيامًا، وأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء.

وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له، في حديث أنس عند البخاري[(٥)]: فأرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدين

---

(١) المصدر السابق [٣٩٠٦].

(٢) في المخطوط: «الوجبة»، والمثبت من طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٣).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥٨)، والرواية عند ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٣٣).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٧-١٥٨).

(٥) البخاري [٣٩٣٢].

لسيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ناقته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله. انتهى.

فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمَّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب ناقته وأرخى زمامها لا يحركها وهي تنظر يمينا وشمالًا، فلم تزل ناقته سائرة، ولا يمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوه في النزول عليهم ويأخذون بخطام ناقته: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة. فقال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة».

فلم تزل سائرة حتى وصلت إلى موضع مسجد اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلًا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله، وكان ذلك من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله فأدخله، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «المرء مع رحله». وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده[(١)].

وفي رواية أنس عند البخاري[(٢)]: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله، هذه داري، وهذا بابي. قال: فانطلق فهيئ لنا مقيلًا قال: قوموا على بركة الله.

فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام يسأله عن أشياء قال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٩).

(٢) البخاري [٣٩١١].

قال: أخبرني بهن جبريل. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأنك جئت بحق. وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في.

فأرسل نبي الله إلى اليهود فدخلوا عليه، فقال: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًّا وأني جئتكم بحق، فأسْلِموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرار، قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج عليهم فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله، وأنه قد جاء بحق. فقالوا: كذبت. وقالوا: شرنا وابن شرنا وتنقصوه. فقال: هذا كنت أخاف يا رسول الله. فأخرجهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن / [٧٩] مقدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرخ التاريخ في زمان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى يومنا هذا، فروى البخاري[(١)] في صحيحه عن سهل بن سعد قال: «ما عدوا من مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة».

(١) البخاري [٣٩٣٤].

وقال البراء: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآن الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا، ثم جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما رأيت الناس فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون: هذا رسول الله، قد جاء رسول الله[١].

وقال أنس: شهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يومًا كان أحسن قط ولا أضوأ من يوم دخل علينا، وشهدته يوم مات، فما رأيت يومًا كان قط أقبح ولا أظلم من يوم مات[٢].

فأقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزل أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجرته، وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان[٣].

وفي الصحيح[٤] عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء ثم أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعته في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله

(١) البخاري [٣٩٢٥].
(٢) الحديث رواه ابن ماجه (١/ ٥٢٢) [١٦٣١].
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٧-٢٣٨).
(٤) البخاري [٣٩٠٩]، ومسلم [٢١٤٦].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة. وفيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة عبد الله بن الزبير[(١)]، رضى الله عنهم أجمعين.

فصل
في بناء المسجد

قال الزهري في حديثه: بركت ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موضع مسجده، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين. وكان مربدًا لسهيل وسهل غلامين يتيمين من الأنصار، وكان في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: يا رسول الله بل نهبه لك، فأبى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا[(٢)].

وفي حديث أنس في الصحيح[(٣)]: فأرسل إلى بني النجار فقال: يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قال: وكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد. قال: وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة ... فانصر الأنصار والمهاجرة

(١) البخاري [٣٩١٠].
(٢) البخاري [٣٩٠٥].
(٣) البخاري [٣٩٣٢]، ومسلم [٥٢٤].

وفي حديث الزهري عن عروة: وطفق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر - ربَّنا - وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل ببيت شعر رجل من المسلمين لم يسم. انتهى[(١)].

وقال غيره: ووضع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع الناس وهم يقولون:

لئن قعدنا والرسول يعمل ... لذاك منا العمل المضلل[(٢)]

وآخرون يقولون:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... يدأب فيها قائمًا وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا[(٣)]

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، وباب يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه عَلَيْهِ السَّلَامُ. وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع، وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وجعل عضادتيه الحجارة. وقيل له: ألا تسقفه؟ فقال: «لا، عريش كعريش موسى»[(٤)]. وبنى بيوتًا إلى جنبه باللبن وسقفها بالجذوع والجريد[(٥)].

(١) البخاري [٣٩٠٦].
(٢) فتح الباري (٧/ ٢٩١)، ونسبه إلى الزبير.
(٣) المصدر السابق من طريق أخرى عن أم سلمة نحوه، وزاد: «قال: قال علي بن ابي طالب».
(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٤٢).
(٥) زاد المعاد (٣/ ٦٣).

فلما فرغ من البناء بنى بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد شارعًا على المسجد وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بيتًا آخر[(١)].

وفي الصحيح[(٢)] عن عائشة قالت: تزوجني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فأتتني أم رومان - وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي - فصرخت بي، فأتيتها ولا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وأني لأنهج، حتى سكن نفسي، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن وأصلحن من شأني، فلم يَرُعْنِي إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / [٨٠] ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وفيه عن عروة قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين[(٣)].

قال أبو عمر[(٤)]: وكان نكاحه عَلَيْهِ السَّلَامُ لها في شوال، وابتنى بها في شوال، وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها في شوال على أزواجهن[(٥)]، وكانت أحب نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه، ولم يتزوج

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٤٠)، والبداية والنهاية (٢/ ٢١٩).
(٢) البخاري [٣٨٩٤]، ومسلم [١٤٢٢]، وانظر: الفتح (٧/ ٣٦٥).
(٣) البخاري [٣٨٩٥].
(٤) الاستعياب لابن عبد البر (٤/ ١٨٨٢).
(٥) مسلم [١٤٢٣].

بكرًا غيرها. وكانت مدة مقامها معه عَلَيْهِ السَّلَامُ تسع سنين، ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة. وكانت فقيهة عالمة فصيحة، كثيرة الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهى.

وكان في مؤخر المسجد موضع مظلل يأوى إليه المساكين يسمى «الصفة»، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، ويتعشى بطائفة منهم معه[١].

فصل

ثم آخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، وكانوا في دار أنس بن مالك[٢]، وكانوا تسعين رجلاً: نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام، إلى وقعة بدر. فلما أنزل الله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٧٥] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة[٣].

وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية[٤]، واتخذ فيها عليًّا أخًا لنفسه[٥]، والثبت الأول[٦].

فآخى[٧] بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد[٨]، وآخى بين عمر بن الخطاب وعِتْبان بن مالك من بني

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٥٥)، والمواهب اللدنية (١/ ٣١٨).
(٢) رواه البخاري [٢٢٩٤]، ومسلم [٢٥٢٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري [٤٥٨٠].
(٤) لم ترد في ذلك رواية صحيحة، ولم تشر كتب السيرة الأولى إلى ذلك. انظر: منهاج السنة (٤/ ٩٦-٩٧).
(٥) الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليّا كلها ضعيفة، انظر: اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١٩١، ١٩٤، ٢٠١).
(٦) زاد المعاد (٣/ ٦٤).
(٧) قصة المؤاخاة ذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٣) دون إسناد.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٢)، وإسناده حسن.

سالم، وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع[١]، وآخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل: كعب بن مالك السلمي، وقيل: بل آخى بين طلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك، وآخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت، وآخى بين سعيد بن زيد وبين أبي بن كعب، وآخى بين مصعب بن عمير وبين أبي أيوب، وآخى بين أبي حذيفة بن عتبة وبين عباد بن بشر الأشهلي، وآخى بين عمار بن ياسر وبين حذيفة بن اليمان العبسي حليف بني عبد الأشهل، ويقال: بل ثابت بن قيس بن الشماس، وآخى بين أبي ذر الغفاري وبين المنذر بن عمرو، وهو نقيب بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وآخى بين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وبين عويم بن ساعدة أخى بني عمرو بن عوف، وآخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء[٢] عويمر بن ثعلبة، وآخى بين بلال وبين أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخوين، وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين[٣].

قال ابن إسحاق[٤]: وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى، أخذته الذبحة أو الشهقة.

وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بئس الميت أبو أمامة

(١) البخاري [٣٧٨٠].

(٢) البخاري [١٩٦٨، ٦١٣٩]، والترمذي [٢٤١٥].

(٣) هذا مخالف لما في صحيح مسلم [٢٥٢٨] عن أنس بن مالك أن رسول الله آخى بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٥-١٧٦).

ليهود ومنافقي العرب، يقولون: لو كان نبيًا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئًا»[(١)].

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه لما مات اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أبو أمامة نقيبهم، فقالوا: يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان منا حيث قد علمت، فاجعل لنا رجلًا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم. فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنتم أخوالي وأنا بها فيكم، وأنا نقيبكم. وكره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخص بها بعضًا دون بعض، فكان ذلك من فضل بني النجار - الذي يعدون على قومهم - أن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقيبهم، والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق[(٢)]: فلما اطمأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس للصلاة في حين مواقيتها من غير دعوة، فهمَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل بوقًا كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد الأذان، فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مرَّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا في يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال:

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٨)، وإسناده ضعيف كما قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٣/ ٣١٤).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٦-١٧٧).

قلت: ندعو به إلى الصلاة. فقال: أفلا أدلك على خير من هذا؟ قلت: بلى، فما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليها، فليؤذن بها فإنه أندى صوتًا منك».

فلما أذن بلال / [٨١] سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلله الحمد».

قلت: رواه أبو داود بإسناد صحيح[(١)].

وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله، لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي. وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وأبو داود في المراسيل[(٢)] من طريق عبيد بن عمير الليثي أحد كبار التابعين أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجد الوحي قد ورد بذلك، فما راعه إلا أذان بلال، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبقك بذلك الوحي».

وفي الصحيح[(٣)] عن أنس قال: لما كثر المسلمون ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعلمونه، فذكروا أن يوروا نارًا، أو يضربوا ناقوسًا، فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة إلا الإقامة.

---

(١) أبو داود (١/ ١٣٥) [٤٩٩].

(٢) المصنف (١/ ٤٥٥-٤٥٦) [١٧٧٥]، والمراسيل (ص٨٠٨١).

(٣) البخاري [٦٠٦].

وفيه[١] عن ابن عمر: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقًا مثل بوق اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلًا منكم ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قم يا بلال فناد بالصلاة» انتهى.

قال بعض أهل السير[٢]: ولما كان بعد شهر من مقدمه عَلَيْهِ السَّلَامُ زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر.

وفي البخاري عن عائشة: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم جاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ففرضت أربعًا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى.

فصل

قال ابن إسحاق[٣]: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس، ولم يوعب من مكة أهل هجرة بأهليهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا أهل دور يُسمَّون: بنو مظعون من بني جمح، وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أمية، وبنو البُكَير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب، فإن دورهم أغلقت هجرة.

ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي، فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان

(١) البخاري [٦٠٤].
(٢) المواهب اللدنية (١/ ٣٠٣).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٤-١٦٥).

بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «أما ترضى يا عبد الله أن الله يعطيك بها دارًا في الجنة؟» قال: بلى، قال: «فذلك لك».

فلما افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فأبطأ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله، فأمسك عن كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال:

أبلغ أبا سفيان عن ... أمرٍ عواقبُه ندامهْ
دار ابن عمك بعتها ... تقضي بها عنك الغرامهْ
وحليفكم بالله ربْـ ... ـبِ الناس مجتهد القسامه
اذهب بها، اذهب بها ... طوّقتها طوق الحمامه

فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خَطْمة وواقف ووائل وأميَّة، وتلك أوس الله - وهم حي من الأوس- فإنهم أقاموا على شركهم[1]، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صيفي وكان شاعرًا لهم يسمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى مضى بدر وأحد والخندق.

قال ابن عبد البر[2] عن ابن إسحاق: إنه أسلم يوم الفتح بعد أن صار إلى مكة مع قريش، وذكر الزبير بن بكار أنه لم يسلم.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٦٠).

قال ابن إسحاق[١]: فلما اطمأنت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داره، وأظهر الله بها دينه، قال أبو قيس بن صرمة بن أبي أنيس أخو بني النجار- وهو الذي كان قد ترهب ولبس المسوح وفارق الأوثان كما قد قدمنا من ذكره، ثم أسلم فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالًا بالحق مُعَظِّمًا لله في جاهليته- فقال حين أسلم يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم:

ثوى في قريش بضْعَ عشرة حِجَّةً ... يذكِّر لو يلقى صديقًا مواتيا
ويَعْرِضُ في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يُؤوِي، ولم يَر داعيا
فلمَّا أتانا أظهر الله دِيْنَه ... فأصبح مسرورًا بطيبةَ راضيا
وألفَى صديقًا واطمأنت به النَوى ... وكان له عونٌ من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
وأصبح لا يخشى من الناس واحدًا ... قريبًا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتَّآسِيا
ونعلم أن الله لا شيء غيرُه ... ونعلم أن الله أفضل هاديا
/ [٨٢] ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعًا وإن كان الحبيبَ المصافيا
أقول إذا أدعوك في كل بيعة ... تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضًا مخوفةً ... حَنَانيك لا تظهر عليَّ الأعاديا
فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ... وإنك لا تبقي لنفسك باقيًا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تَحْفِل النخلُ المُعيمة[٢] ربَّها ... إذا أصبحت ريَّا وأصبح ثاويا

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٩-١٨٣)، نقله بتصرف.
(٢) المُعيمة: العطشانة. لسان العرب (١٢/ ٤٣٣).

فصل

ولما استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة كما تقدم، وأيَّده الله بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه وقدَّموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٩].

قال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة: هذه أول آية نزلت في الجهاد.

وفي سنن النسائي والترمذي(١) عن ابن عباس قال: لما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ الآية. زاد الإمام أحمد(٢) في روايته: وهي أول آية نزلت في القتال.

وعلل الإذن بأنهم ظلموا، وكانوا يأتون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بين مضروب ومشجوج، فيقول: «اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال». حتى هاجر إلى المدينة فأذن له بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وتسعين آية.

(١) السنن الكبرى [١١٣٤٥]، والترمذي [٣١٧١، ٣١٧٢].
(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٦)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢/ ٤٣١): «إسناده صحيح».

قال ابن إسحاق[(١)]: أي: إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا إنهم يعبدون الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أنزل الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣] أي: لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون الدين لله أي حتى يعبدوا الله لا يعبدوا معه غيره.

وقد قالت طائفة: إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية، وهذا غلط لوجوه:

أحدها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

الثاني: أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم، فإنه قال: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج:٤٠].

الثالث: أنه خاطبهم في آخرها بقوله: (يا أيها الذين آمنوا) ،والخطاب بذلك كله مدني، وأما الخطاب بـ (يا أيها الناس) فمشترك.

ثم فرض عليهم القتال - بعد ذلك - لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم. فقال: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٠]، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان القتال محرمًا، ثم مأذونًا فيه، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع الأربعة. أما الجهاد بالنفس ففرض

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢١-١٢٢).

كفاية، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان، والصحيح وجوبه، لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء[١].

فصل

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستحب القتال أول النهار[٢]، كما يستحب الخروج للسفر أوله، فإذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر[٣].

وكان يبايع أصحابه في الحروب على أن لا يفروا[٤]، وربما بايعهم على الموت[٥]، وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام[٦]، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله[٧]، وبايع نفرًا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئا. وكان يسقط السوط من يد أحدهم فينزل فيأخذه. ولا يقول لأحد: ناولني إياه[٨].

وكان يشاور أصحابه في الجهاد ولقاء العدو[٩] وتخير المنازل، وفي المسند[١٠] عن أبي هريرة: ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود [٢٦٠٦]، والترمذي [١٢١٢] وقال: حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو داود [٢٦٥٥]، والترمذي [١٦١٢] عن النعمان بن مقرِّن.

(٤) مسلم [٦٧، ١٨٥٦].

(٥) البخاري [٢٩٦٠].

(٦) البخاري [٢٩٦٢، ٢٩٦٣]، ومسلم [٨٣، ١٨٦٣].

(٧) البخاري [٧٢١٣].

(٨) مسلم [١٠٤٣].

(٩) مسلم [١٧٧٩].

(١٠) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٢٨)، ولفظه: «قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول...».

وكان يتخلف في ساقتهم في المسير، فيزجي الضعيف ويردف المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في المسير[١].

وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها[٢].

وكان يقول: «الحرب خدعة»[٣].

وكان يبعث العيون يأتون بخبر عدوه، ويطلع الطلائع ويبث الحرس[٤].

وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم[٥].

وكان يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبة كفؤًا لها وكان يبارز بين يديه بأمره[٦].

وكان يلبس للحرب عدة، وربما ظاهر بين درعين[٧]، وكان له الألوية[٨].

وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثا ثم قفل[٩]، وكان ربما يبيت عدوه[١٠]، وربما فاجأهم نهارًا[١١]، وكان يحب الخروج بكرة يوم الخميس[١٢].

وكان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه.

---

(١) أخرجه أبو داود [٢٦٣٩].
(٢) البخاري [٢٩٧٤، ٤٤١٨]، ومسلم [٢٧٦٩].
(٣) البخاري [٣٠٢٩، ٣٠٣٠]، ومسلم [١٧٣٩].
(٤) البخاري [٢٨٤٦]، ومسلم [١٩٠١].
(٥) البخاري [٢٩٣٣، ٢٩٦٦]، ومسلم [١٢، ١٧٤١].
(٦) البخاري [٣٩٦٥، ٣٩٦٦].
(٧) أبو داود [٢٥٩٠]، و ابن ماجه [٢٨٠٦].
(٨) البخاري [٢٩٧٤، ٤٢٨٠].
(٩) البخاري [٣٠٦٥، ٣٩٧٦].
(١٠) مسلم [١٧٤٥].
(١١) مسلم [٢٩٤٣، ٢٩٤٥].
(١٢) البخاري [٢٩٥٠].

وكان إذا لقي العدو يقول: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم، وزلزلهم»[(١)]، «اللهم أنزل نصرك»[(٢)]، «اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول وبك أقاتل»[(٣)].

/ [٨٣] وكان اذا اشتد البأس وحمي الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[(٤)]

وكان البأس اذا اشتد اتقوا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أقربهم الى العدو[(٥)]، وكان يجعل لأصحابه شعارًا في الحرب يعرفونه به اذا تكلموا[(٦)].

وكان يحب الخيلاء في الحرب وقال: إن منها ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله، فأمَّا الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغضها الله فاختياله في البغي والفجور[(٧)].

وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف[(٨)].

وكان ينهى عن قتل النساء والولدان[(٩)].

وكان ينظر في المقاتلة، فمن رآه أنبت قتله، ومن لم ينبت استحياه[(١٠)].

---

(١) البخاري [٢٩٣٣]، ومسلم [١٧٤٢].
(٢) مسلم [١٧٧٦].
(٣) أبو داود [٢٦٣٢]، والترمذي [٣٥٨٤].
(٤) البخاري [٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧]، ومسلم [١٧٧٦].
(٥) مسلم [١٧٧٦].
(٦) أبو داود [٢٥٩٦، ٢٥٩٧]، والترمذي [١٦٨٢]، والدارمي [٢٤٥٥].
(٧) أبو داود [٢٦٥٩]، والنسائي [٢٥٥٩].
(٨) أبو داود في المراسيل (ص٣٨).
(٩) البخاري [٣٠١٣، ٣٠١٤]، ومسلم [١٧٤٤].
(١٠) أبو داود [٤٤٠٤، ٤٤٠٥]، والترمذي [١٥٨٤].

وكان اذا أمَّر أميرًا أو بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: «سيروا بسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[١].

وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو[٢].

وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفيء نصيب، أو بذل الجزية فإن هم أجابوا إليه قبل منهم، وإلا استعان بالله وقاتلهم[٣].

وكان إذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمر به من مصالح المسلمين، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش: للفارس ثلاثة أسهم: له سهم وسهمان لفرسه، وللراجل سهم، هذا هو الصحيح الثابت عنه[٤].

وكان ينُفِّل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصحلة، وقيل: بل كان النفل من الخمس، وقيل - وهو أضعف الأقوال -: بل كان من خمس الخمس.

وجمع لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس، فأعطاه خمسة أسهم لعظم غنائه في تلك الغزوة[٥].

وكان يسوي بين الضعيف وغيره في القسمة ما عدا النفل[٦].

---

(١) مسلم [١٧٣١].
(٢) البخاري [٢٩٩٠]، ومسلم [١٨٦٩].
(٣) أبو داود [٢٦١٣].
(٤) البخاري [٢٨٣٦]، ومسلم [١٧٦٢].
(٥) مسلم [٢٧٥٢].
(٦) أبو داود [٢٧٣٩].

وكان اذا أغار في أرض العدو أو بعث سرية بين يديه فما غنمت أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي وقسم الباقي بينهم وبين سائر الجيش، وإذا رجع فعل ذلك ونفلها الثلث[١]، ومع ذلك كان يكره النفل ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم»[٢].

وكان له سهم من الغنيمة يدعى الصفي، إن شاء عبدا وان شاء فرسا يختاره قبل الخمس[٣]. وقالت فاطمة: «وكانت صفية من الصفي». رواه أبو داود[٤]. وكان سيفه ذو الفقار من الصفي[٥].

وكان يسهم لمن غاب لمصلحة المسلمين[٦].

وكانوا يستأجرون الأجير للغزو على نوعين: أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج للجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي»[٧].

وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضا: أحدهما: شركة الأبدان والثاني: أن يدفع الرجل إلى الرجل بعيره أو فرسه يغزو عليها على النصف مما غنم حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قِدْحَه والآخر نصلَه وريشه.

---

(١) أبو داود [٢٧٥٠].
(٢) أحمد (٥/ ٣٢٣).
(٣) أبو داود [٢٩٩١].
(٤) أبو داود [٢٩٩٤].
(٥) الترمذي [١٥٦١]، وابن ماجه [٢٨٠٨].
(٦) أخرجه أبو داود [٢٧٢٦].
(٧) أخرجه أبو داود [٢٥٢٦].

وقال ابن مسعود: اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر فجاء سعد بأسيرين ولم أجيء أنا وعمَّار بشيء[١].

وكان يبعث السرية فرسانا تارة ورجالة أخرى، وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح[٢].

وكان المسلمون يصيبون في مغازيهم العسل والعنب والطعام، فيأكلونه ولا يعرفونه في الغنائم، قال ابن عمر: «إن جيشًا غنموا في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا وعسلًا، فلم يؤخذ منهم الخمس». رواه أبو داود[٣]

فصل

وكان ينهى في مغازيه عن النُّهبة والمثلة وقال: «من انتهب نهبة فليس منا»[٤].

وأمر بالقدور التي طبخت من النهب فأكفئت، وروى البخاري[٥] في صحيحه في باب ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغانم عن رافع قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذي الحليفة، فأصاب الناس جوع، وأصبنا إبلا وغنما - وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُخريات الناس، فجعلوا يذبحون، ونصبوا القدور، فأمر بالقدور فأكفئت .... الحديث.

وذكر أبو داود[٦] عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصاب الناس مجاعة شديدة وجهد وأصابوا أغناما فانتهبوها، وإن قدورنا لتغلي إذ

(١) أخرجه أبو داود [٣٣٨٨]، والنسائي [٤٦٩٧].
(٢) أبو داود [٢٧٢٣]، وعلقه البخاري [٤٢٣٨].
(٣) أبو داود [٢٧٠١]، وهو أيضًا عند البخاري [٣١٥٤].
(٤) أخرجه الترمذي [١٦٠١].
(٥) البخاري [٣٠٧٥].
(٦) أبو داود [٢٧٠٥].

جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه ثم جعل يُرَمِّلُ اللحم بالتراب[(١)] ثم قال: «إنَّ النهبة ليست بأحلَّ من الميتة»، [أو][(٢)] «إن الميتة ليست بأحل من النُّهبة».

وكان يشدد في الغُلُول جدًّا، ويقول: «عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة»[(٣)].

ولما أصيب غلامه مِدْعَم قال بعض الصحابة: هنيئا له الجنة، قال: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا». فلما سمع ذلك المسلمون جاء رجل بشراك أو شراكين فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شراك أو شراكان من نار»[(٤)].

وكان إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى في الناس فيجيئون بمغانمهم فيخمسها ويقسمها، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر، فقال: ما منعك أن تجيء به؟ فاعتذر فقال: «كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك»[(٥)].

وأمر بتحريق متاع الغالِّ وضربه، وأحرقه الخليفتان الراشدان بعده[(٦)].

فقيل: هذا منسوخ بسائر الأحاديث التي ذكرت، فإنه لم يجئ التحريق بشيء منها وقيل - وهو الصواب -: إن هذا من باب التعزير وهو العقوبات المالية الراجعة إلى اجتهاد الأئمة بحسب المصلحة، فإنه حرق وترك، وكذلك من بعده.

---

(١) أي: يلتُّ بالتراب لئلا ينتفع به. لسان العرب (١١/ ٢٩٤).

(٢) في المخطوط: «و»، والصحيح «أو»، والشك من هناد كما ذكر أبو داود.

(٣) أخرجه ابن ماجه [٢٨٥٠]، ومالك في الموطأ [٢١، ٣١، ٤٥٩].

(٤) البخاري [٤٢٣٤]، ومسلم [١١٥].

(٥) أبو داود [٢٧١٢].

(٦) أبو داود [٢٧١٣]، والترمذي [١٤٦١].

وكان من هديه في الأسارى أنه كان يمن على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة.

فصل

قال ابن إسحاق[(١)]: ونصبت أحبار اليهود العداوة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغيًا وحسدًا وضغنًا لما خصَّ الله به العرب / [٨٤] من أخذه [رسوله][(٢)] منهم.

قلت: وقد ذكر غيره أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وادعهم وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة. فحاربته الثلاث فمنَّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة وسبى ذريتهم ونساءهم.

ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة[(٣)]، وبادر حبرهم وعالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام كما تقدم، وكان من بني قينقاع، وأبى عامتهم إلا الكفر والعناد.

قال ابن إسحاق[(٤)]: وظاهرهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عتا[(٥)] على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنّة من القتل. وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٣).

(٢) في المخطوط: «العرب»، والتصويب من ابن هشام (٢/ ١٨٣).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٥).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٣-١٨٤).

(٥) أي: تكبر وتجاوز الحد.

وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل عليه فيما يسألونه من المسائل إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام، كان المسلمون يسألونه عنها.

منهم: حيي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وجُدَيّ بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور - وهو الذي قتله أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الأشرف - وهو من طيء ثم أخو بني نبهان - وأمه من بني النضير فهؤلاء من بني النضير.

وعبد الله بن صوريا الأعور، ولم يكن في زمانه بالحجاز أعلم منه بالتوارة، وابن [صلوبا][(١)]، ومخيريق وكان خيرهم وكان حبرًا عالمًا وكان غنيًا كثير الأموال، وكان يعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال: يا معشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بأحد وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فيما بلغني: «مخيريق خير يهود». وقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمواله، فعامَّة صدقات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها بالمدينة[(٢)].

---

(١) في المخطوط: «صوريا»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٤).

(٢) رواه ابن إسحاق بلاغًا، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٨).

وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حُدِّثْتُ عن صفية بنت حيي أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ولم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس.

قالت: فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينىَ، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغمِّ، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: تعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت[١].

قال ابن إسحاق[٢]: وكان ممن يسمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج زُوَيّ بن الحارث والحارث بن سويد بن الصامت.

قال ابن حزم[٣]: قتله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوَدًا، وكان أخوه خلاد بن سويد من فضلاء المسلمين، وكانت لأخيهما الجلاس بن سويد نزعة، ثم لم ير منه إلا خير وصلاح وإسلام إلى أن مات.

قلت: يريد ما ذكره ابن إسحاق[٤] أنه قال: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير. قال: فأنزل الله فيه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤] الآية. قال ابن إسحاق[٥]: فزعموا أنه تاب فحسنت توبته.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٨-١٨٩)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٥٤-٢٥٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩).
(٣) جوامع السيرة (ص٧٨).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٩-١٩٠).
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).

ونبتل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث**». وكان رجلًا جسيمًا أذلم ثائر الرأس أحمر العينين أسفع[(١)].

ونجاد بن عامر، وأبو حبيبة بن الأزعر، وهو أحد أصحاب مسجد الضرار، وعباد بن حنيف، وكان أخوه سهل من خيار المسلمين، وبخرج وهو ممن بنى مسجد الضرار، وعمرو بن خِذام، وعبد الله بن نبتل، وحارثة من بني عامر بن الغطاف.

قال ابن حزم[(٢)]: وقد ذكر ابناه زيد ومجُمَّع، ولم يصح عن مجمع إلا الخير والقرآن والإسلام، لكنه كان أبوه قدمه ليصلي بهم في مسجد الضرار.

وذكر ابن إسحاق[(٣)]: أنه قال لعمر: والله يا أمير الؤمنين ما علمت بشيء من أمرهم.

ووديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب.

وخذام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره. ومبشر ورافع ابنا زيد. ومربع بن قيظي، [وأخوه][(٤)] أوس بن قيظي، وحاطب بن أمية بن رافع، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له: زيد بن حاطب، وقزمان حليف لهم، فقاتل يوم أحد قتالًا شديدًا / [٨٥] فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هو من أهل النار»، فعجب الناس من ذلك فلما اشتد به الأمر قتل نفسه[(٥)].

---

(١) **الأذلم**: الأسود الطويل، ويقال: هو المسترخي الشفتين، والسفعة: حمرة تضرب إلى السواد.

(٢) جوامع السيرة (ص٧٨).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٤).

(٤) في المخطوط: «أخواه»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٥).

(٥) رواه البخاري [٤٢٠٢]، ومسلم [١١١] دون أن يسميا الرجل.

قال ابن إسحاق[١]: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، إلا أن الضحَّاك بن ثابت كان يتهم بذلك.

ومن الخزرج ثم من بني النجار رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس.

ومن بني سلمة الجد بن قيس، وهو الذي قال: يا محمد ائذن لي ولا تفتنِّي.

ومن بني عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين، وإليه يجتمعون. وكان ابنه عبد الله من صلحاء المسلمين.

وكان قوم من اليهود يتعوذون بالإسلام، وهم يبطنون الكفر، منهم سعد بن حُنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغنا حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين»[٢].

[ورفاعة بن زيد بن التابوت وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا. وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزون بدينهم ففي هؤلاء من المنافقين][٣] من أحبار يهود ومن الأوس والخزرج نزل صدر سورة البقرة فيما بلغني[٤].

وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٩).
(٣) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من المطبوع (ص٢٢٧).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٢).

يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه. وما هو بالذي نذكره لكم. فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [البقرة:٨٩].

وقال ابن صلوبا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها. فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة:٩٩].

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك. فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة:١٠٨] الآية.

وكان حُيَيّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب أشدَّ يهود للعرب حسدًا، إذ خصَّهم الله برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانا جاهدَيْنِ في ردِّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩][1] الآية.

قال ابن إسحاق[2]: ودعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٩).

عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا وخيرا منا فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة:١٧٠].

قال ابن إسحاق(١): ومنهم شاس بن قيس وكان شيخًا قد عتى عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم، فأتى على نفر من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وإصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بُعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس على الخزرج وكان على الأوس يؤمئذ حضير بن سماك أبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعًا.

قلت: وفي الصحيح(٢) عن عائشة قالت: وكان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله فقدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم [وجرِّحوا فقدَّمه الله لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ](٣) في دخولهم الإسلام.

قال ابن إسحاق(٤): ففعل الفتى، فتكلم القوم عند ذلك وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكَب: أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٣).
(٢) البخاري [٣٧٧٧].
(٣) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من الصحيح.
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٤).

من الأوس، وجبار بن ضخر أحد بني سلمة من الخزرج - فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، والظاهرة الحرة - السلاح السلاح.

فخرجوا إليها فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه، حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله! أَبِدَعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف بين قلوبكم؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله، فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴾ [آل عمران:٩٨-٩٩] الآية.

/ [٨٦] وأنزل الله في أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠] الآية إلى: ﴿ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١] والآيات بعدها [آل عمران:١٠٢-١٠٥].

قال ابن إسحاق[(١)]: فقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة - وسيد أهلها عبد الله بن أبي، لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧-٢٧٠).

غيرَه، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع: أبو عامر عبد بن عمرو بن صيفي بن النعمان، وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أُحُد، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له: الراهب، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق».- كما حدثني محمد بن أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر - فشقيا بشرفهما، وضرهما.

وكان قوم عبد الله قد نظموا له الخرز ليتوجوه، ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك، فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل كرهًا مصرا على نفاقه وضغنه.

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلًا، وكان أبو عامر قد أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال: فأنا عليها. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنك لست عليها. قال: بلى إنك يا محمد أدخلت في الحنيفية ما ليس منها. قال: ما فعلت، ولكني جئت بها بيضاء نقية. قال: الكاذب أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا، يُعرض برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي أنك جئتنا بها كذلك. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أجل فمن كذب يفعل الله به ذلك. فكان هو ذلك عدو الله خرج إلى مكة، فلما فتحت خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام فمات بها.

وأمَّا عبد الله بن أُبَي فأقام على شبهة في قومه مترددا حتى غلبه الإسلام فدخل فيه كارها.

فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد قال: ركب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف، وأردفني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلفه، قال: فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل مزاحم أطمه، وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذمَّم من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم ثم جلس، فتلا القرآن ودعا إلى الله وذكر بالله وحذر وبشَّر وأنذر.

قال: وهو زامٌّ لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مقالته قال: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقًّا، فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغشه به ولا تأته في مجلسه بما يكره. قال: فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بل فاغشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا، فهو والله مما نحب، ومما أكرمنا الله به وهدانا له. فقال عبد الله حين رآى من خلاف قومه ما رآى:

متى ما يَكُنْ مولاك خَصْمك لا تزل ... تَـذِل ويَـصْـرَعـك الـذيـن يُـصَـارِع

وهـل يَنْهض الـبـازي بغير جنَاحه ... وإن جُـدَّ يـومـا ريـشُـه فـهـو واقـع

قال ابن هشام[(١)]: البيت الثاني عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق[(٢)] في حديثه عن الزهري عن عروة عن أسامة قال: وقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل على سعد بن عبادة، وفي وجهه ما قال عبد الله بن أبي عدو الله، قال: والله يا رسول الله إني لأرى في وجهك شيئًا كأنك سمعت شيئًا

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٠-٢٧١).

تكرهه؟ قال: أجل، ثم أخبره بما قال ابن أبي. فقال سعد: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك إنا لَنَنْظِمُ له الخَرز لنتوِّجه فإنه ليرى أن قد سلبته مُلْكا.

قلت: وأخرجه البخاري[(١)] في صحيحه بنحوه: أنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري قال: أنا عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره، فذكر الحديث بأبسط من رواية ابن إسحاق.

وفيه: وأردف أسامة بن زيد وراءه. وفيه: وذلك قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبد الله، وفيه: وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود.

وفيه: فلما غشيت القوم عَجاجة الدابة خَمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا. وفيه: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخفضهم حتى سكنوا.

وفيه: قال سعد بن عبادة: اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، وقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما رأى ابن أبي ذلك الحق الذي أعطاك الله شرق به. وذلك الذي فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه /[٨٧] يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون منهم على الأذى قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ

(١) البخاري [٤٥٦٦].

بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٠٩].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأوَّل في العفو ما أمره الله حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدرا فقتل الله صناديد كفار قريش قال ابن أبي ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجَّه، فبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام فأسلموا.

فصل

قال ابن إسحاق[1]: وحدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم. فصرف الله ذلك عن نبيه. قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجدك يا أبتِ؟ فقال:

كل امرئ مُصَبَّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول.

قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي جلده بروقه[2]

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧١-٢٧٣).

(٢) أي: بقرنه. لسان العرب (١٠/ ١٣١).

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول.

قالت: وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بفَج[(١)] وحولي إذخر وجليل

وهل أَرِدَنْ يومًا حياض[(٢)] مَجَنَّة ... وهل يبدون لي شامة وطَفيل

قالت عائشة: فذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سمعت منهم، فقلت: إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى، قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل وباءها إلى مَهْيَعة»، ومهيعة الجحفة[(٣)].

فصل

ولما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة صار الكفار ثلاثة أقسام: قسم صالحهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة، وقسم تاركوه

---

(١) كذا في المخطوط، وعند البخاري [٣٩٢٦]: «بوادٍ»، وروي بالخاء المعجمة أيضًا، وهو الأصوب. وهو أحد أودية مكة الكبار بين عمرة التنعيم والمسجد الحرام، وجليل: شِعب يصب من حراء في أعلى وادي فخ. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٣٤).

(٢) كذا في المخطوط، وسيرة ابن هشام والبخاري: «مياه». والمجنة كانت إحدى أسواق العرب في الجاهلية، كانت تقوم العشرة الأواخر من شهر ذي القعدة، وكانت العشرون قبلها لعكاظ، ثم ثمانية من ذي الحجة لذي المجاز. وشامة جبل بالساحل جنوب غربي مكة، مر بقربه طريق اليمن المزفت، تجاوره حرة تسمى «طفيل»، وتقرن دائمًا معه، فيقال: شامة وطفيل. معجم المعالم الجغرافية (ص٢٨٢، ١٦٧).

(٣) انظر: البخاري [٣٩٢٦]، وأطرافه [١٨٨٩، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧]. كانت الجحفة مدينة عامرة ومحطة من محطات الحاج بين الحرمين، ثم تقهقرت في زمن لم نستطع تحديده، إلا أنه قبل القرن السادس، وتوجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بحوالي ٢٢ كيلًا، إذا خرجت من رابغ تؤم مكة كانت إلى يسارك حوز السهل من الجبل. معجم المعالم الجغرافية (ص٨٠).

فلم يصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره. ومن هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن [(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوهم وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين مشركي العرب، فأقام بعد قدومه المدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر والجمادين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالًا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم.

ثم خرج غازيًا على رأس اثني عشر شهرًا من قدومه المدينة في صفر، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة حتى بلغ ودان - وهي غزوة الأبواء - يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادع فيها بني ضمرة وعقد ذلك معه سيد بني ضمرة مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك.

ثم رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فأقام بها بقية صفر وصدرًا من ربيع الأول. وهي أول غزوة غزاها بنفسه[(٣)].

وذكر البخاري[(٤)] في صحيحه عن ابن إسحاق: أولها الأبواء. وليس بينهما اختلاف لأن الأبواء ووَدَّان[(٥)] مكانان متقاربان.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٢٦) بتصرف.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٤).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٤) البخاري مع الفتح (٧/ ٣٢٧).

(٥) اندثرت وَدَّان من زمن بعيد، وتوهم بعض الباحثين أنها مستورة اليوم وليس كذلك، وموضع ودان شرق مستورة إلى الجنوب، في نعف حرة الأبواء، إذا أكنعت في مكان يلتقي فيه سيل تلعة حمامة بوادء الأبواء، وذلك النعف يسمى «العُصْعُص»، والمسافة بينها وبين مستورة قريبًا من ١٢ كيلًا. معجم المعالم الجغرافية (٣٣٢-٣٣٣).

فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة[١]، فلقي بها جمعًا عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يؤمئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله، وفر يؤمئذ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني، وكانا قديمي الإسلام إلا أنهما لم يتمكنا من [الوصول الى] المسلمين إلا يؤمئذ[٢].

قال ابن إسحاق[٣]: وكانت راية أبي عبيدة أول راية عقدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام.

وبعث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص[٤] في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، وليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجهني، وكان موادعا للفريقين جميعًا، فانصرف القوم بعضهم عن بعض[٥].

---

(١) موضع ما زال معروفًا بين غدير خُم والفُرُع على طريق الهجرة. والفُرُع واد فحل من أودية الحجاز، يمر على ١٥٠ كيلًا جنوب المدينة المنورة، كثير العيون والنخل والنزل، سكانه بنو عمرو من حرب، وكان عند البعثة لمزينة. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٨٩، ٢٣٦).

(٢) الطبقات (٢/ ٧)، وما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨١).

(٤) **العيص**: واد لجهينة بين المدينة والبحر، يصب في إضم من اليسار من أطراف جبل الأجرد الغربية ومن الجبال المتصلة به، ومن حرار تقع بين إضم وينبع. معجم المعالم الجغرافية (ص٢١٩).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨١).

قال ابن إسحاق[١]: وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا، فشبه ذلك على الناس. قلت: وقدم صاحب الهدي[٢] بعث حمزة وعبيدة وبعث سعد بن أبي وقاص على غزوة الأبواء. والله اعلم.

غـــزوة بُـــوَاط

ثم خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ربيع الآخر، وهو صدر العام الثاني / [٨٨] من مقدمه المدينة، واستعمل على المدينة السائب بن مظعون، يريد قريشا، حتى بلغ بواط من ناحية رضوى[٣]، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى[٤].

ثم غزا غزوة العُشَيرة، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة أبا

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٠).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٦٣).

(٣) **بواط**: بواطان، واديان أحدهما يصب في إضم غرب المدينة على قرابة ٥٥ كيلًا، والآخر يقاسمه الماء من رأسه ويصب في فُرَعة ينبع غربًا، ورأساهما ينحدران من رَيْع يسمى ريع بواط، يأخذه طريق بين المدينة وينبع مختصر وأقرب كثير من طريق المدينة إلى ينبع مرورًا بوادي الصفراء، وهو غير صالح لسير الثقال، لذا نراه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة ذي العُشيرة ترك هذا الطريق وأخذ على وادي الصفراء على طول تلك الطريق. معجم المعالم الجغرافية (ص ٥٠).

ورضوى جبل ضخم شامخ يضرب إلى الحمرة، يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع، ثم يشرف على الساحل ليس بينه وبين البحر شيء من الأعلام، وإذا كنت في مدينة ينبع رأيت رضوى رأي العين شمالًا شرقيًّا، سكانه جهينة، وله أودية كثيرة يصب معظمها في وادي ينبع. معجم المعالم الجغرافية (ص ١٤١).

(٤) الطبقات (٢/ ٩٠٨)، وابن هشام (٢/ ٢٨٤).

سلمة بن عبد الأسد وخرج في خمسين ومائة - ويقال: في مائتين - من المهاجرين، ولم يكره أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها ويتعرضون عيرا لقريش ذاهبة الى الشام، وقد كان جاءه الخبر بفصولها من مكة وفيها أموال لقريش، فبلغ ذا العشيرة، وقيل: العشيراء بالمد، وقيل: العسيرة بالمهملة، وهي من ناحية ينبع، فوجد العير قد فاتته بأيام.

وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، وهي التي وعده الله إياها، أو ذات الشوكة، ووفى له بوعده وفيها وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة[(١)].

وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن أبي وقاص وثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز، فرجع ولم يلق كيدا[(٢)].

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق[(٣)]: فلم يقم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفهري على سرْح المدينة، فاستاقه فخرج رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ واديا يقال له: سَفوان[(٤)] في ناحية بدر، ففاته كرز ثم رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ولم يلق حربا.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٥)، وابن سعد (٢/ ٩-١٠).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٨).
(٤) لا يعرف اليوم موضع باسم سفوان، إنما هناك واد يسمى «سَفا» بين المدينة وبدر في منتصف المسافة على الطريق بينهما قرب الروحاء، فلعله هو، ثُنِّيَ، ولكنه بعيد عن بدر حيث نسبت الغزوة إلى بدر. معجم المعالم الجغرافية (ص ١٥٨-١٥٩).

بعث عبد الله بن جحش

ثم رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ولم يلق كيدًا، وأقام بها جمادى الآخرة ورجبا وشعبان، وبعث عَلَيْهِ السَّلَامُ في رجب المذكور عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة[١] على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في اثني عشر رجلا من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير.

فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيرًا لقريش، وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه. فلما فتح الكتاب وجد فيه: «اذا نظرت إلى كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها عيرا لقريش وتعلم لنا من أخبارهم». فقال: سمعا وطاعة. وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرههم فمن أحب الشهادة فلينهض ومن كره الموت فليرجع.

فمضوا كلهم فلما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما فتخلَّفا في طلبه ونفذ عبد الله ومن معه حتى نزل نخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي [وعثمان][٢] ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة.

---

(١) **نخلة**: أحد واديين على بعد ليلة من مكة، يقال لأحدهما: نخلة شامية، وللآخر: نخلة يمانية. والمقصود في هذه الرواية نخلة اليمانية، لأنها على الطريق القديم بين مكة والطائف، وما كانت القوافل تسير بينهما إلا فيها. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣١٧).

(٢) ما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠).

فتشاور المسلمون فيهم وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم. ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل فأعجزهم. ثم قدموا بالعير والأسيرين[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما غنمنا الخمس. فكان ذلك أول خمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسير في الإسلام[(٣)].

فلما قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقَّف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا. فلما قال ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين، واشتد تعنت قريش وإنكارهم ذلك، وزعموا أنهم وجدوا مقالا وقالوا: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وتفاءلت اليهود بذلك على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالوا: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله بن عمرو، عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:٢١٧]. يقول سبحانه: هذا الذي

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٨-٢٩٠)، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٠-٢٦٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩١).

(٣) الشطر الثاني من الفقرة من كلام ابن القيم (زاد المعاد ٣/ ١٦٨)، وفيه: «أول أسيرين» بدل «أسير».

أنكرتموه عليهم وإن كان كبيرًا فما ارتكبتموه أنتم من الكفر والصد عن سبيله وعن بيته وإخراج المسلمين الذين هم أهله والشرك الذي أنتم عليه والفتنة التي حصلت منكم أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام.

وأكثر السلف فسروا الفتنة ههنا بالشرك، وفسرت بتعذيبهم المؤمنين وفتنتهم إياهم عن دينهم، والمقصود أن الله / [٨٩] سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعقوبة والعيب[(١)].

قال ابن إسحاق[(٢)]: فلما نزل القرآن بذلك فرج الله عن المسلمين، وقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العير والأسيرين، ففادت قريش الأسيرين.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قتل يوم بئر معونة.

وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرًا.

فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) زاد المعاد (٣/ ١٦٨-١٧٠) بتصرف.
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٢).

أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨]. فقال أبو بكر - ويقال[(١)]: بل عبد الله بن جحش -:

تَعُدّون قتلًا في الحرام عظيمةً ... وأعظَمُ منه لو يَرى الرُّشْدَ راشدُ
صدودكُمُ عما يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لِئَلا يُرى للهِ في البيت ساجد
فإنا وإن عَيَّرتُمونا بقَتْله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحَنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القيد عاند

فصل

فلما كان في شعبان من هذه السنة حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وقيل: على ثمانية عشر، وقيل: على ستة عشر شهرًا، ولم يقل أحد أكثر ولا أقل. وقد روي أن أول من صلى نحو الكعبة أبو سعيد بن المعلى الأنصاري، سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب بتحويل القبلة فقام فصلى ركعتين. انتهى.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أن يصرف إلى الكعبة. وقال لجبريل: «وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة اليهود» فقال: «إنما أنا عبد فسل ربك وادعه». فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك، فنزل عليه: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤] الآية.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٣).

وفي البخاري[١] عن البراء أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلىَّ إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلىَّ أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلىَّ معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت.

وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤٣] الآية.

وفي الصحيحين[٢] عن ابن عمر قال: بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء، إذ جاءهم رجل فقال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم الى الكعبة.

فقال بعض العلماء: وفي هذا دليل أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله لأنهم لم يؤمروا بالإعادة.

قال في الهدي[٣]: وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حِكَمٌ عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم.

---

(١) البخاري [٤٤٨٦]، ومسلم [٥٢٥].
(٢) البخاري [٤٤٩٠]، ومسلم [٥٢٦].
(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٦-٦٩) بتصرف.

وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا.

وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كان القبلة الأولى حقًا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل.

وكثرت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فأنزل الله جواب السفهاء: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:١٤٢] أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، فحيثما وجهنا توجَّهنا، ولو وجهنا كل يوم مرات عديدة إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه، وأكد سبحانه الأمر بذلك مرة بعد مرة حيث ما كان رسوله، ومن حيث خرج.

وأخبر أن الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم هو الذي هداهم لهذه القبلة، وأنها هي القبلة التي لهم، وهم أهلها، لأنهم أوسط الأمم، وهي أوسط القِبل وأفضلها. فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب. وأخرجهم في خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض، وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل، وموقفهم في الموقف خير المواقف، فهم على تلٍّ عالٍ والناس تحتهم، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ / [٩٠] فيما رواه أحمد من حديث عائشة: «إن اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين»[(١)].

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة، ولكِنَّ الظالمين الباغين يحتجون بتلك الحجج التي ذكرت، ولا تعارض الرسل بها وبأمثالها من الحجج الداحضة.

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم، ثم ذكرهم نعمته عليهم بإرسال رسوله إليهم، وإنزال كتابه عليهم، ليزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه.

ثم أمرهم بذكره وشكره، ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به، وهو الصبر والصلاة، وأنه مع الصابرين.

فصل

قال ابن سعد[(٢)] والواقدي بأسانيدهم عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا: أنزل فرض شهر رمضان بعدما حولت القبلة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من قدومه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب أو مُدَّيْن من بُرٍ. انتهى.

---

(١) المسند (٦/ ١٣٤).

(٢) الطبقات (١/ ٢٤٨).

وقال ابن عمر: «فرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، فعدل الناس به نصف صاع من بر»[(١)]. قال الدمياطي[(٢)]: وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال. وقيل: إن الزكاة فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة، والله أعلم.

ويدل عليه ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه[(٣)] عن قيس بن سعد قال: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله». قال صاحب الفروع: إسناده جيد.

غزوة بدر الكبرى

وهي أكرم المشاهد، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع الكفر وأهله.

وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسوَّمة والخيلاء الزائدة.

فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله اطَّلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(٤)].

---

(١) البخاري [١٥١١].
(٢) السيرة النبوية لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ص١١٤) تحقيق أسعد محمد الطيب.
(٣) أحمد في المسند (٦/ ٦)، وسنن النسائي [٢٥٠٩]، وسنن ابن ماجه [١٨٢٨].
(٤) البخاري [٣٠٠٧، وأطرافه ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩]، ومسلم [٢٤٩٤].

وفي الصحيح عن معاذ بن رفاعة الزرقي - وكان بدريًّا، وكان أبوه شهد العقبة - قال: جاء جبريل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة[(١)].

وكان رافع من أهل العقبة، وكان رافع يقول: ما يسرني أني شهدت بدرًا بالعقبة[(٢)].

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهرًا، ويقال: لثمان خلون منه، واستخلف على المدينة أبا لبابة، وخرج معه الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال:٤٢].

وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان، فيها أموال عظيمة لقريش، فندب أصحابه إليهم، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو، وقال: «هذه عير قريش فيها أموال، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

فخف بعض المسلمين، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقى حربًا. فأمر من كان حاضرًا ظهره بالنهوض[(٣)]، فخرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا[(٤)]، وكانوا على سبعين بعيرًا يعتقبونها، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للمقداد وفرس للزبير بن العوام.

---

(١) البخاري [٢٩٩٢].
(٢) المصدر السابق [٢٩٩٣].
(٣) مسلم [١٩٠١].
(٤) البخاري [٣٩٥٧، ٣٩٥٨].

فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي على بعير[(١)].

فلما بلغ أبا سفيان مسيره عَلَيْهِ السَّلَامُ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أَنْ يأتي قريشًا بمكة ليستنفرهم ويخبرهم أن محمدًا قد اعترض لعيرهم في أصحابه[(٢)]، فنهضوا مسرعين في قريب من ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير، ولم يتخلف أحد من أشرافهم، إلا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة كان له دين بذلك. وحشدوا فيمن حولهم من العرب ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدي بن كعب.

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧] وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي؟

ولما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب، وقالوا: إنا نخشى أن نؤتى من خلفنا، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، وكان من أشرافهم فقال: أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه. فخرجوا سراعًا.

وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن خف معه من أصحابه، واستعمل على الصلاة بالناس عمرو بن أم مكتوم، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض، وكان أمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رايتان: /[٩١] إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأُخرى مع رجل من الأنصار، قيل: وكانتا سوداوين.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٣).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٥).

وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن من بني النجار، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ.

فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق[١]، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش[٢]، ثم على تُرْبَان، ثم على مَلَل[٣]، ثم على خميس الحمام، ثم على صخرات اليمام، ثم على السَّيَّالة، ثم على فج الروحاء[٤]، ثم على شَنُوكة، حتى إذا كان بعرق الظَّبية[٥] لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبرا.

---

(١) نقب المدينة لعله نقب بني دينار، وهو من حرة المدينة الغربية، بين السيح والعرصة، ولم يعد معروفًا. والعقيق من أشهر أودية المدينة المنورة، يأتيها من الشمال، ويأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال قدس ومن حرة الحجاز على قرابة ١٤٠ كيلًا شمال المدينة، فيسمى أعلاه النقيع وبين جبل عير وحمراء الأسد يسمى الحسا، فإذا تجاوز ذا الحليفة سُمي العقيق، فيدفع بأسفل المدينة مجتمعًا مع أوديتها الأخرى مثل بطحان وقناة وغيرهما. معجم المعالم الجغرافية (ص٢١٣).

(٢) هي تلعة كبيرة تسيل من ثنايا مفرحات، فتصب في العقيق من الغرب فوق ذي الحليفة، وتعرف اليوم بالشَّلَبيَّة، أهلها عوف من حرب. معجم المعالم الجغرافية (ص٨٧).

(٣) **تُربان**: واد من روافد وادي مَلل، يأخذ من ثنايا مفرّحات على ٢٤ كيلًا ثم يدفع جنوبًا غربيًّا حتى يصب في فرش ملل. وملل واد فحل ينقض من جبال قُدس، فيمر على نحو من أربعين كيلًا جنوب المدينة، فينضم إليه واديان: الفُريش وتربان. معجم المعالم الجغرافية (ص ٦٢، ٢٠٩).

(٤) تبعد السيالة ٤٧ كيلًا عن المدينة على الطريق الذي مر في تربان، ويأخذ الطريق منها إلى الروحاء على ٧٥ كيلًا من المدينة. وقد غير اسمها فسميت «بئار الصفا»، وأطلق عليها «بئر مرزوق»، وما زالت آثار مبانيها ماثلة، وآبارها يورد بعضها. وظلت الروحاء محطة عامرة على مر العصور، ولما كثر الحجاج شاركتها بلدة المسيجيد المعروفة قديمًا بالمنصرف. معجم المعالم الجغرافية (ص ١٦٤، ١٤٣).

(٥) **شنوكة**: تلعة كبيرة تصب على الروحاء مباشرة من جهة الشمال، تأتي من جبال الفقارة. وعرق الظبية يسميه أهل الديار اليوم طرف ظبية، والطرف والعرق والنعف واحد. وهو نعف أشهب يكنع في وادي السدارة على الطريق من المدينة إلى مكة، قبيل الروحاء بثلاثة أكيال تقريبًا. معجم المعالم الجغرافية (ص ١٧٠، ٢٠٤).

ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجْسج، وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف[١] ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازِيَة[٢] [يريد بدرًا، فسلك من ناحية منها حتى جزع[٣] واديًا يقال له: رحقان، بين النازية][٤] وبين مضيق الصفراء[٥]، ثم علا المضيق ثم انصب به، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان وعيره.

ثم رحل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبر عن جبلي الصفراء أن اسمهما مُسْلح ومُخْزي، وسأل عن أهله فقيل: بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار. فترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرور بينهما، وأخذ ذات اليمين على وادي ذفِران[٦] فجزع فيه، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقدام بن الأسود فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل

(١) يُعرف اليوم بالمسيجيد، نسبة إلى مسجد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زالت آثاره هناك، وهي اليوم بلدة عامرة على ٨٠ كيلًا من المدينة على طريق مكة. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) هي أرض فياح إذا خرجت من بلدة المسيجيد تؤم مكة سرت فيها، يسيل فيها من على يمينك وادي رَحْقَان، ويصب على أسفلها مما يلي المستعجلة وادي «خُرُص». معجم المعالم الجغرافية (ص ٣١١).

(٣) جَزَعَ الأرض والوادي كمنع: قطعه. القاموس المحيط (ص ٩١٥).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من ابن هشام (٢/ ٣٠٤).

(٥) هو مكان من وادي الصفراء إذا اجتمعت أودية: الجيء ورحقان والسَّدَارة، في متسع جنوب بلدة المسيجيد على قرابة ٩٠ كيلًا من المدينة، دفعت في مضيق من الوادي بين جبلين: جنوبي ويسمى خَلْص، وشمالي ويسمى المستعجلة، فإذا اجتاز الماء ذلك المضيق سمي الوادي وادي الصفراء. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٩٩).

(٦) ما زال ذفِران معلومًا يأخذه الطريق من الحمراء - بوادي الصفراء - إلى ينبع، يأخذ أولًا على الصُفيراء، ثم على ذفران، ثم على واسط. معجم المعالم الجغرافية (ص ١٣١).

لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بِرْكِ الغِماد[١] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرًا ودعا له بخير[٢].

ثم قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشيروا علي أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار.

وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم[٣] عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن بالمدينة: «إني قد أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا: نعم. فخرج وخرجنا، فلما سرنا يومًا أو يومين قال لنا: ما ترون في القوم، فإنهم قد أخبروا بخروجكم؟ فقلنا: لا والله، ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكن أردنا العير. ثم قال: ما ترون في قتال القوم؟ فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد... وذكر تمام الحديث، ثم استشارهم ثالثا، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخوف أن لا تكون الأنصار [ترى][٤] عليها نصرة إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. فقال له: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا

(١) موضع قديم معلوم بين حلي والقنفذة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهو اليوم بهذا الاسم بلدة مرفأ على الساحل، جنوب مكة قرابة ٦٠٠ كيل، ولها واد يسمى بهذا الاسم. معجم المعالم الجغرافية (ص ٤٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٣-٣٠٥) وهو عند البخاري [٣٩٥٢].

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٩)، وانظر الدر المنثور (٤/ ١٤).

(٤) ليس في المخطوط، والسياق يقتضيه.

ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.

فَسُرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر [إلى مصارع] القوم»[(١)].

قال في عيون الأثر[(٢)]: روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج، وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ، واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرًا، فلم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي منهم[(٣)]. انتهى.

ثم ارتحل عَلَيْهِ السَّلَامُ فنزل قريبًا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، قال ابن هشام[(٤)]: هو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أَوَذاك بذاك؟ قال: نعم. قال: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - المكان الذي به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبلغني أن

(١) في المخطوط: «بمصارع»، وما بين المعقوفين من سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦).
(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٢٤١).
(٣) في عيون الأثر: «فيهم».
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦).

قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش -.

فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نحن من ماء. ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟.

ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريضٌ أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما: لمن أنتما؟ / [٩٢] ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلى، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء.

فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما حتى إذا أذلقوهما[2] قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

وركع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسجد سجدتين، ثم سلَّم وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله، إنهما لقريش، أخبراني عن قريش». قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي تراه بالعدوة القصوى، والكثيب: العقنقل.

قال لهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كم القوم؟ قالا: كثير. قال: كم عِدَّتهم؟ قالا: ما ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوما تسعًا ويومًا عشرًا. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القوم ما بين التسعمائة والألف.

---

(١) **الراوية**: البعير والبغل والحمار يُستقى عليه. القاموس المحيط(ص ١٦٦٥).

(٢) **أذلقوهما**: بالغوا في ضربهما.

ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود. فأقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[(١)].

وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، فلما رأى أنه نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم، فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم به، ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك.

وأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا [زهري][(٢)]، فاغتبطت بنو زهرة بعدُ برأي الأخنس، فلم يزل فيهم مطاعًا معظمًا، وكان حليفًا لهم. وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع.

وسار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، وسبق قريشا إلى بدر، ومنع قريشًا من السبق إليه مطرٌ عظيمٌ أرسله الله تعالى مما يليهم، ولم يصب منه المسلمين إلا ما لَبَّد لهم دهس الوادي[(٣)] وأعانهم.

---

(١) القصة عند مسلم [١٧٧٩] مختصرة.

(٢) ليس في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١١).

(٣) لَبَّدَ: ألصق وألزق، والدهس: الأرض التي يثقل فيها المشي. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٥، ٦/ ٨٩). والمعنى: جعل المطر الرمال متماسكة تثبت فيها القدم.

فنزل عَلَيْهِ السَّلَامُ أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فأتاه الحباب بن المنذر بن الجموح[١] فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه فنشرب ولا يشربون. فاستحسن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الرأي وفعله[٢].

وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أظهرنا الله وأعزنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأُخْرَى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنا نلقى حربًا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا ودعا له بخير، ثم بنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريشا فكان فيه[٣].

ومشى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضع الوقعة، فعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعًا مصرعًا يقول: هذا مصرع فلان إن شاء الله، هذا مصرع فلان إن شاء الله. قال عمر: فوالذي بعثه بالحق نبيًّا ما عدا واحد منهم مضجعه الذي حده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه مسلم في صحيحه[٤].

---

(١) في المخطوط: «الحباب بن المنذر بن عمر بن الجموح»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٢)، وهو الصواب، انظر: الإصابة (٢/ ١٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٣-٣١٤).

(٤) مسلم [٢٨٧٣].

قال ابن إسحاق[١]: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصوَّب من العقنقل - وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال: «اللهم [هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم][٢] فنصرك الذي وعدتني. اللهم احْنِهم الغداة»[٣].

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعوهم، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يقتل وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر.

ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد، فجاء بفرسه حول العسكر فقال: ثلاث مائة يزيدون قليلًا أو [ينقصون][٤]، ولكن أمهلوني حتى أنظر [أللقوم][٥] كمين أو مدد، فضرب في بطن الوادي حتى أبعد فلم ير شيئًا، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئًا، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم [أعدادهم][٦] فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٤).
(٢) ليس في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٤).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٤).
(٤) في المخطوط: «ينقصونه»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥).
(٥) في المخطوط: «للقوم»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥).
(٦) في المخطوط: «عدادهم»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٦).

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فأشار عليه أن يرجع الناس ولا يكون حرب، فوافقه عتبة بن ربيعة، وقام عتبة في الناس خطيبًا، فأشار عليهم بالرجوع، فأبى أبو جهل ذلك. وساعده المشركون[(١)].

وبات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي إلى جذم[(٢)] شجرة هناك، / [٩٣] وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان.

قال ابن إسحاق[(٣)]: وقال فتية من قريش وكانوا خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب محمد وكثرة عدوهم قالوا: غرَّ هؤلاء دينهم.

وبلغني أن الشيطان معهم لا يفارقهم. فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك لا ينكرونه، حتى إذا التقى الجمعان فر ونكص على عقبيه عدو الله، فذهب فأوردهم ثم أسلمهم حين أيد الله رسوله بالملائكة، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال:٤٨] الآية.

وكانوا كما قال حسان:

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهمُ ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهمُ بغرور ثم أسلمهم ... إنَّ الخبيث لمن والاه غَرَّار

وقال: إني لكمْ جار فأوردهم ... شر الموارد فيه الخزي والعار

---

(١) من سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٦) مختصرًا.

(٢) الجِذم الأصل.

(٣) من قوله: «وبلغني» إلى آخر الأبيات في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٤-٣٧٦)، جاء به المؤلف هنا بتصرف.

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شبية وابنه الوليد بن عتبة حتى نصلوا[١] من الصف، فخرج إليهم فتية من الأنصار، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي.

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. فقالوا: أنتم أكفاء كرام، فبارز عبيدةُ - وكان أسنَّ القوم - عتبةَ بن ربيعة، وبارز حمزةُ شيبةَ، وبارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، فكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذَفَّفَا عليه[٢]، واحتملا صاحبهما فجراه إلى أصحابه، فمات بالصفراء[٣].

وفي الصحيح[٤] عن علي قال: فينا أنزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج:١٩].

وفيه عن أبي ذر[٥] أنه كان يقسم قسماً: لَنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر.

---

(١) أي: خرجوا. القاموس المحيط (ص ١٣٧٣).

(٢) **دفف على الجريح كذفف**: أجهز عليه. لسان العرب (٩/ ١٠٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٨-٣١٩).

(٤) البخاري [٣٩٦٧].

(٥) البخاري [٣٩٦٩].

وفيه عن علي قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة[١].

قال ابن إسحاق[٢]: وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إذا أكثبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم واستبقوا نبلكم.

قال: وعدل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر الصديق ليس معه غيره، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: «اللهم إنْ تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد»، وأبو بكر يقول: يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز ما وعدك[٣].

وفي الصحيح[٤] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان يوم بدر في العريش معه الصديق أخذت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة من النوم، ثم استيقظ متبسمًا، فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبرائيل على ثناياه النقع. ثم خرج من باب العريش وهو يتلو: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر:٤٥].

وفي رواية[٥]: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، قد ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾.

(١) البخاري [٣٩٦٥].
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٠).
(٣) البخاري [٤٨٧٥]، ومسلم [١٧٦٣].
(٤) كذا في المخطوط، ولم يخرجه صاحبا الصحيح، وهو كلام ابن كثير بنصه في تفسيره (٢/ ٢٩٢)، ولعل المراد: «في الحديث الصحيح».
(٥) البخاري [٢٩١٥].

وفي رواية ابن إسحاق[(١)]: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبرائيل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» يريد الغبار.

وفي رواية مسلم[(٢)]: [عن ابن عباس][(٣)] قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المشركين وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر، فاستقبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني».

وفيه: «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، فأمده الله بالملائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر الى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه فاذا هو قد خُطِمَ أنفه وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وفي رواية ابن سعد[(٤)] عن عكرمة قال: كان يومئذ يبدر رأس الرجل لا يدرى من ضربه، وتبدر / [٩٤] يد الرجل لا يدرى من ضربها.

---

(١) سيرة ابن إسحاق (٢/ ٣٢٢).
(٢) مسلم [١٧٦٣].
(٣) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من صحيح مسلم.
(٤) الطبقات (٢/ ٢٥-٢٦).

قال ابن إسحاق[١]: ثم رمي مِهْجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل من المسلمين. ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني النجار وهو يشرب من الحوض فأصاب نحره فقتل، فكان أول قتيل من الأنصار.

ثم حرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس على القتال وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

وذكر ابن سعد وابن إسحاق[٢]: أن أبا جهل قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح على نفسه. وأخرجه النسائي[٣] من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير.

ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها قريشا، ثم قال: «شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: «شدوا»، فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم[٤].

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه فقال: «يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدًا»، فقال له جبرائيل: خذ قبضة

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٢).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٣)، ولم نقف عليه في طبقات ابن سعد.
(٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ١٠٦).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٣).

من تراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها من وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين[(١)].

ذكر قتل عدو الله أبي جهل

روى البخاري[(٢)] في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت؛ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما. إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي فما تصنع به؟ قال: أُخْبرتُ أنه يسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبتُ لذلك. قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه.

قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه. ثم انصرفا الى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السيفين فقال: كلاكما قتله. وقضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

وفي رواية[(٣)]: فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما. وفي رواية[(٤)]: فما يسرني أني كنت بين رجلين مكانهما.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٩/ ٢٠٥).
(٢) البخاري [٣١٤١]، ومسلم [١٧٥٢].
(٣) مسلم [١٧٥٢].
(٤) البخاري [٣٩٨٨].

وفي الصحيح[١] عن أنس: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. وقال: أنت أبا جهل! - وقال أحمد بن يونس: أنت أبو جهل - فأخذ لحيته وقال: هل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه».

وفي رواية ابن علية[٢]: أنت أبا جهل. هكذا قالها أنس. قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: فلو غير أَكَّارٍ قتلني.

وذكر ابن إسحاق[٣] في السيرة: قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه. قال: وقد كان ضبث[٤] بي مرة بمكة فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟! قال: وبماذا أخزاني، أَعْمَدُ من رجل قتلتموه[٥]، أخبرني لمن الدائرة؟ قال: قلت: لله ورسوله.

وزعم رجال من بني مخزوم أن عبد الله بن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رويعي الغنم. قال: ثم احتززت رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل. قال: فقال: آلله الذي لا إله غيره؟ قال: قلت: نعم والله الذي لا إله غيره. قال: وكانت يمين

---

(١) البخاري [٣٩٦٢].

(٢) البخاري [٤٠٢٠].

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٤).

(٤) **ضبث به**: قبض عليه بكفه. (القاموس المحيط: مادة ض ب ث).

(٥) وفي صحيح البخاري (٤/ ١٤٥٧): «هل أعمد من رجل قتلتموه»، واختلف في معناه. قال العيني: «والحاصل أنه يُهَوِّن على نفسه ما حل به من الهلاك، وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه». عمدة القاري (١٧/ ٨٥).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله الذي لا إله غيره. ثم ألقيت برأسه بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمد الله.

وفي رواية غير ابن إسحاق فقتله عبد الله ثم أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: قتلته فقال: آلله الذي لا اله غيره؟ فرددها ثلاثًا. ثم قال: الله أكبر، الحمد الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق بي فأرنيه. فانطلقنا فأريته إياه فقال: «هذا فرعون هذه الأمة»[(١)].

وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه عليًّا فأبصره بلال -وكان يعذبه أمية بمكة- فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. ثم خرج حتى وقف على مجلس / [٩٥] من مجالس الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية.

فخرج فريق من الأنصار واشتد بهما عبد الرحمن بن عوف يحوزهما منهم، فأدركهم فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه، ثم لحقوهما، فقال له عبد الرحمن: ابرك، فبرك، فألقى عليه نفسه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه، وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف. وقال أمية قبل ذلك: من الرجل منكم المعلم بريش النعام في صدره؟ فقال: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

كان مع عبد الرحمن أدراع قد سلبها فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأدراع، فألقاها وأخذ بيده ويد ابنه وأمية يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة

(١) أخرجه الطيالسي (ص٤٣).

في اللبن؟ فلما قتله الأنصار كان عبد الرحمن بن عوف يقول: يرحم الله بلالًا، فجعني بأدراعي وبأسيري[(١)].

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر بقتله قبل ذلك، وأخبره بذلك سعد بن معاذ لما قدم مكة معتمرًا، ونزل على أمية. فكان أمية اذا قدم المدينة نزل على سعد، فرآه أبو جهل يطوف فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدًا وأصحابه؟ فقال: نعم. فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. فقال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام. قال: فجعل أمية بن خلف يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي، قال: والله ما يكذب محمد.

وفي رواية: فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إنهم قاتلوك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد.

فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر قالت امرأته: أمَا ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوما أو يومين. فسار معهم حتى قتله الله. رواه البخاري في صحيحه[(٢)].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٧-٣٢٩)، وقصة مقتل أمية بن خلف ذكرها البخاري [٢٣١٠] مختصرة.
(٢) البخاري [٣٩٥٠].

وانقطع يؤمنذ سيف عكاشة بن محصن، فأعطاه النبي صلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جذلا من حطب فقال: «دونك هذا». فلما أخذه عكاشة وهزه في يده عاد سيفًا طويلًا، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في أيام أبي بكر، قتله طليحة الأسدي شهيدًا[(١)].

وفي الصحيح[(٢)]: أن الزبير لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج في السلاح لا يرى منه إلا الحدق، فحمل عليه الزبير بحربته فطعنه في عينيه فمات، فوضع رجله على الحربة تم تمطى وكان الجهد أن نزعها وقد انثنى طرفها. فسأله إياها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاه إياها. فلما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها. ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها. فلما قبض عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل.

قال ابن إسحاق[(٣)]: ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون وسعد بن معاذ واقف على باب الخيمة التي فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي العريش متوشحًا في ناس من الأنصار ورأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: كأنك تكره ما يصنع الناس؟ فقال: أجل والله، كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين وكان الإثخان في الحرب أحب إليَّ من استبقاء الرجال.

قال ابن إسحاق[(٤)]: وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٦).
(٢) البخاري [٣٩٩٨].
(٣) ابن هشام (٢/ ٣٢٣-٣٢٤).
(٤) ابن هشام (٢/ ٣٤٢-٣٤٣)، وانظر البخاري [٤٥٩٦].

فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء:٩٧] الآية، فتية مُسَمَّين من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زمعة بن المطلب، ومن بني مخزوم: أبو قيس الفاكه بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف من بني جمح، ووهب بن حذافة والعاص بن نفيل من بني سهم. وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، فلما هاجر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا جميعًا.

ثم إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين يحرسون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم أحق به منا، لقد رأينا أن نقتل العدو إذا منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكن خفنا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان / [٩٦] بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقسمه على السواء. انتهى[(١)].

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى وقف على القتلى فقال: بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتوني ونصرني

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٣-٣٤٤).

الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر، فطرحوا فيه.

وفي الصحيح[١] عن أبي طلحة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طَوِيٍّ من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بدر في اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفير الركِيِّ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.

قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

قال قتادة: أحياهم الله حتى سمعوا قوله توبيخًا ونقمة وحسرة وندامة.

وفيه عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم:٢٨] قال: هم والله كفار قريش. قال عمر: وهم قريش، ومحمد نعمة الله ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨] قال: النار يوم بدر[٢]. انتهى.

قال ابن إسحاق[٣]: ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله عليه وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد بن حارثة: فأتانا الخبر حين سوينا على رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري [٢٩٧٦]، ومسلم [٢٨٧٤، ٢٨٧٥].
(٢) البخاري [٣٩٧٧].
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٥).

التي كانت عند عثمان بن عفان، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلفني عليها مع عثمان. قال أسامة: فقيل لي: إن زيد بن حارثة قد قدم، قال: فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن علاط. قال: قلت: يا أبت أحقٌ هذا؟ قال: نعم والله يا بني.

ثم قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، واحتمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف من بني النجار، حتى إذا كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة. ثم لما نزل بعرق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال عقبة حين أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله: من للصبية يا محمد. قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري، ويقال: علي بن أبي طالب[(١)].

ثم دخل رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أُبَيّ المنافق وأصحابه الإسلام.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بالأسارى خيرًا».

---

(١) أبو داود [٢٦٨٦].

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٩-٣٥٠).

قال: فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يدك به فإن أُمه ذات متاع لعلها تفديك منه. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، قال: فأستحيي فأردها عليهم فيردها علي ما يمسها.

فلما قال أخوه مصعب لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فُدِيَ به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت أربعة آلاف درهم ففدته بها.

قال بعض العلماء: ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شَدَّ وثاق العباس، فسمعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يئن، فلم يأخذه النوم فبلغ الأنصار فأطلقوا العباس، فكأن الأنصار فهموا أن رضاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفك وثاقه، وسألوه أن يتركوا له الفداء فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، فقال: لا تدعون منه درهمًا[(١)].

وفي حديث ابن عباس عند ابن إسحاق أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا عباس افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو. قال: إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهوني. قال: الله أعلم / [٩٧] بما تقول، إن يكن ما تقول حقًّا فالله يجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا. قال: ما ذاك عندي

(١) البخاري [٤٠١٨].

يا رسول الله. قال: فأين المال الذي دفنته أم الفضل؟ فقلت: إن أصبت فالمال الذي دفنته للفضل وعبد الله وقثم؟ قال: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل[(١)]، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية كانت معي من مال كان معي.

فقال رسول الله: ذاك شيء أعطانا الله منك. ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال:٧٠] الآية.

فصل

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ثم ألقهم فيه.

قال: فسكت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يقل شيئًا ولم يرد عليهم، ثم قام فدخل فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة.

ثم خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، فقال: إن الله لَيُلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإنَّ الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة،

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٥٣).

وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨]، وإن مثلك يا عمر مثل موسى قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس:٨٨]، وإن مثلك يا ابن رواحة كمثل نوح قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:٢٦]، أنتم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق.

قال ابن مسعود: قلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام، فسكت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إلا سهيل بن بيضاء». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيات.

رواه أحمد والترمذي وابن أبي حاتم، وفيه: «فنزل القرآن بقول عمر». وصححه الحاكم[(١)].

قال ابن عباس: قال عمر: فهوي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٨]. رواه ابن أبي حاتم[(٢)].

---

(١) انظر المسند (١/ ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٠-١٧٣١)، وهو عند مسلم [١٧٦٣].

قال ابن إسحاق: لم يكن أحد ممن حضر من المؤمنين إلا أحب الغنائم، إلا عمر بن الخطاب، فإنه أشار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ».

وقال سفيان الثوري عن هشام - هو ابن حسان - عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: خَيِّرْ أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عاما قابلا مثلهم. قالوا: الفداء ويقتل منا. رواه الترمذي والنسائي وابن حبان[(١)] في صحيحه.

وفي رواية عن عبيدة مرسلا، وفيه: فنادى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه، فجاؤوا من جاء منهم فقال: «هذا جبريل يخيركم بين أمرين أن تقدموهم فتقتلوهم ويستشهد في عام قابل منكم بعدتهم». فقالوا: بل نفاديهم ونتقوى به عليهم ويدخل عام قابل منا الجنة سبعون. انتهى.

وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم.

وعن عامر الشعبي قال: أسر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يفاديهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دُفِعَ إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا حذقوا فهم فداؤه[(٢)].

وممن منَّ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحي، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا، وكان محتاجا ذا بنات

(١) انظر: سنن الترمذي [١٥٦٧]، وسنن النسائي [٨٦٠٨].
(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٢).

فقال: يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليَّ. فمنَّ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدًا، ثم أسره مرة ثانية فقال: يا رسول الله، أقلني. فقال: والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدًا مرتين، يا زبير اضرب عنقه، فضرب عنقه.

وممَّن منَّ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ /[٩٨] أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنته بعد أن بعثت زينب ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفدائه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذ عليه العهد أو وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخلِّي سبيل زينب، فلما خرج أبو العاص إلى مكة بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج[(١)] حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها، فخرجا. فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها[(٢)].

وقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم وكان سهيل أَعْلَم[(٣)] من شفته السفلى. وذكر ابن إسحاق[(٤)] أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبيًّا».

وبلغني أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر في هذا: إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه.

---

(١) واد من أودية مكة، شمال عمرة التنعيم، ووادي التنعيم يصب في يأجج، يقطعه الطريق إلى المدينة على عشرة أكيال من المسجد الحرام.

(٢) أبو داود [٢٦٩٢].

(٣) أي مشقوق الشفة.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٥).

وكان عمرو بن أبي سفيان أسيرا في يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقيل لأبي سفيان: افد عمرًا ابنك، فقال: يجمع عليَّ دمي ومالي؟! قتلوا حنظلة وأفدي عمرا؟! دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم. فبينا هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان أخو بني عمرو بن عوف معتمرًا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد [جاء][(١)] حاجًّا أو معتمرًا إلا بخير، ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلَّى سبيل سعد[(٢)].

فصل

قال ابن إسحاق[(٣)]: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وفي حديث أبي رافع[(٤)]: لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبت الله أبا لهب وأخزاه، فقام يجُرُّ رجليه بشر حتى جلس. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو

(١) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٧).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٧-٣٥٨).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٥٠).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٥١-٣٥٢).

سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قدم، قال: فقال أبو لهب: هلمَّ إلي فعندك لعمري الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لَقِيَنَا قومٌ فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسِروننا كيف شاءوا. وايم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس، لَقِيْنا رجالا بيضًا على خيل بُلق بين السماء والأرض لا يثبت لها شيء.

قال أبو رافع -وكان غلامًا للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا وسرَّنا ذلك-: تلك والله الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة شديدة، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب، وقالت: أستضعفته أن غاب عنه سيده؟ قال: فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة - وهي قرحة تتشاءم بها العرب - فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله، وبقي ثلاثة أيام لا تقرب جنازته، ولا يحاول دفنه. فلما خافوا المسبةَّ في تركه حفروا له ثم دفعوه في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى وارَوْهُ.

وذكر قاسم بن ثابت في دلائله أن قريشًا لما توجهت إلى بدر مرَّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي وقع به المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه:

أراد الحنيفيون بدرًا وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالًا من قريش وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حُسَّرا

فيا ويح من أمسى عدو محمدٍ ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم: من الحنيفيون؟ قالوا: محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف. ثم لم يلبث أن جاءهم الخبر[(١)].

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٠٨-٣٠٩).

قال ابن إسحاق[١]: فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيها سورة الأنفال بأسرها، وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس واحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون.

قالوا: وإنما قل عدد الأوس عن الخرزج - وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء - أن منازلهم كانت في عوالي المدينة وجاء النفير بغتة، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضرا، فاستأذنه رجال ظهورهم في عوالي المدينة أن يستأني لهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم[٢].

وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه من الغنيمة وأجره فهو بدري.

وطلحة بن عبيد الله وكان بالشام في تجارة فضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه من الغنيمة وأجره.

وكان / [٩٩] سعيد بن زيد أيضًا غائبا بالشام فضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه وأجره.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٨٨).

فصل

في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبًا على حروف المعجم

محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبو عبيدة، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف.

أُبَيُّ بن كعب النجاري، أُبَيّ بن ثابت، أوس بن ثابت النجاري أخو حسان، أوس بن خولي الخزرجي، أوس بن الصامت، أسعد بن يزيد بن الفاكه الزرقي، أنس بن معاذ النجاري، [أنيسة مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ][(١)]، أنس بن قتادة بن ربيعة الأوسي، الأرقم بن أبي الأرقم، أربد [بن جبير][(٢)]، أُسَيْرة وهو أبو سليط بن عمرو النجاري، إياس بن البكير الليثي حليف بني عدي، إياس بن أوس بن عتيك الأوسي.

(ب) بشير بن البراء بن معرور السلمي، بشير بن سعد بن ثعلبة وهو أبو النعمان، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة اشتهر بكنيته، بلال بن رباح المؤذن، بجير بن أبي بجير العبسي حليف لبني عوف بن النجار، بحاث بن ثعلبة بن خزمة البلوي حليف لبني الخزرج ويقال: نجاب بالنون، بسبس بن عمرو الذبياني حليف الخزرج.

(ت) تميم بن يعار الخزرجي، تميم مولى بني غنم، تميم مولى خراش بن الصمة.

(ث) ثابت بن الجذع واسم الجذع ثعلبة الأنصاري، ثابت بن عمرو بن زيد النجاري، ثابت بن خالد بن عمرو النجاري، ثابت بن هرم البلوي حليف الأنصار، ثابت بن خنساء النجاري، ذكر الواقدي أنه شهدها، ثابت بن عبيد الأنصاري،

---

(١) ما بين المعقوفين اختل ترتيبه في المخطوط.

(٢) مكان ما بين المعقوفين بياض في المخطوط، انظر: الإصابة (١/ ٤٢).

ثابت بن هزال الأنصاري، ثعلبة بن عَنَمة الأنصاري، ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك النجاري، ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصاري قال ابن عبد البر: وهو مانع الصدقة[١] فيما قال قتادة وسعيد بن جبير انتهى. قلت: ذكره أبو محمد بن حزم فيمن شهد بدرا وقال: قد قال قوم: إنه منع الزكاة فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة:٧٥] الآيات قال: وهذا باطل لأن شهوده بدرا يبطل ذلك بلا شك[٢]. انتهى.

(ج) جابر بن عبد الله بن رئاب، جابر بن خالد بن مسعود النجاري، جابر بن عتيك ويقال: جبر الأوسي، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ذكر البخاري[٣] أنه شهدها وكان ينقل الماء لأصحابه، قال ابن عبد البر[٤]: ذكره بعضهم في البدريين ولا يصح لأنه قد روي عنه أنه قال: لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي، جبار بن صخر بن أمية السلمي، جبير بن إياس بن خالد بن مخلد الزرقي، جبر بن صيتان[٥] كلهم من الأنصار.

(ح) حمزة بن عبد المطلب، الحارث بن أنس بن رافع، الحارث بن أوس بن معاذ ابن أخي سعد، الحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأوسي، الحارث بن خزمة أبو خزيمة وقيل: ابن خزيمة بن عدي الخزرجي، الحارث بن عتيك بن النعمان النجاري، الحارث بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي، الحارث بن ظالم[٦]، الحارث بن حاطب بن [عمرو][٧] الأنصاري ردَّهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص١٢٢) بلفظ: «وقيل».
(٢) نص في جوامع السيرة على شهوده بدرًا (ص١٣٦)، وأما قوله: «قد قال قوم ...الخ». فلم نقف عليه.
(٣) التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٧).
(٤) الاستيعاب (١/ ٢٩٣).
(٥) كذا في المخطوط، ولم نعثر عليه في الإصابة ولا غيرها من كتب تراجم الصحابة.
(٦) علق في الحاشية: «هو أبو الأعور»، وهو كذلك، انظر: الإصابة (٧/ ١٨).
(٧) في المخطوط غير واضح، كأنه «ابن زيد»، والمثبت من الإصابة (١/ ٥٦٨).

من الروحاء في شيء أَمَرَهُ به وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن الصمة رده أيضًا من الروحاء حين كسر وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الأوسي ذكره فيهم موسى بن عقبة والواقدي وابن عمارة، الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد الزُّرَقي، حارثة بن النعمان بن [نَقْع][1] بن زيد النجاري، حارثة بن سراقة بن الحارث النجاري واستشهد، حارثة بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الزرقي ذكره الواقدي فيهم، حريث بن زيد بن ثعلبة الخزرجي، حبيب بن سعد بن أسود وقيل: ابن أسلم مولى للأنصار، الحصين بن الحارث بن المطلب أخو عبيدة، حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسي ولم يذكره ابن إسحاق، حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي ذكره ابن عقبة وابن إسحاق والواقدي، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف قريش ويقال: إنه من مذحج، حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام النجاري، الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي.

(خ) خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب النجاري، خالد بن البكير الليثي، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الزرقي، خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقي، خلاد بن سويد بن ثعلبة الخزرجي، خلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي، خليد بن قيس بن النعمان السلمي، خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأوسي، خزيمة بن أوس بن يزيد بن أصرم، ذكره ابن عقبة فيهم، خباب بن الأرت التميمي، خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام الخزرجي السلمي، خباب مولى عتبة بن غزوان، خبيب بن عدي الأوسي،

(١) في المخطوط: «ينقع»، والمثبت من أسد الغابة (١/ ٤٢٩)، والإصابة (١/ ٦١٨).

خارجة بن زيد الخزرجي، خارجة بن حمير الأشجعي حليف الأنصار، خريم بن فاتك الأسدي صحح البخاري[١] وغيره شهوده، خولي بن أبي خولي العجلي - ويقال: الجعفي - حليف بني عدي بن كعب، خنيس بن حذافة السهمي، خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأوسي وقيل: إنه أصاب ساقه حجر في الطريق فرجع فضرب له / [١٠٠] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه وأجره، خليفة بن عدي الزرقي الأنصاري ذكره ابن عقبة وابن إسحاق فيهم.

(د) دقة بن إياس بن عمرو الأنصاري.

(ذ) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقي، ذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن غبشان الخزاعي حليف بني زهرة واستشهد.

(ر) رافع بن مالك بن العجلان الزرقي ذكره ابن عقبة فيهم، رافع[٢] بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجي واستشهد، رافع بن عنجرة وهي أمه وأبوه عبد الحارث الأوسي، رافع بن سهل بن رافع الأنصاري ذكره بعضهم فيهم، رافع بن زيد ويقال: ابن يزيد الأوسي، رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي، رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقي، رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة، رفاعة بن الحارث بن رفاعة بن سواد هو أحد بني عفراء ذكره ابن إسحاق فيهم وأنكر الواقدي وغيره شهوده، ربيعة بن بن سخبرة الأسدي، الربيع بن إياس بن غنم الخزرجي، ربعي بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان البلوي، رخيلة بن ثعلبة بن خالد الزرقي بالجيم والخاء والحاء ثلاثة أقوال.

---

(١) التاريخ الكبير (٣/ ٢٢٤).

(٢) في المخطوط: (رافع وقيل ابن المعلى)، ورافع بن مالك ورافع بن المعلى رجلان مختلفان. انظر: الإصابة (٢/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(ز) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام أبو طلحة النجاري، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف بني عمرو، زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب، زيد بن المزين بن قيس الخزرجي، زيد بن عاصم بن كعب بن منذر النجاري، زيد بن وديعة بن عمر الخزرجي، الزبير بن العوام، زياد بن لبيد بن ثعلبة الزرقي، زياد بن عمرو ويقال: ابن بشر أخو ضمرة خليف الأنصار مولى لبني ساعدة، زياد بن كعب بن عمرو بن عدي الجهني، زاهر بن حرام الأشجعي.

(س) سعيد بن زيد بن عمرو ضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه وأجره على قول من قال: إنه لم يشهدها، سعد بن أبي وقاص الزهري، سعد بن معاذ سيد الأوس، سعد بن خيثمة الأنصاري واستشهد، سعد بن الربيع الخزرجي، سعد بن مالك بن خالد الخزرجي والد سهل بن سعد الساعدي ذكره الواقدي وذكر أنه خرج فمات فضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأجره وسهمه، وسعد بن عبادة ذكره بعضهم ولم يذكره ابن عقبة وابن إسحاق، سعد بن عبيد بن النعمان [الأوسي][1]، سعد بن يزيد [بن الفاكه][2]، سعد بن خولي حليف لبني عامر بن لؤي، سعد بن خولي مولى حاطب بن أبي بلتعة من مذحج وقيل: من الفرس، سعد بن خولة العامري القرشي عند بعضهم وعند بعضهم حليف لهم، سعد بن عثمان بن خلدة الزرقي يكنى أبا عبادة، سعد بن زيد الأوسي ذكره ابن إسحاق فيهم، سهل بن قيس بن أبي كعب السلمي، سهل بن عتيك بن النعمان النجاري، سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم

(١) مكان المعقوفين بياض في المخطوط، والمثبت من الإصابة (٣/ ٦٨).
(٢) بياض في المخطوط، وأثبته من الإصابة (٣/ ٨٨).

الأوسي، سهل بن عدي، سليم بن عامر بن حديدة ويقال: ابن عمرو السلمي، سليم بن الحارث بن ثعلبة النجاري، سليم بن ملحان النجاري، سليم بن قيس بن فهد النجاري، سليم أبو كبشة مولى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي، سلمة بن حاطب بن عمرو بن عتيك، سلمة بن سلامة بن وقش الأوسي، سلمة بن ثابت بن وقش الأوسي، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، سماك بن خرشة أبو دجانة الأنصاري الخزرجي، سماك بن سعد أخو بشير بن سعد الخزرجي، سنان بن أبي سنان الأسدي، سنان بن صيفي بن ضخر السلمي، سهيل بن رافع النجاري وهو الذي كان له ولأخيه مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مربدًا قاله ابن عقبة، سهيل بن عمرو بن أبي عمرو، سهل بن بيضاء القرشي الفهري، سليط بن عمرو العامري ذكره ابن عقبة فيهم[(١)]، سليط بن قيس بن عمرو النجاري، سراقة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى النجاري، سراقة بن عمرو بن عطية النجاري، سبيع بن قيس الخزرجي، سواد بن يزيد ويقال: ابن زريق السلمي، سواد بن غزية النجاري، سويبط بن سعد بن حرملة العبدري القرشي، السائب بن مظعون أخو عثمان، السائب بن عثمان بن مظعون، سفيان بن بشر بن زيد.

(ش) شريك بن عبد عمرو بن قيضي الأوسي، شماس بن عثمان المخزومي، شجاع بن أبي وهب الأسدي.

(ص) صهيب بن سنان الرومي، صفوان بن بيضاء المخزومي واستشهد، [صالح بن عدي][(٢)] مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال له: شقران ذكره بعضهم.

---

(١) قوله: «ذكره ابن عقبة فهيم» لعله سبق قلم، فقد نفى ابن حجر أن يكون موسى بن عقبة ذكره في البدريين، وإنما ذكره فيهم الواقدي وأبو معشر. انظر: الإصابة (٣/ ١٤٢).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، فأثبته من الإصابة (٣/ ٣٥٣، ٤٠٢).

(ض) الضحاك بن الحارث السلمي، الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود النجاري، ضمرة بن عمرو أخو بسبس.

(ط) طلحة بن عبيد الله ضرب له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهمه وأجره، الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب أخو عبيدة، الطفيل بن مالك بن خنساء السلمي، الطفيل بن النعمان بن مالك بن خنساء[(١)].

وليس في حرف الظاء أحد.

(ع) عبد الله أبو بكر الصديق، عبد الله بن مسعود، عبد الله أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، / [١٠١] عبد الله بن جحش الأسدي، عبد الله بن ثعلبة بن حزمة البلوي الخزرجي، [عبد الله بن الجد بن قيس السلمي، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي، عبد الله بن ربيع بن قيس الخزرجي، عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي][(٢)]، عبد الله بن طارق البلوي، عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري، عبد الله بن مظعون الجمحي، عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ الخزرجي، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي، عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر السلمي، عبد الله بن عنبس ويقال: عبيس الخزرجي، عبد الله بن عبس ولم ينسبوه وقالوا: هو من حلفاء الخزرج، عبد الله بن قيس بن خلدة النجاري، عبد الله بن قيس بن صخر السلمي، عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية، عبد الله بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي ذكره ابن إسحاق فيهم، عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري، عبد الله بن سلمة البلوي، عبد الله بن سهل الأشهلي، عبد الله بن مخرمة العامري القرشي، عبد الله بن حمير الأشجعي حليف عبد الله بن عرفطة،

(١) وهو ابن عم السابق، انظر: الإصابة (٣/ ٥٢٤).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من طبعة دار العربية ببيروت (ص١٩٨)، ومن طبعة دار طويق (ص٢٦٨).

عبد الله بن عبيد، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي، عبد الله بن عمير الخزرجي، عبدالله بن عامر البلوي، عبدالرحمن بن عوف، عبدالرحمن بن كعب أبو ليلى، عبدالرحمن ابن جبير بن عمرو الأوسي، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة البلوي، عبد الرحمن بن سهل [الأنصاري][(١)] قال ابن عبد البر[(٢)]: يقال إنه شهدها، عبيد بن أوس بن مالك الأوسي يقال له: مقرن، عبيد بن عبيد الأوسي، عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان، عبيد بن قيس بن عامر الزرقي، عبيدة بن الحارث بن المطلب واستشهد، عبد ياليل بن ثابت الليثي حليف بني عدي بن كعب، عبد ربه بن حق بن أوس الخزرجي الساعدي، عبادة بن الصامت، عبادة بن قيس بن زيد الخزرجي، عبَّاد بن بشر الأوسي، عبَّاد بن عبيد بن التَيهان الأوسي، عباد بن قيس الزرقي، عباد بن قيس بن عبسة بن أمية الخزرجي، عباد بن عبادة بن الخشخاش البلوي، عمر بن الخطاب، عمار بن ياسر، عمير بن الحمام بن الجموح السلمي واستشهد، عمير بن أبي وقاص أخو سعد واستشهد، عمير - والأكثرون يقولون: عمرو بن عوف مولى سهيل بن عمرو، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء النجاري كنيته أبو داود، عمير بن معبد بن الأزهر الأنصاري ذكره بعضهم، عمير بن حرام بن عمرو بن الجموح السلمي، عمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث السلمي، عمرو بن معاذ أخو سعد، [عمرو][(٣)] بن أبي سرح القرشي الفهري، عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة النجاري، عمرو بن طلق بن زيد السلمي، عمرو بن قيس بن زيد النجاري ذكره بعضهم، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي النجاري، عمرو بن الحارث

---

(١) ما بين المعقوفين في المخطوط بياض.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٣٧٩).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من ابن هشام (٢/ ٤٠١)، والإصابة (٤/ ٦٣٤).

الفهري ذكره ابن عقبة، عمرو بن إياس بن زيد بن جشم حليف الأنصار، عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ذكره ابن عقبة فيهم، عمرو بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي، عمرو بن الحارث بن نصير بن أبي شداد الفهري ذكره بعضهم، عامر بن عبد الله بن الجراح أبو عبيدة، عامر بن أبي وقاص أخو سعد، عامر ابن البكير الليثي، عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي، عامر بن عبد عمرو أبو أحينة الأوسي، عامر بن سلمة البلوي، عامر بن الحارث الفهري ويقال: عمرو، عامر بن ثابت بن أبي الأقلح أخو عاصم، عامر بن أمية بن زيد بن الخشخاش النجاري، عامر بن مخلد بن الحارث النجاري، عويمر بن أشقر بن عوف، عمارة بن حزم أخو عمرو بن حزم النجاري، عمارة بن أبي حسن النجاري، عثمان بن عفان ضرب له بسهمه وأجره، عثمان بن مظعون، علي بن أبي طالب، عقبة بن وهب ويقال: أبي وهب الأسدي، عقبة بن وهب بن كلدة الغطفاني حليف الخزرج، عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام السلمي، عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد الزرقي، عتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل، عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء السلمي، عتبة بن ربيعة البهراني حليف للأنصار ذكره بعضهم فيمن شهدها، عياض بن زهير الفهري، عوف بن أثاثة المعروف بمسطح المطلبي، عوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء واستشهد، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي، عاصم - ويقال: عامر - بن العكر حليف للأنصار ذكره ابن عقبة فيهم، عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان الأوسي، عاصم بن عدي البلوي وقيل: بل رده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضرب له بسهمه وأجره، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي، عصمة الأشجعي حليف لهم ذكره ابن عقبة فيمن شهدها، عصيمة الأسدي حليف لبني

النجار، عصيمة الأشجعي حليف لهم، عدي بن [أبي][(١)] الزغباء الجهني، عطية بن نويرة بن عامر الزرقي، عائذ بن ماعص بن قيس الزرقي، عبس بن عامر بن عدي السلمي، عكاشة بن محصن الأسدي، عوف [بن الحارث][(٢)] وهو ابن عفراء، عتبان بن مالك الخزرجي ذكره أكثرهم، عتيك - ويقال: عبيد - بن التيهان الأوسي، عنترة مولى سليم بن عمرو وقيل: هو من بني سليم بن منصور، عاقل بن البكير الليثي واستشهد، عليقة بن عدي بن عمرو الزرقي كذا قال ابن هشام بالعين وقال ابن إسحاق: خليفة بالخاء، عويم بن ساعدة الأوسي.

(غ) غنام بن أوس.

(ف) فروة بن عمرو بن ودقة الزرقي، الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة الزرقي.

(ق) قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري، قيس بن محصن بن خالد بن مخلد الزرقي، قيس بن أبي صعصعة / [١٠٢] النجاري، قيس بن سكن بن قيس النجاري، قيس بن عمرو بن قيس[(٣)] ذكره بعضهم، قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي، قدامة بن مظعون الجمحي.

(ك) كعب بن عمرو بن عباد أبو اليسر السلمي، كعب بن زيد النجاري، كعب بن حمار - وقيل: جماز - وهو أخو سعد الجهني، كثير بن عمرو من بني سلمة حليف بني أسد ذكره ابن إسحاق في رواية زياد ممن شهدها، كناز بن الحصين أبو مرثد الغنوي.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٠)، والإصابة (٤/ ٤٧٤).
(٢) في المخطوط بياض قدر كلمة، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٠)، والإصابة (٤/ ٧٣٩).
(٣) بعده بياض قدر كلمة.

(ل) لقيط بن عصر البلوي.

(م) محمد بن عبد الله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محمد بن مسلمة الأوسي، معاذ بن جبل الخزرجي، معاذ بن الحارث هو ابن عفراء، معاذ بن عمرو بن الجموح السلمي، مالك بن التيهان أبو الهيثم البلوي حليف لبني عبد الأشهل وقيل: إنه من أنفسهم، مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي، مالك بن قدامة بن عرفجة الأوسي، مالك بن رافع بن مالك بن العجلان، مالك بن عمرو من بني سليم حليف لبني عبد شمس، مالك بن أبي خولي حليف للأنصار، مالك بن ربيعة بن [البَدَن][(١)] أبو أسيد الساعدي، مالك بن أمية بن عمرو من بني سليم حليف بني أسد، مالك بن الدخشم الأوسي، مالك بن نميلة وهي أمه، وأبو ثابت المزني حليف الأوس، مالك بن مسعود بن [البدن][(٢)] الساعدي، معقل بن المنذر[(٣)]، مرثد بن أبي مرثد الغنوي، معمر بن الحارث بن معمر الجمحي، محرز بن نضلة الأسدي، محرز بن عامر النجاري، معوذ بن الحارث ابن عفراء [ومعوذ][(٤)] بن عمرو بن الجموح السُّلَمي، معن بن عدي أخو عاصم البلوي، مسعود بن عبد سعد الأوسي، مسعود بن الربيع ويقال: ابن ربيعة من بني الهون بن خزيمة، مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة الزرقي، مسعود بن خلدة الزرقي، مسعود بن أوس بن زيد النجاري، مسعود أبو محمد، معبد بن قيس بن صخر بن حرام السلمي، معبد بن عباد بن قشير أبو خميصة الخزرجي، معبد بن وهب العبدي، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي،

(١) في المخطوط: «اليدسي»، والمثبت من الإصابة (٥/ ٧٢٣)، وعند ابن هشام (٢/ ٤١٣): «ابن البدي».
(٢) في المخطوط: «اليدسي»، وانظر التعليق السابق.
(٣) بعده بياض قدر كلمة.
(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٤)، والإصابة (٦/ ١٩٣).

المنذر بن محمد بن عقبة الأوسي، المنذر بن قدامة الأوسي، المنذر بن عرفجة الأوسي، معتب بن [حمراء][(١)] الخزاعي ويقال: السلولي، معتب بن بشير ويقال: ابن قشير بن مُليل الأوسي، مغيث بن عبيد البلوي، مرارة بن ربيع ويقال: ابن الربيع، مصعب بن عمير، المقداد بن عمرو الكندي، مبشر بن عبد المنذر الأوسي واستشهد، المجذر بن زياد البلوي، مليل بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي، مهجع بن صالح العكي مولى عمر واستشهد، مدلاج بن عمرو.

(ن) نوفل بن ثعلبة بن عبد الخزرجي، النعمان بن عبد بن عمرو بن مسعود النجاري، النعمان بن عصر بن الربيع البلوي، نعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري، النعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي، النعمان بن يسار مولى لبني سلمة، النعمان بن ثابت، النعمان بن أبي جذمة، نصر بن الحارث بن عبد الأوسي.

(و) وهب بن [سعد بن أبي سرح][(٢)] بن ربيعة بن هلال الفهري، وهب بن محصن، واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي، ورقة بن إياس بن عمرو بن غنم الخزرجي، وديعة بن عمرو الجهني حليف بني النجار.

(هـ) هاني بن نيار أبو بردة البلوي، هلال بن المعلى بن لوذان الخزرجي، هلال بن أبي خولي [بن][(٣)] عمرو بن زهير الجعفي حليف الخطاب بن نفيل ذكره ابن عقبة وابن الكلبي، هبيل بن وبرة ذكره ابن المنذر عن عروة أنه شهدها.

(ي) يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الخزرجي واستشهد، يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس السلمي، يزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر الأسدي، يزيد بن

(١) في المخطوط: «حمر»، والمثبت من الإصابة (٦/ ١٧٤، ١٧٥)، وهو معتب بن عوف.
(٢) في المخطوط: «أبي سرح سعد»، والتصويب من الإصابة (٦/ ٦٢٤).
(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من الإصابة (٦/ ٥٤٧).

عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي[١] ذكره موسى وغيره، يزيد بن ثابت بن الضحاك أخو زيد ذكره بعضهم.

وممن يعرف بكنيته ولا يعرف باسمه: أبو كبشة مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبو حذيفة بن عتبة، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة، أبو خزيمة بن أوس[٢]، أبو سبرة، أبو مليل بن الأزعر.

وقال حمزة بن عبد المطلب في يوم بدر وبعضهم ينكرها لحمزة[٣]:

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مُبَيّنة الأمر

وما ذاك إلا أن قوما أفادهم ... فحانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر

عشية راحوا نحو بدر بِجَمْعهم ... فكانوا رهونا للَّركِيّة من بدر

وكنّا طلَبْنا العِير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مَثْنَويّةٌ[٤] ... لنا غير طعن بالمثقّفة السُّمر[٥]

وضربٍ ببيضٍ يَخْتلي الرأس حَدُّها ... مُشَهَّرة الألوان بينة الأُثر

ونحن تَركنا عُتْبة الغَيّ ثاوِيا ... وشيبة في قتلى تَجَرجَم في الجَفْر[٦]

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حُمَاتهم ... فشُقّتْ جيوب النائحات على عمرو

جُيوبُ نساءٍ من لؤي بن غالب ... كرام تفرّعْنَ الذوائب من فهر

---

(١) جاء في المخطوط بعده: «يزيد بن رقيش»، وهو مقحم مكرر.

(٢) أثبته ابن حجر (الإصابة: ٧/ ١٠٦) بالألف: «أبو خزامة»، ونفى أن يكون بالياء، وفي سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٠) بالياء.

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢-١٥).

(٤) أي: استثناء. لسان العرب (١٤/ ١٢٥).

(٥) أي الرماح السمراء.

(٦) **تجرجم**: سقط، والجفر البئر الواسعة التي لم تُطو. لسان العرب (١٢/ ٩٦، ٤/ ١٤٣).

أولـئـك قـوم قُـتِّـلـوا في ضلالهم ... وخلَّوا لـواء غير محتضر النَّصْر
لـواء ضـلال قـاد إبـلـيـس أهـلَـه ... فـخـاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقـال لهم إذ عـايـن الأمـر واضحا ... برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فـإنـي أرى مـا لا تـرون وإنـني ... أخـاف عـقـاب الله والله ذو قسر
فـقـدَّمـهـم لـلـحـين حـتـى تـورطـوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غـداةَ البئر ألـفًـا وجَمْعُـنَـا ... /[١٠٣] ثلاث مئين كالمسدَّمَة الزُّهْر[(١)]
وفـيـنـا جـنـود الله حـين يُمـدنـا ... بهم في مقام ثَمَّ مستوضح الذِّكر
فـشـدّ بـهـم جـبـريـلُ تحـت لـوائـنـا ... لـدى مَـأزِق فيه مـنـايـاهُـمُ تَجْـري

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة فقال:

ألا يـا لـقـومـي لـلـصَّـبـابـة والهـجـر ... وللحزن مني والحـرارة في الصدر
ولـلـدمـع مـن عـيـنـيَّ جـودا كأنه ... فريد هوى من سلك ناظمه يجري
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى ... رهـين مـقـام لـلـركـيـة مـن بـدر
فلا تبعدَنْ ياعمرو من ذي قرابة ... ومـن ذي نـدام كـان ذا خلق غمر
فـإن يـك قـوم صـادفـوا منك دَولـة ... فـلا بـد لـلأيـام مـن دول الـدهـر
فقد كنت في صرف الزمان الذي مضى ... تـريـهـم هـوانـا مـنـك ذا سـبـل وعـر
فـإلا أمـت يا عمرو أتـركْـكَ ثائرًا ... ولا أبـق بـقـيـا في إخـاء ولا صهر
وأقـطـع ظـهـرًا مـن رجـال بمعشر ... كـرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري
أغـرَّهـمُ ما جَمَّعوا من وشيظة[(٢)] ... ونحـن الصميم في الـقـبـائـل مـن فهر

(١) أي كالإبل المضيئة المتفاجة. ويقال للبعير إذا دبر ظهر فأعفي من القتب حتى صلح دبره: مسدم. لسان العرب (١٢/ ٢٨٤).

(٢) قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم، وقطعة خشب يشعب بها القدح. «وهم وشيظة في قومهم: حشو فيهم». القاموس المحيط (ص ٩٠٣).

فيا للؤي ذبِّبُوا عن حريمكم ... وآلهة لا تتركوها لدى الفخر
توارثها آباؤكم وورثتمُ ... أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم ... فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدُّوا لمن عاديتمُ وتوازروا ... وكونوا جميعا في التأسي وفي الصبر
لعلكمُ أن تثأروا بأخيكمُ ... ولا شيء إن لم تثأروا بذوي عمرو
بمطَّردات في الأكف كأنها ... وميض تُطير الهام بينة الأُثر
كأن مَدبَّ الذر فوق متونها ... إذا جُرِّدَت يوما لأعدائها الخُزْر

قال ابن هشام[(١)]: أبدلنا فيها كلمتين مما روى ابن إسحاق وهما «الفخر» و«الحلم» لأنه نال فيها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال ضرار بن الخطاب الفهري:

عجبت لفخر الأوس والحَيْن دائرٌ ... عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشر ... أُصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجالٌ بعدهم سنُغادر
وتردي بنا الجُرْد العناجيج[(٢)] وسطكم ... بني الأوس حتى يشفي النفسَ ثائر
ووَسْطَ بني النجار سوف نكرها ... لها بالقنا والدّارعين زوافر[(٣)]
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأمانيَّ ناصر
وتبكيهمُ من أهل يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا ... بهن دم ممن يحاربن مائر[(٤)]

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٦).
(٢) **العنجوج**: الرائع من الخيل. لسان العرب (٢/ ٣٣٠).
(٣) **زافرة الرجل**: أنصاره وخاصته. لسان العرب (٤/ ٣٢٦).
(٤) أي سائل جارٍ. لسان العرب (٥/ ١٨٦).

فإن تظفروا في يوم بدر فإنما ... بأحمد أمسى جَدُّكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أوْلياؤه ... يحامون في اللأواء والموت حاضر
يُعدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ... ويدعى علي وسط[1] من أنت ذاكر
[ويدعى أبو حفص وعثمان منهمُ ... وسعدٌ إذا ما كان في الحرب حاضر][2]
أولئك لا من نتجت في ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب ... إذا عدَّت الأنساب كعب وعامر
هم الطّاعِنون الخيل في كل معرك ... غداة الهِياج الأطيبون الأكابر

فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة:

عجبت لأمْر الله والله قادرٌ ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقيَ معشرا ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعب جميعًا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يُمَشون في الماذيِّ[3] والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عُرِّيَت بِيضٌ خِفاف كأنها ... مقابيس يُزْهِيها لعَيْنَيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقي الحَينَ[4] مَنْ هو فاجر

(١) وقع بعد قوله: «علي»: «من وسط» بزيادة «من»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠١).
(٢) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠).
(٣) **الماذي**: السلاح كله، من الحديد. لسان العرب (١٥/ ٢٧٤).
(٤) **الحين**: الهلاك والمحنة. القاموس المحيط (ص ١٥٣٩).

فكُبَّ أبو جهل صريعا لوَجْهه ... وعتبة قد [غادرنه][(١)] وهو عاثر

وشيبة والتيميّ غادرن في الوغى ... وما منهما إلا بذي العرش كافر

/[١٠٤] فأمْسَوا وقود النار في مستقرها ... وكل كفور في جهنم صائر

تلظى عليهم وهي قد شب حَمْيها ... بزُبْر الحديد والحجارة ساجر

وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولَّوْا وقالوا: إنما أنت ساحر

لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حَمَّه الله[(٢)] زاجر

وقال عبد الله بن الزبعرى يبكي قتلى بدر -وتروى للأعشى بن زرارة التميمي-:

ماذا على بدر وماذا حوله ... من فتية بيض الوجوه كرام

تركوا نبَيْهًا خلفهم ومُنَبِّها ... وابني ربيعة خير خصم فئام

والحارث الفياض يبرق وجهه ... كالبدر جلى ليلة الإظلام

[والعاصي][(٣)] بن منبه ذا مرة ... رمحا تميما غير ذي أوصام

تنمى به أعراقه وجدوده ... ومآثر الأخوال والأعمام

وإذا بكى باك فأعْوَل شَجْوه[(٤)] ... فعلى الرئيس الماجد ابن هشام

حيا الإله أبا الوليد ورَهْطَه ... رب الأنام وخصه بسلام

فأجابه حسان بن ثابت:

ابكِ بكت عيناك ثم تبادرت ... بدَم تُعلُّ غروبها بسِجام[(٥)]

(١) في المخطوط: «غادرته»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٢١).

(٢) أي قدره الله وقضاه. انظر: القاموس المحيط (ص ١٤١٧).

(٣) في المخطوط: «العاص»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢)، وهو أولى لوزن الشعر.

(٤) أي: بكى حزنه. **أعول**: رفع صوته بالبكاء، والشجو الحزن. انظر: القاموس المحيط (ص١٣٤٠).

(٥) **السجام**: قطران الدم وسيلانه. لسان العرب (١٢/ ٢٨٠).

ماذا بكيت به الذين تتابعوا ... هلا ذكرت مكارم الأقوام
وذكرت منا ماجدا ذا همة ... سمح الخلائق صادق الإقدام
أعنِي النبي أخا المكارم والنَّدى ... وأبر من يولي على الإقسام
فلمِثله ولمثل ما يدعو له ... كان المُمَدّح ثَمَّ غير كَهام[(١)]

وقال حسان أيضًا:

تَبَلَتْ فؤادَك في المنام خريدةٌ[(٢)] ... تَسْقي الضجيع ببارد[(٣)] بسَّام
كالمسك تخلطه بماء سحابة ... أو عاتق كدم الذبيح مُدام
نُفُجُ الحقيبة بُوصُها متنضِّد[(٤)] ... بَلْهاءُ غير وشيكة الأَقسام
بُنِيَتْ على قَطَن أَجَمَّ[(٥)] كأنه ... فُضُلًا إذا قعدت مَدَاكُ رخَام[(٦)]
وتكاد تكسل أن تجيء فراشها ... في جسم خرعبة[(٧)] وحسن قوام
أما النهار فلا أُفَتِّرُ ذكرها ... والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأترك ذكرها ... حتى تغيب في الضريح عظامي
يا من لعاذلة تلوم سفاهة ... ولقد عصيت على الهوى لوَّامي

(١) كهم الرجل يكهم كهامة فهو كَهام: بَطُؤَ عن النصر والحرب. لسان العرب (١٢/ ٥٢٩).
(٢) تبلت المرأة فؤاد الرجل تبلًا: كأنما أصابته بتبلٍ. والخَريدة والخَريد والخَرود من النساء البكر التي لم تمسس قط. لسان العرب (١١/ ٧٦، ٣/ ١٦٢).
(٣) أراد ببارد الثغر.
(٤) امرأة نُفُج الحقيبة: ضخمة الأرداف والمآكم. وبوصها متنضد: عجيزتها قائمة ليست بمسترخية. القاموس المحيط (ص ٢٦٦، ٧٩١، ٤١٢).
(٥) **القطن**: الموضع العريض بين الثبج والعجز. والأجم: الواسع. لسان العرب (١٣/ ٣٤٣، ١٢/ ١٠٧).
(٦) **المداك**: الصلاية التي يُداكُ عليها الطيب دوكًا، وهي صلاية العطر. ورخام: موضع. لسان العرب (١٠/ ٤٣٠، ١٢/ ٢٣٦).
(٧) الخرعبة الشابة الحسنة الجسيمة في قوام كأنه الخرعوبة، وهي الغصن. لسان العرب (١/ ٣٥٠).

بكرَتْ علي بسُحْرة بعد الكَرَى[(١)] وتقاربٍ من حادث الأيام
زعمت بأن المرء يكرب عمره عدم لمعتكر من الأصرام
إن كنت كاذبةَ الذي حدثتني فنجوتِ مَنْجَى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طِمرَّة ولجام
تذر [العناجيج الجياد][(٢)] بقفرة مرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجام
ملأت به الفرجين فارمدَّت به وثوى أحبته بشر مقام
وبنو أبيه ورهطه في معرك نصر الإله به ذوي الإسلام
طحنتهمُ والله ينفذ أمره حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه جزر السباع ودُسْنَه بحوام
من بين مأسور يشد وثاقه صقر إذا لاقى الأسنة حام
ومجدَّلٍ لا يستجيب لدعوة حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذا رأى بيض السيوف تسوق كل همام
بيدَيْ أغرَّ إذا انتمى لم يخزه نسب القصار سَمَيْدَعٍ مِقْدام
بيضًا إذا لاقت حديدا صممت كالبرق تحت ظلال كل غمام[(٣)]

قال ابن هشام: فأجابه الحارث بن هشام فقال:

الله يعلم ما تركتُ قِتَالهم حتى حَبَوْا مُهْري بأشقر مُزْبِدِ
ووجدت ريح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تتبدد

---

(١) أي غدا إلي سَحَرًا بعد نوم.

(٢) في المخطوط: «الجياد العناجيج»، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤)، وهو أولى لعدم انكسار البيت.

(٣) انظر: ديوان حسان بن ثابت (ص ٢١٤-٢١٦) مع التعليق على الأبيات.

وعرفت أنِّي إنْ أقَاتِل واحدا أُقْتل ولا ينكي عدوي [مشهدي][(١)]

فصددت عنهم والأحبة فيهمُ طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وكان الأصمعي يقول: هذا أحسن ما قيل في الاعتذار.

وقال خلف الأحمر: أحسن ما قيل في ذلك أبيات هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

لعمريَ ما ولَّيت ظهري محمدًا وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل

ولكنني قلَّبتُ أمري فلم أجد لسيفي مساغا إن ضربت ولا نبلي

وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعت بعود كالهزبر إلى الشِّبْل

وغزا الحارث بن هشام أحدًا مع المشركين ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفة قلوبهم.

وكان فراغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بدر عقب رمضان وأوائل شوال. وفي أول شوال صلى صلاة عيد الفطر[(٢)].

غزوة بني سليم

وفي أول شوال، وقيل: بعد بدر بسبعة أيام، وقيل: في نصف المحرم سنة ثلاث، خرج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يريد بني سليم، فبلغ ماء يقال له: قرقرة الكدر[(٣)]، وهي أرض ملساء، والكدر طير في لونها كدرة، فأقام بها [ثلاث ليال][(٤)] وقيل: عشرا، فلم يلق حربًا.

---

(١) في المخطوط: «مشهد» بدون الياء، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٤).

(٣) هذا قاع جنوب خيبر بين الحرة والصهباء المعروفة اليوم باسم «جبل عطوة»، وهو على ٦ أكيال من خيبر، يقسمه الطريق إلى المدينة، ويسمى اليوم قاع قعقران، فيختصرونه إلى (قعقران). معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٥٣).

(٤) ما بين المعقوفين بياض، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٦٤).

وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وقيل: ابن أُم مكتوم. وحمل اللواء علي بن أبي طالب، وقيل: إنه أصاب لهم نعما يزيد على خمسمائة وغلاما يقال له: يسار فأعتقه ورجع ولم يلق كيدا. وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم / [١٠٥] وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في المحال أحدا[١].

غزوة السويق

قال ابن إسحاق[٢]: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة، وكان نذر أن لا يمس رأسه من جنابة حتى يغزو محمدًا، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ بيمنيه حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: تيب من المدينة على بريد أو نحوه[٣].

ثم خرج من الليل حتى أتي بني النضير، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخاف، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس.

ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالًا من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلًا من الأنصار وحليفًا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، وبدر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعًا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وطرحوا كثيرًا من أزوادهم يتخففون بها، فأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق، فقال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم.

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٤)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣١)، ودلائل البيهقي (٣/ ١٦٣).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٥).
(٣) جبل يقع شرق المدينة إلى الشمال، أحمر ينقاد إلى وادي الخَنَق فوق العاقول، يسمى اليوم تِيام. معجم المعالم الجغرافية (ص ٦٦).

وفي ذي الحجة من هذه السنة صلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العيد وأمر بالأضحية[١].

وفيها مات عثمان بن مظعون، وفيها تزوج علي بفاطمة وبنى بها بعد تزوُّجها بسبعة أشهر ونصف، وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وسنه يومئذ نحو إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوج عليها حتى ماتت[٢].

غزوة غطفان

وهي غزوة ذي أمر - بفتح الهمزة والميم -، وسماها الحاكم غزوة أنمار، وهي بناحية نجد[٣]، وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة.

وسببها أن جمعًا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغـارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي، وسماه الخطيب غورث وغيره عورك، وكان شجاعًا فندب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين فارسًا، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

فلما سمعوا بمهبطه هبطوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلا منهم يقال له: جبار بن ثعلبة، فأدخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال، وأصاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطر، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لغورث: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه

(١) إمتاع الأسماع (١/ ١٢٤).

(٢) إمتاع الأسماع (١/ ١٢٤)، ودلائل البيهقي (٣/ ١٦٠).

(٣) حدده الأقدمون قرب النُّخَيل، والنخيل بلدة ووادٍ شمال الحناكية غير بعيد، إذا سرت من المدينة على طريق نجد فقطعت مسافة نحو من تسعين كيلًا فرق درب النخيل يسارك، وهو من هناك على قرابة ١٥ كيلًا. معجم المعالم الجغرافية (ص ٣٣).

سيف حتى قام على رأسه فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله. فدفعه جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وأتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، وأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ ﴾ [المائدة:١١] الآية. ويقال: كان ذلك في ذات الرقاع. ثم رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يلق كيدا. وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة(١).

غزوة بحْران

وتسمى غزوة بني سليم من ناحية الفَرَع - بفتح الفاء والراء -(٢).

وسببها أنه بلغه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن جمعا بها كثيرا من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيدا. وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قال ابن هشام، وكانت غيبته عشرة ليال(٣). وقيل: إنه خرج يريد قريشًا، ذكره ابن إسحاق(٤).

سرية زيد بن حارثة

إلى القردة بالقاف المفتوحة، وقيل: بالفاء وكسر الراء، اسم ماء من مياه نجد.

وسببها كما قال ابن إسحاق أن قريشًا خافوا من طرقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، وكان فيهم أبو

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٨).
(٢) وله ضبط آخر، وهو بضمتين، وقد مر.
(٣) الواقدي (١/ ١٩٧).
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٨).

سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة، فلقيهم زيد ومن معه على ماء يقال له: القردة، فأصاب تلك العير ومن فيها وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان مبعثه على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في مائة راكب يعترض عيرا لقريش، فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة فأصابوها، وقدموا بالعير على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخَمَّسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم[١].

غزوة بني قينقاع

بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر. قال ابن سعد[٢]: وكان يوم السبت يوم النصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة، وكانوا أول من نقض العهد.

قال ابن إسحاق[٣]: وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة / [١٠٦] وأسْلِموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

قال[٤]: فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٧٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٦٩).
(٤) ابن ابن هشام (٣/ ٦٩-٧٠).

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقريش ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ [آل عمران:١٣][(١)] الآية.

وكان من أمر بني قنيقاع أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي، فراودها على كشف وجهها فأبت، فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت، فضحكوا منها. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله. فشدت اليهود على المسلم فقتلوه. ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع.

فسار إليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر، فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض. فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية.

فأمر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المنذر بن قدامة بتكتيفهم، وكلم عبد الله بن أُبَي بن سلول فيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألح عليه من أجلهم فقال: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وأمر أن يجلوا عن المدينة[(٢)] وتركهم من القتل. وتولى ذلك عبادة بن الصامت، فألحقوا بأذرعات[(٣)]، فما كان [أقل][(٤)] من بقائهم، وخمست أموالهم، فأخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفيه الخمس وفض بقية أخماسه على أصحابه، فكان أول ما خمس بعد بدر. ذكر ذلك ابن سعد[(٥)].

---

(١) أبو داود [٣٠٠١].

(٢) خبر إجلائهم في البخاري [٤٠٢٨]، ومسلم [١٧٦٦].

(٣) أذرعات قرية - اليوم - من عمل حوران داخل حدود الجمهورية السورية، قرب مدينة «درعة» شمالًا يدعها الطريق يسارًا وأنت تؤم دمشق. معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٢).

(٤) في المخطوط: «بأقل»، والتصويب من طبقات ابن سعد (٢/ ٢٩).

(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨).

قال في عيون الأثر[١]: كذا وقع في رواية (صفيه الخمس) والمعروف أن الصَّفي غير الخمس. وعن الشعبي قال: كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهم يدعى «الصفي» قبل الخمس[٢]. وعن عائشة: كانت صفية من الصفي[٣]. فلا أدري أسقطت الواو أم كان هذا قبل حكم الصفي. انتهى والله أعلم.

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت، فتبرأ عبادة من حلفهم فقال: يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولَّى الله ورسوله، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم. ففيه وفي عبد الله نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة:٥١] إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦][٤] وكانوا أربع مائة حاسر وثلاثمائة دارع، وكانوا صاغة وتجارًا، ولم يكن لهم أرضون.

سرية كعب بن الأشرف

ذكر ابن سعد[٥] أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمس وعشرين من مهاجره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال ابن إسحاق[٦]: وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب القليب يوم بدر وقدم زيد بن حارثة بشيرًا إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٢٩٦)، وفي طبقات ابن سعد: «صفيه والخمس» بالواو.
(٢) سنن أبي داود (٣/ ١٥٢).
(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ١٥٢).
(٤) ابن هشام (٣/ ٧٢) بنحوه.
(٥) الطبقات الكبرى (٢/ ٣١).
(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٧٤-٧٥).

أهل العالية بشيران بالفتح، قال كعب - وكان رجلا من طيء ثم أحد بني نبهان وكانت أمه من بني النضير: أحق هذا؟ أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يسميهم هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

فلما أيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يحرض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

وذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: ثم انبعث عدو الله يهجو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قريش فاستعداهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له أبو سفيان والمشركون: أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلا وأفضل.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لنا بابن الأشرف، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا، وقد أخبرني الله بذلك، ثم قدم أخبث ما كان ينتظر قريشًا / [١٠٧] تقدم عليه فيقاتلنا. ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله فيه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١] الآية.

وروى البخاري[(١)] في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله، فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئا. قال: قل.

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا. قال: وأيضا والله لتملنه. قال: فإنا قد تبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين. فقال: نعم: ارهنوني. فقالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم. قالوا:كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رُهِنَ بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللامة - قال سفيان: يعني السلاح - فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امراته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال لها: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي ورضيعي أبو نائلة.

وقال غير عمرو: قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم. فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، وأخي ورضيعي أبو نائلة، إنَّ الكريم لو دعي إلى طعنة أجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة برجلين. قيل لسفيان: سمَّاهم عمرو؟ قال: سمَّى بعضهم - قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبير والحارث بن أوس وعباد بن بشر - قال عمرو: [فقال:][(٢)] فإذا جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة: ثم أشمكم.

---

(١) البخاري [٤٠٣٧]، ومسلم [١٨٠١].

(٢) سقط من المخطوط، والمثبت من صحيح البخاري.

فنزل إليهم متوحشا وهو ينفح من ريح الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحا، أي أطيب. وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب، وأكحل نساء العرب. قال عمرو: فقال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. ثم أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه. انتهى.

وفي رواية ابن سعد[١]: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا. وقد قام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه. فلما انتهوا إليه قال: أفلحت الوجوه. قالوا: ووجهك يا رسول الله. ورموا برأسه بين يديه. فحمد الله على قتله، وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم. فتفل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على جرحه فلم يؤذه بعد.

زاد ابن إسحاق في روايته[٢]: فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعد، والله فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه. وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه. فوثب محيصة على ابن سبيتة رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله.

وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يقول: أي عدو الله أَقتَلْتَه؟ أَمَا والله لرب شحم في بطنك من ماله[٣]. قال محيصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك. قال: فوالله إن كان لأول إسلام حويصة. قال: أوالله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم والله. قال: فوالله إن دينا بلغ بك هذا لعجب. فأسلم حويصة.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣١-٣٤).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٨٢)، وخبر محيصة وحويصة في (٣/ ٨٤-٨٥).

(٣) إلى هنا أخرجه أبو داود [٣٠٠٢] بسند ضعيف.

غزوة أُحد

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها، وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، ويقال له: ذو عينين. قال في القاموس: بكسر العين وفتحها مثنى، جبل بأُحد[١].

وهو الذي قال فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أُحُد جبل يحبنا ونحبه**»[٢]، وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال بالاتفاق يوم السبت لأحد عشر ليلة خلت منه، وقيل: لسبع ليال خلون منه[٣]، وقيل: في نصفه، وعن مالك: بعد بدر بسنة، وعنه أيضًا: كانت على واحد وثلاثين شهرا من الهجرة[٤].

وكان سببها كما ذكره ابن إسحاق[٥] عن شيوخه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة وابن سعد قالوا ومن[٦] قال معهم: إن قريشا لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيب أصحاب القليب، ورجع أبو سفيان بعيره قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه - يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة - لعلنا أن ندرك منه ثأرا. فأجابوا لذلك، فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار.

---

(١) القاموس المحيط (ص١٥٧٣)، مادة (ع ي ن).
(٢) البخاري [٤٠٣٨، ٤٠٨٤]، ومسلم [١٣٦٥].
(٣) الواقدي (١/ ١٩٩)، وابن سعد (٢/ ٣٦).
(٤) البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٢).
(٥) سيرة ابن هشام (٣/ ٨٦-٨٧).
(٦) في المخطوط: «أول من قال»، ولا معنى لها.

وفيهم كما قال ابن إسحاق / [١٠٨] وغيره أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

ولما اجتمعت قريش لحرب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان بن حرب حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة، وكانوا قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، وجاؤوا معهم بنسائهم لئلا يفروا، وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة.

فلما سمع بهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين: إني قد رأيت والله خيرًا: رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة. فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا [أقاموا] بشر مقام فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت. ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي.

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر فقالوا: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم. فصلى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالنَّاس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم. ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي.

ثم دخل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيته، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه، وصف الناس ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله على الخروج، فردوا الأمر إليه.

فخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد لبس لأمته - وهي بالهمز وقد يترك تخفيفا: الدرع - وتقلد سيفه، فندموا جميعًا على ما صنعوا فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي وصححه الحاكم[1] نحو حديث ابن إسحاق.

وعقد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة ألوية: لواء بيد أُسيد بن حضير، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل: مصعب بن عمير، ولواء الخزرخ بيد الحباب بن المنذر وقيل: بيد سعد بن عبادة.

وفي المسلمين مائة دارع. وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة.

وأدلج عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم أسامة بن زيد وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وعرابة بن أوس وعمرو بن حزم. انتهى.

---

(١) المسند (١/ ٢٧١).

قلت: هكذا ذكر جماعة من أهل السير منهم ابن إسحاق[١]: أن البراء بن عازب ممن رده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم، وحديثه في البخاري يدل على شهوده القتال ذلك اليوم. انتهى.

وأجاز من رآه مطيقًا، منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج ولهما خمس عشرة سنة، وكان المسلمون ألف رجل ويقال: تسعمئة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، ونزل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر فيمن تبعه من قومه وقال: يخالفني ويسمع من غيري، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر يوبخهم ويحرضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع. فرجع عنهم وسبهم[٢].

وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى، فسلك حرة بني حارثة وقال: من رجل يخرج بنا على القوم من كثب؟ فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين وكان أعمى، فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا يحل لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله. فابتدره القوم ليقتلوه [فقال: لا تقتلوه][٣] فهذا أعمى القلب أعمى البصر.

ونفذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبأ

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٩٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٢-٩٣).

(٣) ما بين المعقوفين غير موجود في المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣/ ٩٤).

للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسًا، وجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرماة وكانوا خمسين رجلًا عبد الله بن جبير وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا / [١٠٩] حتى أرسل إليكم. كذا في البخاري[(١)] من حديث البراء.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم[(٢)]: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرفوا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا.

وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، وظاهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين درعين، وتعبأت قريش فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمه بن أبي جهل.

وقال ابن إسحاق[(٣)]: وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. فأعطاه إياه رسول الله[(٤)]. وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، فلما رآه عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبختر قال: «إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن»[(٥)].

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، فقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وقاتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله قتالًا شديدًا حتى قتل أرطأة بن

(١) البخاري [٣٠٣٩].
(٢) المسند (١/ ٢٨٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٩٧).
(٤) هو عند مسلم [٢٤٧٠].
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٠٤).

شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن حنظلة لتغسله الملائكة. فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي فقالت: خرج وهو جنب، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لذلك غسلته الملائكة[١]. وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنبًا اقتداء بالملائكة.

وكان أول من بدر من المشركين يومئذ أبو عامر الفاسق، وكان رأس الأوس فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به وجاهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعداوة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم، ووعدهم أن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه، وكان أول من لقي المسلمين يومئذ فنادى قومه وتعرف إليهم فقالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر.

ثم قاتل المسلمون قتالًا شديدًا. وكان شعار المسلمين: أمت أمت[٢].

وأبلى أبو دجانة وطلحة بن عبيد الله وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع، وكانت الدُّولة أول النهار للمسلمين فحَسُّوهم بالسيوف، فانهزم عدو الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم.

وفي حديث البراء عند البخارى فى الصحيح[٣]: فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن. قال البراء:

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٨٣).
(٢) أبو داود [٢٥٩٦، ٢٦٣٨].
(٣) البخاري [٣٠٣٩].

فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين.

وفي حديث عائشة عند البخاري[١] أيضًا: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أُخراكم، أي احترزوا من ورائكم، فرجعت أُولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فنظر حذيفة فإذا بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي. فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله.

وذكر غير البخاري أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يديه، فقال حذيفة: تصدقت بديته على المسلمين. فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

وعند أحمد والحاكم[٣] من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا، فوقع القتل بين المسلمين بعضهم من بعض.

وفي رواية غيرهما[٤]: ونظر خالد بن الوليد ومن معه إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير.

وعند ابن إسحاق عن الزبير أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى

---

(١) البخاري [٤٠٦٥].

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٨).

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٨٧).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٤١)، وتاريخ دمشق (٢٤/ ٣٩٣).

العسكر حين كشفنا القوم عنه خلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا، وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم[١].

ولم يزل اللواء صريعا أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه، ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت؟ / [١١٠] يقول: أعذرت[٢].

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدق بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج في وجهه[٣]، وكلمت شفته السفلى، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص[٤]، وسقط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها فأخذ عَلِيٌّ يَدَهُ[٥]، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه عبد الله بن قمئة وهو الذي شجه في وجهه.

وفي الطبراني[٦] أنه هو الذي شج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطَّعه قطعة قطعة.

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١١٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١١٢-١١٧).

(٣) البخاري [٤٠٧٤، ٤٠٧٥، ٤٠٧٦]، ومسلم [١٧٩٣].

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ١١٤).

(٥) عند ابن هشام (٣/ ١١٥): «بيده».

(٦) المعجم الكبير (٨/ ٣٠).

وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعي[١]: بلغنا أنه لما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد أخذ شيئا فجعل ينشف دمه وقال: لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء. ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وقال نافع بن جبير: سمعت رجلا من المهاجرين يقول: شهدت أحدا فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسطها فيصرف كل ذلك عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جنبه، وجاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته، أحلف بالله إنه منا ممنوع فخرجنا أربعة، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك[٢].

وروى ابن إسحاق[٣] عن حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشج في وجهه، وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٢٨] الآية. ورواه مسلم بنحوه[٤]. ورواه أحمد والترمذي والنسائي[٥] من طرق عن حميد به.

وفي الصحيحين[٦] عن سعد قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال، وما رأيتهما قبل ولا بعد. وفي

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٧٢).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٢٣٧-٢٣٨).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١١٥).
(٤) مسلم [١٧٩١].
(٥) المسند (٣/ ١٧٨).
(٦) البخاري [٤٠٥٤]، ومسلم [٢٣٠٦].

رواية لهما: يعني جبريل وميكائيل[١]. وفي رواية لهما: رأيت عن يمين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشماله رجلين.. الحديث[٢].

وفي صحيح البخاري[٣] عن ابن عباس قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب.

وفي البخاري[٤] من حديث البراء: لم يبق معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا اثنا عشر رجلاً، فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم.

وفي صحيح مسلم[٥] أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما أرهقوه قال: من يردهم عني وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة. فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنصفنا أصحابنا - يروى بفتح الفاء وبإسكانه -. انتهى.

ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع وهو لا يتحرك وحينئذ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص: ارم فداك أبي وأمي. أخرجاه في الصحيحين[٦].

وفي رواية عن سعد قال: نثل لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنانته وقال: ارم فداك أبي وأمي[٧].

---

(١) وهو عند مسلم [٢٣٠٦].
(٢) البخاري [٥٨٢٦]، ومسلم [٢٣٠٦].
(٣) البخاري (٤/ ١٤٦٨) [٣٧٧٣].
(٤) البخاري، جزء من حديث [٣٠٣٩].
(٥) مسلم [١٧٨٩].
(٦) البخاري [٤٠٥٦]، ومسلم [٢٤١٢].
(٧) صحيح البخاري (٤/ ١٤٨٩٨) [٤٠٥٦].

وفيهما عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة بن عبيد الله وسعد[١].

وفي البخاري[٢] عن قيس قال: رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد.

وفي صحيح ابن حبان[٣] عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت أول من فاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه، فقلت: كن طلحة فداك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح، وإذا هو يشتد كالطير حتى لحقني، فدفعنا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا طلحة بين يديه صريعا، فقال: دونكم أخاكم فقد أوجب، وقد رمي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجنته ورمي في جبهته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في جبهته، فذهبت لأنزعمها فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني.

قال: فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه، فجعل ينضنضه كراهية أن يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم استل السهم فندرت ثنية أبي عبيدة، ثم ذهبت آخذ الأخرى فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني. قال: فأخذ بفيه فجعل ينضنضه ثم سله فندرت ثنية أبو عبيدة الأخرى، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دونكم أخاكم قد أوجب. قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه، وقد أصابه بضع عشرة ضربة.

---

(١) البخاري [٣٧٢٢، ٣٧٢٣]، ومسلم [٢٤١٤].

(٢) البخاري [٤٠٦٢].

(٣) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٣٧-٤٣٩) [٦٩١٨].

وقيل: نشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه. ورواه أبو داود الطاليسي[(١)] حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة. ثم أنشأ يحدث فذكر نحوه، وفيه أن أبا عبيدة استخرج الحلقتين، وكان أبو عبيدة من أحسن الناس / [١١١] هتما.

وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مجه. فقال: والله لا أمجه أبدا. ثم أدبر يقاتل، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. فقتل شهيدًا[(٢)].

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصاح ابن قمئة إن محمدًا قتل. وأعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللواء بعده علي بن أبي طالب فقاتل قتالًا شديدًا.

وصرخ الشيطان: إن محمدا قد قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين. ومر أنس بن النضر بقوم قد ألقوا بأيديهم فقال: يا قوم ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟! فقوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل الناس، ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد. ثم استقبل المشركين وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني

(١) مسند الطيالسي (ص٣).
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٦١).

المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين. ثم قاتل حتى قتل فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. ووجدوا به سبعين ضربة. أخرجه البخاري من حديث أنس[(١)].

ووجدوا يومئذ بعبد الرحمن بن عوف نحو عشرين جراحة، بعضها في رجله فعرج منها إلى أن مات.

ومرَّ رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل؟ فقال: إن كان قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فنزلت: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٤٤] الآية.

وأقبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو المسلمين، وكان أول من عرفه كعب بن مالك الشاعر، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأشار إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن اصمت. فلما عرفه المسلمون لاذوا به ونهضوا معه إلى الشعب، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم[(٢)].

قال ابن إسحاق[(٣)]: فلما أسند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعب أدركه أبي بن خلف على جواد له زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما اقترب منه تناول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض بها

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٤٨٧) [٣٨٢٢].
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٠-١٢١).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢١).

انتفاضة تطايروا منه تطاير الشعر عن ظهر البعير، ثم استقبله عَلَيْهِ السَّلَامُ فطعنه بها طعنة فوقع بها عن فرسه ولم يخرج لها دم، فكسر بها ضلعًا من أضلاعه.

فلما رجع إلى قريش قال: قتلني والله محمد، أليس قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف. رواه البيهقي وأبو نعيم[(١)]، ولم يذكر: فكسر ضلعًا من أضلاعه.

وفي رواية أبي الأسود عن عروة: فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أنا أقتل أبيا. ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعا. فمات إلى النار.

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن ابن المسيب[(٢)] بنحوه.

قال ابن إسحاق[(٣)]: ولما انتهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس - قيل: هو صخرة منقورة تسع كثيرًا، وقيل: هو اسم ماء بأحد - فجاء به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه، وغسل عن وجهه الدم وصب على وجهه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمَّى وجه نبيه.

وقال عبد الرزاق[(٤)] أخبرنا معمر عن الزهري عن عثمان [الجزري][(٥)] عن مقسم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى

---

(١) دلائل البيهقي (٢/ ٤٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧).

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٣).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٢٩٠) [٩٦٤٨].

(٥) في المخطوط: «الجريري»، والصحيح ما أثبتناه من المصنف.

وجهه وقال: اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا، فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار.

وفي الصحيحين[(١)] عن سهل أنه سئل عن جرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني والله لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن كان يسكب الماء، كانت فاطمة ابنته تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم.

قال ابن إسحاق[(٢)]: فبينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم لا ينبغي لهم أن يعلونا»، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حدثني يحيى بن عبيد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ يقول: أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع.

قال ابن هشام[(٣)]: / [١١٢] وذكر عمر مولى عفرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح، وصلى المسلمون خلفه قعودًا.

---

(١) البخاري [٤٠٧٥]، ومسلم [١٧٩٠].
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٥-١٢٦).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٦).

وانهزم قوم من المسلمين يومئذ فبلغ بعضهم إلى الحلوب دون الأعوص، منهم عثمان بن عفان وعثمان بن عقبة الأنصاري، فغفر الله ذلك لهم، ونزل القرآن بالعفو عنهم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

واشتغل المشركون ونساؤهم بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون. وبقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة فلم تستطع أن تسيغها فلاكتها ثم لفظتها[(١)].

ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر اعل هبل.

وفي حديث البراء[(٢)] عند البخاري في صحيحه: فأصيب منا سبعون قتيلا، فأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه. [فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: لا تجيبوه][(٣)]. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: إن هؤلاء قد قتلوا. فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، قد أبقى الله لك ما يخزيك. وفي رواية[(٤)]: إن الذين عددت لأحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: اعل هبل. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. ثم قال: لنا العزى ولا

(١) ابن هشام (٣/ ١٣٢) بنحوه.
(٢) البخاري [٤٠٤٣].
(٣) سقط في المخطوط، والمثبت من صحيح البخاري.
(٤) البخاري [٣٠٣٩].

عزى لكم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. انفرد به البخاري.

وفي رواية الإمام أحمد[١] عن ابن عباس: قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، قال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وفي رواية عن ابن مسعود أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي أجابه في ذلك، وأنه قال: لا سواء أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون[٢].

وفيه: قال: فنظر فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكلت شيئا؟ قالوا: لا. قال: ما كان الله ليدخل شيئًا من حمزة النار.

وروى الإمام أحمد وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم[٣] في المستدرك [عن ابن عباس][٤] قال: ما نصر الله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موطن كما نصر في يوم أحد. فأنكر ذلك عليه، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٥٢]، يقول ابن عباس: الحس القتل، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم ﴾ [آل عمران:١٥٢] الآية. وإنما عنى بهذا الرماة. ولقد كانت الدولة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين تسعة أو سبعة.. الحديث.

---

(١) المسند (١/ ٢٨٧).

(٢) مسند أحمد (١/ ٤٦٣).

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٨٧).

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في المخطوط، والمثبت من مصادر التخريج.

وفيه أن عمر قال: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: بلى. فلما قال: اعل هبل، قال عمر: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، وإن الحرب سجال، قال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. وقال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا. انتهى.

قال في الهدي[(١)]: فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشركه تعظيما للتوحيد، وإعلاما بعزة مَنْ عَبَدَ المسلمون وقوة جانبه، وأنه لا يغلب، ونحن جنده وحزبه، ولم يأمرهم بإجابته حين قال: (أفيكم محمد)، (أفيكم ابن أبي قحافة)، (أفيكم عمر؟)، بل قد روي أنه نهاهم عن إجابته، لأن [كَلْمَهُمْ لم يكن بَرَدَ][(٢)] بعدُ في طلب القوم، ونار غيظهم بعدُ متوقدةٌ، فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم حمي عمر بن الخطاب واشتدَّ غضبه وقال: كذبت يا عدو الله. فكان في هذا الإعلام من الإذلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف إلى [العدو] في تلك الحال ما يؤذنهم بقوة العزم وبسالتهم وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا، وأنه وقومه جديرون بعدُ بالخوف منهم، وقد أبقى الله لهم منه ما يسوءهم منهم. وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة بعد ظنِّهِ وظنِّ قومِهِ أنهم قد أصيبوا من المصلحة وغيظ العدو وحزنه والفَتِّ في عضده ما ليس في جوابه حين سألهم عنهم واحدا بعد واحد، وكان سؤاله عنهم ونعتهم لقومه آخر سهام العدو وكيده، فصبر له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى استوفى كيده، ثم انتدب له عمر فردَّ سهامه عليه، وكان ترك الجواب [أوَّلًا عليه أحسن][(٣)]، وذكره ثانيا أحسن. وأيضًا فإن في ترك إجابته حين سألهم عنه إهانةً له وتصغيرا لشأنه، فلما منته نفسه

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٠٢).

(٢) في المخطوط والمطبوع: «لأن كلهم لم يرد بعد»، وما أثبته من زاد المعاد.

(٣) في المخطوط والمطبوع: «أولى وأحسن»، والتصحيح من زاد المعاد (٣/ ٢٠٢).

موتهم فظن أنهم قد قُتلوا وحصل له بذلك من الكبر والإعجاب ما حصل كان ذلك في جوابه إهانة له وتحقيرا وإذلالا، ولم يكن هذا مخالفا لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تجيبوه، فإنه إنما نهى عن إجابته أولا لما سأل: (أفيكم محمد، أفيكم فلان؟) ولم ينه عن إجابته لما قال: أما هؤلاء فقد قتلوا. وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أو لا ولا أحسن من إجابته ثانيا، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.

وأنزل الله عليهم النعاس في غزوة بدر وأحد، والنعاس في الحرب والخوف دليل على الأمن، وهو من الله، وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان.

ففي الصحيح[(١)] عن قتادة عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت ممن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا، يسقط وآخذه ويسقط / [١١٣] وآخذه.

وفيه عن أنس[(٢)] قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو طلحة بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفة له، وكان أبو طلحة رجلًا راميًا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، ويشرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف فيصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم إنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان بالقرب. - وقال غيره: تنقلان القرب - على متونهما تفرغانه في أفواه القوم

(١) البخاري [٤٠٦٨].

(٢) البخاري [٤٠٦٤].

ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيآن فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحه إما مرتين وإما ثلاثة. انتهى.

قال ابن إسحاق[(١)]: ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب وقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون [مكة، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون][(٢)] المدينة. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في إثرهم أنظر ما يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة.

وفرغ الناس لقتلاهم، وأخذوا ينقلون موتاهم بعد انصراف قريش، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يدفنوا في مضاجعهم[(٣)]، وأن لا يغسلوا، وأن يدفنوا كما هم في ثيابهم.

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظفري، فأتى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعينه على وجنته، فردها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت أصح عيني قتادة وأحسنها[(٤)].

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٣) أبو داود [٣١٦].

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ١١٩) بإسناد منقطع.

ذكر شهداء أُحد

وكان ممن استشهد من المسلمين يوم أحد حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتله وحشي مولى نوفل، وأعتق لذلك، رماه بحربة فوقعت في [ثُنَّته][(١)]. ثم إن وحشيًّا أسلم، وقتل بتلك الحربة عينها مسيلمة الكذاب يوم اليمامة زمن أبي بكر الصديق.

وفي حديث جعفر بن أمية الضمري في الصحيح[(٢)] عن وحشي قال: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن نوفل ببدر. فقال لي مولاي جبير بن مطعم: «إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر». قال: فلما خرج الناس عام عينين - وعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه واد - فلما أن خرج الناس خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب. فكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميت بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه. قال: فكان ذلك آخر العهد به.

فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلا، وقيل: إنه لا يهيج الرسل. قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآني قال: أنت وحشي؟ قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: هل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت. فلما قبض رسول الله

---

(١) في المخطوط: «ثنيته»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٤)، والثُّنَّة: العانة.

(٢) البخاري [٤٠٧٢].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة الكذاب لعلي أقتله فأكافئ به حمزة.

قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب عليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قالت جارية على ظهر بيت: وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود[(١)].

ورواه ابن إسحاق[(٢)] بإسناد صحيح بأبسط منه.

قال: فلما خرج وفد الطائف ليسلموا تعيَّتْ علي المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو اليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال رجل: ويحك، إنه والله ما يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه وتشهد شهادة الحق. فلما قال ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قال: وحشي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ قال: فحدثته كما حدثتكما. فلما فرغت من حديثي قال: ويحك، غيِّبْ عني وجهك فلا رأيتك. قال: فكنت أتنكب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أراه لئلا يراني حتى قبضه الله.

قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيا لم يزل يُجَدُّ في الخمر حتى خلع من الديوان، وكان عمر بن الخطاب يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

---

(١) البخاري [٤٠٧٢].

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٣-١٠٥).

وروى الدارقطني[١] بإسناد على شرط الشيخين عن سعيد بن المسيب قال: كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو؟ حتى إنه مات غريقًا في الخمر.

وروى ابن شاذان من حديث ابن مسعود: ما رأينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / [١١٤] باكيًا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء.. الحديث[٢]. قيل: والنشغ الشهيق حتى بلغ به الغشي.

وروى البغوي في معجمه أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعا، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة[٣].

وروى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصل عليهم. خرجه أحمد وأبو داود[٤]، فيحمل أمر حمزة على التخصيص. ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب.

ودفن حمزة هو وابن أخته عبد الله ابن جحش في قبر واحد.

ومنهم مصعب بن عمير، قتله ابن قمئة الليثي وشماس بن عثمان المخزومي.

ومن الأوس عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ، والحارث بن أنيس، وعمارة بن زياد بن السكن، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش، وصيفي بن قيظي، وجبار بن

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه البزار (كما في كشف الأستار [١٧٩٤]).

(٣) قال الشافعي (في الأم: ١/ ٤٤٦): «ما روي أنه صلى عليهم - يعني شهداء أحد - وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح».

(٤) مسند أحمد (٣/ ١٢٨).

قيظي، وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ ابن أخي سعد، واليمان والد حذيفة حليف لهم، وإياس بن أوس، وعبيدة بن عمرو، وعبيد بن التيهان، وحبيب بن زيد بن تيم، ويزيد بن حاطب، وأبو سفيان بن الحارث، وحنظلة الغسيل، وقيس بن يزيد، ومالك بن أمية، وأنيس بن قتادة، وأبو حية بن عمرو أخو سعد بن خيثمة لأمه، وعبد الله بن جبير أمير الرماة، وأبو خيثمة والد سعد.

ومن حلفائهم عبد الله بن سلمة، وسبيع بن حاطب، وعمير بن عدي.

ومن الخزرج عمرو بن قيس، وابنه قيس، وثابت بن عمرو، وعامر بن مخلد، وأبو هبيرة بن الحارث، وعمرو بن مطرف، وأوس بن ثابت أخو حسان، وأنس بن النضر، وقيس بن مخلد، وكيسان مولى لهم، وحارثة بن زيد، وسعد بن الربيع، وأوس بن الأرقم، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وسعيد بن سويد، وعتبة بن منيع، [وثقب بن فروة][1]، وعبد الله بن عمرو بن وهب، وضمرة حليف لهم، ونوفل بن عبد الله، والعباس بن عبادة بن نضلة، والنعمان بن مالك، والمجذر بن زياد البلوي، وعبادة بن الخشخاش، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، وعمرو بن الجموح دفنا في قبر واحد وكانا صديقين جدا، وابنه خالد بن عمرو، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح، وسليم بن عمرو [ومولاه عنترة][2]، وسهل بن قيس بن أبي بن كعب، وذكوان بن عبد قيس، وعبيد بن المعلى بن لوذان.

فجميعهم خمسة وستون رجلًا.

---

(١) في المخطوط: «ثقف بن عروة»، والمثبت من الإصابة (١/ ٤١٠).

(٢) في المخطوط: «مولاه عزة»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٩).

وممن ذكر أيضًا في شهداء أحد من الأوس: مالك بن نميلة حليف لهم، والحارث بن [عدي][(١)] الخطمي. ومن الخزرج: مالك بن إياس، وعمرو بن إياس، فيكونون سبعين رجلًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

وقتل من الكفار اثنان وعشرون رجلا[(٣)].

غزوة حمراء الأسد

وقال أهل المغازي: وكانت وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة كما تقدم، فلما كان من الغد يوم أحد أذن مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطلب للعدو، وعهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يخرج معه أحد إلا من حضر المعركة يوم أحد، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه ففسح له في ذلك.

فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح، وإنما خرج عَلَيْهِ السَّلَامُ مرهبا للعدو، فبلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة.

ومر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلمهم وكافرهم، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك.

ثم خرج حتى أتى أبا سفيان ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حد أصحابه وقادتهم ثم نرجع [قبل

---

(١) في المخطوط: «عبيد»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٠)، وانظر: الإصابة (١/ ٥٨٦).

(٢) ذكره ابن هشام (٣/ ١٨٠) مع مالك بن إياس وعمرو بن إياس: «إياس بن عدي»، وبه يكتمل السبعون.

(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٢).

أن][1] نستأصلهم؟ فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه في جمع لم أر مثله قط، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا. قال: ويلك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. فساء ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة للميرة. فقال: فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحملكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وأصحابه لنستئصل بقيتهم. فمرَّ الركب برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل[2].

وفي الصحيح[3] عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقى في النار. وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وفيه[4] عن عائشة ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران:١٧٢] الآية. قال عروة قالت عائشة: يا ابن أختي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أصاب فانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال: من يذهب في إثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير. انتهى.

---

(١) في المخطوط: «ونستأصلهم»، والتصويب من سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٩).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٩-١٥١).
(٣) البخاري [٤٥٦٣].
(٤) البخاري [٤٠٧٧]، مسلم [٢٤١٨].

قالوا: فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة، وقد غاب خمسا، وظفر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص جد عبد الملك بن مروان لأمه، فأمر بضرب عنقه صبرًا[(١)].

قال الحافظ مغلطاي: وحرمت الخمر في شوال، ويقال: سنة أربع[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر تفاصيل أقوال تحريم الخمر في الفتح (١٠/ ٣٤).

محتويات الكتاب

مقدمة التحقيق.....٥
وصف المخطوط.....٦
منهج العمل.....٧
ترجمة موجزة للمؤلف.....١٠
مختصر السيرة النبوية.....١٣
ذكر أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.....٦٢
أمر الحُمْس.....٦٣
ذكر أهل الفترة بين عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.....٦٥
ذكر قصة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....٨٠
ذكر صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتب المتقدمة.....٨٧
ذكر حدوث الرَّمي، وإنذار الكهان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....١٠٠
ذكر خبر سواد بن قارب.....١٠٤
ذكر إنذار اليهود برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....١٠٧
كتاب البعث.....١٠٩
فصل في ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار.....١١٥
ذكر ابتداء فرض الصلاة.....١٣٤
ذكر خبر الوليد بن المغيرة.....١٨٥
ذكر خبر عتبة بن ربيعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....١٨٧
ذكر خبر المستهزئين.....١٨٩
ذكر نزول سورة عبس.....١٩٦
ذكر نزول سورة الكوثر.....١٩٨
فصل في بناء المسجد.....٢٦٧

غـــزوة بُـــوَاط..... ٣٠١
غزوة بـدر الأولى..... ٣٠٢
بعث عبد الله بن جحـش..... ٣٠٣
غزوة بدر الكـبرى..... ٣١٠
ذكر قتل عدو الله أبي جهل..... ٣٢٦
فصل في تسـمية من شهد بدرًا من المسـلمين مرتبًا على حروف المعجم..... ٣٤٢
غزوة بني سليم..... ٣٦١
غزوة السويق..... ٣٦٢
غـزوة غطفان..... ٣٦٣
غزوة بحْـــران..... ٣٦٤
سرية زيد بن حارثـــة..... ٣٦٤
غزوة بني قينقـاع..... ٣٦٥
سرية كعب بن الأشرف..... ٣٦٧
غزوة أُحـــد..... ٣٧١
ذكر شـهداء أُحـــد..... ٣٩١
غزوة حمراء الأسد..... ٣٩٥

تم بحمد الله المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وأوله: «بعث الرجيع وحديث عضل والقارة»